المكتبة القبطية على الانترنت
زيارة الموقع

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

تفسير أنجيل مُرقس

القمص تادرس يعقوب ملطي

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

الإنجيل بحسب مرقس

القمص تادرس يعقوب ملطي

إسم الكتاب : الإنجيل بحسب مرقس .
المؤلف : القمص تادرس يعقوب ملطى .

رقم الايداع بدار الكتب : ٥٠٦٢ / ١٩٨٤

حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

فى دراستنا لإنجيل معلمنا متى البشير تذوق بشارة ربنا يسوع المسيح المفرحة التى سبق فأعد لها الله بواسطة أنبيائه القديسين حتى نتقبلها كدخول إلى ملكوته الأبدى ، والآن فى إنجيل معلمنا مرقس البشير نتمتع بذات البشارة المفرحة من جانب آخر ، إذ نرى ربنا يسوع المسيح العامل لحسابنا ، خلال خدمته العملية خاصة قبوله الآلام والصلب أكثر من كلماته وعظاته .

كُتب هذا السفر للرومان المعتزين بالذراع البشرى والسلطة الزمنية مع العنف وحب التسلط ، لذلك جاء هذا السفر يبرز شخص السيد المسيح كصاحب سلطان حقيقى خلال اتضاعه وحبه بالآلام والصلب . وكأن روح الله يود أن يسحبنا لكى نسلك بروح ملكنا فنحمل روح القوة والعمل بالحب والألم .

هذا وأود أن أشير أنه فى تفسير هذا السفر إذ نلتقى بأحداث تمس حياة السيد المسيح وأعماله سبق الحديث عنها فى تفسير « الإنجيل بحسب متى » مستشهداً بأقوال الكثير من الآباء وددت عدم التكرار ، مشيراً إلى الرجوع إلى التفسير السابق متى اقتضى الأمر مع عرض مفاهيم جديدة فى هذا الكتاب ما استطعت .

القمص تادرس يعقوب ملطى

القديس مارمرقس

نشـأته(١)

+ وُلد القديس مرقس فى القيروان إحدى المدن الخمس الغربية بليبيا ، فى بلدة تدعى ابريانولس ، من أبوين يهوديين من سبط لاوى(٢) ، اسم والده أرسطوبولس ، ووالدته مريم إمرأة تقية لها إعتبارها بين المسيحيين الأولين فى أورشليم(٣) .

+ حمل مارمرقس إسمين (أع ١٢ : ١٢ ، ٢٥ ، ١٥ : ٣٧) : يوحنا وهو إسم عبرى يعنى « يهوه حنان » ، ومرقس إسم رومانى يعنى « مطرقة » .

+ كان القديس مرقس يمت بصلة قرابة لبرنابا الرسول بكونه إبن أخته (كو ٤ : ١٠) أو إبن عمه ، كما كان والده إبن عم زوجة القديس بطرس الرسول أو إبن عمتها .

+ تعلم اليونانية واللاتينية والعبرية وأتقنها .

+ إذ هجمت بعض القبائل المتبربرة على أملاكهم تركوا القيروان إلى فلسطين حيث تمتع مع والدته بالسيد المسيح ، فقد كانت أمه مريم من النساء اللواتى خدمن السيد من أموالهن . فتحت بيتها ليأكل الفصح مع تلاميذه فى العلية ، وهناك غسل أقدام التلاميذ ، وسلمهم سرّ الأفخارستيا ، فصارت أول كنيسة مسيحية فى العالم دشنها السيد بنفسه بحلوله فيها وممارسته سرّ الأفخارستيا . وفى نفس العلية حلّ الروح القدس على التلاميذ (أع ٢ : ١ — ٤) ، وفيها كانوا يجتمعون .

+ كان القديس مرقس أحد السبعين رسولاً الذين اختارهم السيد للخدمة(٤) ، وقد شهد بذلك **العلامة أوريجانوس**(٥) **والقديس أبيفانيوس**(٦) .

+ كان القديس مرقس حاضراً مع السيد فى عرس قانا الجليل ، وهو الشاب الذى كان حاملاً الجرة عندما التقى به التلميذان ليعدا الفصح للسيد (مر ١٤ : ١٣ ، ١٤ ، لو ٢٢ : ١١) . وهو أيضا الشاب الذى ترك إزاره وهرب عارياً عند القبض على السيد (مر ١٤ : ٥٢)(٧) .

القديس مارمرقس والأسد

يُرمز للقديس مارمرقس بالأسد ، لذلك نجد أهل البندقية وهم يستشفعون به جعلوا الأسد رمزاً لهم ، وأقاموا أسداً مجنحاً فى ساحة مارمرقس بمدينتهم .

ويعلل البعض هذا الرمز للأمور الآتية :

أولا : قيل أن القديس مرقس اجتذب والده أرسطوبولس للإيمان المسيحى خلال سيرهما معاً فى الطريق إلى الأردن حيث فاجأهما أسد ولبوة ، فطلب الأب من إبنه أن يهرب بينما يتقدم هو فينشغل به الوحشان ، لكن الإبن طمأن الأب وصلى إلى السيد المسيح فانشق الوحشان وماتا ، فآمن الأب بالسيد المسيح .

ثانيا : بدأ القديس مرقس إنجيله بقوله : « صوت صارخ فى البرية » . . . وكأنه صوت أسد يدوى فى البرية كملك الحيوانات يهيىء الطريق لمجيء الملك الحقيقى ربنا يسوع المسيح . هذا وإذ جاء الإنجيل يعلن سلطان السيد المسيح لذلك لاق أن يرمز له بالأسد ، إذ قيل عن السيد أنه « الأسد الخارج من سبط يهوذا » رؤ ٥ : ٥ .

ثالثا : يرى **القديس أمبروسيوس** أن مارمرقس بدأ إنجيله باعلان سلطان لاهوت السيد المسيح الخادم « بدء إنجيل يسوع المسيح إبن الله » ١ : ١ ، لذلك يحق يرمز له بالأسد(٨) .

كرازته

+ بدأ الرسول خدمته مع معلمنا بطرس الرسول فى أورشليم واليهودية .

+ إنطلق مع الرسولين بولس وبرنابا فى الرحلة التبشيرية الأولى وكرز معهما فى أنطاكية ، لكنه على ما يظن أصيب بمرض فى برجة بمفيلية فاضطر أن يعود إلى أورشليم .

+ إذ بدأ الرسول بولس رحلته التبشيرية الثانية أصر برنابا الرسول أن يأخذ مرقس ، أما بولس الرسول فرفض ، حتى فارق أحدهما الآخر ، فانطلق بولس ومعه سيلا أما برنابا فأخذ مرقس وكرزا فى قبرص (أع ١٣ : ٤ — ٥) ، وقد ذهب إلى قبرص مرة ثانية بعد مجمع أورشليم (أع ١٥ : ٣٩) .

+ اختفت شخصية القديس مرقس فى سفر الأعمال إذ سافر إلى مصر وأسس كنيسة الاسكندرية بعد أن ذهب أولاً إلى موطن ميلاده « المدن الخمس » بليبيا ، ومن هناك انطلق إلى الواحات ثم صعيد مصر ودخل الاسكندرية عام ٦١ م من بابها الشرقى .

يروى لنا التاريخ قصة قبول أنيانوس الايمان المسيحى كأول مصرى بالاسكندرية يقبل المسيحية . . . فقد تهرأ حذاء مارمرقس ، وإذ ذهب به إلى الاسكافى أنيانوس ليصلحه دخل الخراز فى يده فصرخ : « يا الله الواحد » ، فشفاه مارمرقس باسم السيد المسيح وبدأ يحدثه عن الإله الواحد ، فآمن هو وأهل بيته . . . وإذ انتشر الإيمان سريعاً بالاسكندرية رسم أنيانوس أسقفاً ومعه ثلاثة كهنة وسبعة شمامسة . هاج الشعب الوثنى فاضطر القديس مرقس أن يترك الاسكندرية ليذهب إلى برقه (بليبيا) ومنها إلى روما ، حيث إلتقى بالقديسين بطرس وبولس وبقى معهما حتى استشهادهما عام ٦٤ م .

عاد إلى الاسكندرية عام ٦٥ م ليجد الايمان المسيحى قد ازدهر فقرر أن يزور المدن الخمس ، وعاد ثانية إلى الإسكندرية ليستشهد هناك فى منطقة بوكاليا .

+ تعتقد لبنان أن القديس مرقس كرز بها ، هذا وقد كرز أيضا بكولوسى (كو ٤ : ١٠) ، وقد اتخذته البندقية شفيعاً لها ، واكويلا من أعمال البندقية .

نختم حديثنا عن كرازته بكلمات الرسول بولس وهو يواجه لحظات الاستشهاد : « خذ مرقس واحضره معك لأنه نافع لى للخدمة » ٢ تى ٤ : ١١ .

الإنجيل بحسب مرقس

تاريخ ومكان كتابته

أجمع الدارسون على أن إنجيل مارمرقس هو أقدم ما كتب فى الأناجيل ، بل وحسبه كثير من الدارسين المصدر الرئيسى الذى إستقى منه الإنجيليان متى ولوقا فى كتابتهما إنجيليهما .

يرى **القديس إيريناؤس** أنه كتب بعد استشهاد القديسين بطرس وبولس أى بعد سنة ٦٧ م . وقد إتجه غالبية الدارسين إلى القول بأنه كتب ما بين عام ٦٥ ، عام ٧٠ م[٩] .

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أنه كتب فى مصر[١٠] ، بينما نادى البعض بأنه كتب فى روما .

إنجيل مرقس وبطرس الرسول

حاول بعض الدارسين أن ينسبوا إنجيل مرقس إلى بطرس الرسول ، متطلعين إلى القديس مرقس ككاتب أو مترجم للقديس بطرس قريبه ، وأن هذا الإنجيل ليس إلا مذكرات للرسول بطرس أو عظات سمعها مارمرقس عنه أثناء إقامته معه فى روما ، سجلها بعد استشهاد القديسين بطرس وبولس .

هذا الرأى ترفضه الكنيسة القبطية تماماً ، وقد قام قداسة البابا شنودة الثالث بتفسيره فى دراسته التى قدمها عن « القديس مرقس الرسول » بمناسبة مرور ١٦ قرناً على إستشهاده ، لذلك رأيت هنا الاكتفاء بابراز العناصر الرئيسية تاركاً للقارىء أن يرجع لكتاب قداسة البابا .

أولا : اعتمد هذا الرأى على قول **للقديس بابياس** عن القديس مرقس وقد ذكر عنه أنه لم يسمع الرب ولا عاينه ، انما تبع الرسول بطرس الذى آمن على يديه . وإن كان قد نقل بعض الآباء هذا الفكر عن بابياس ، لكنه فكر خاطىء فقد شهد كثير من الآباء كما أكد دارسو التاريخ الكنسى أن مارمرقس عاين الرب وتبعه .

ثانيا : لم يكن مارمرقس كاتباً ولا مترجماً لبطرس الرسول فى خدمته فى روما كما إدعى البعض ، بل أن بطرس الرسول لم يكرز فى روما بل بولس الرسول هو الذى كرز بها كما يظهر من رسالته إلى روما معلنا اشتياقه للعمل بينهم (رو ١ : ١٠ ، ١١) وفى نفس الرسالة يؤكد أنه لا يبنى حيث وضع آخر أساساً (رو ١٥ : ٢٠) . . . وكأن بولس وهو كارز للأمم — بينما بطرس كارز لأهل الختان — أراد أن يكون له هذا العمل فى روما .

ثالثا : لو أن مارمرقس سجل مذكرات بطرس أو عظاته بعد استشهاده لما كان هناك دافع لاخفاء هذه الحقيقة ، وكان يجب أن يشير القديس مرقس إلى ذلك . . . على الأقل من قبيل أمانته واتضاعه .

رابعاً : علل البعض أنها مذكرات بطرس بحجة أنها تحوى ضعفات بطرس وتغفل ما يمجده ، وأن بطرس الرسول فعل هذا من قبيل إتضاعه . ويرد على ذلك بالآتى :

١ — أن كاتبى الأسفار فوق المستوى الشخصى عند كتابتهم للأسفار ، لذلك نجد موسى النبى يسجل بيده : « وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض » عد ١٢ : ٣ . وقد ذكر فى أسفاره المعجزات التى صنعها الله على يديه وظهور الله له وأحاديثه معه وقبول الله شفاعته ومديح الله له ، ولم يمنعه اتضاعه من ذكر هذه الأمور . وفى نفس الوقت ذكر أيضاً ضعفاته كيف كان ثقيل الفم واللسان (خر ٤ : ١٠) ، وذكر خطيته ومنع الله له من دخول أرض الموعد . . . إنهم كتبوا « مسوقين من الروح القدس » ٢ بط ١ : ٢١ .

وفى العهد الجديد نجد القديس يوحنا الحبيب لم يغفل وقوفه عند الصليب ومخاطبة الرب له وتسليمه أمه له (يو ١٩ : ٢٥ — ٢٧) ، ملقباً نفسه « التلميذ الذى يسوع يحبه » ، والذى « يتكىء فى حضن يسوع » يو ١٣ : ٣ — ٢٥ .

٢ — لم يغفل مارمرقس الرسول مديحه لبطرس الرسول ، فذكر دعوة الرب له كأول دعوة (١ : ١٦ — ٢٠) ، ووضع إسمه فى مقدمة أسماء الرسل (٣ : ١٦) ، وذكر أن الرب دخل بيته وشفى حماته كأول معجزة ذكرها مارمرقس للرب (١ : ٢٩ — ٣١) . . . وذكر قول بطرس الرسول : « ها قد تركنا كل شىء وتبعناك » ١٠ : ٢٨ ، وذكره فى مناسبات كثيرة مع يعقوب ويوحنا (٥ : ٣٧ ، ٩ : ٢ — ٨ ، ١٤ : ٣٢) .

خامساً : علل بعض الدارسين أنها مذكرات بطرس لما حملته من شواهد داخلية أن الكاتب شاهد عيان لكثير من الأحداث ، فإن عرفنا القديس مارمرقس أحد السبعين رسولاً الذين اختارهم الرب ومركز والدته بين تابعى المسيح لأدركنا أن كثيراً من الأحداث عرفها الرسول بنفسه أو خلال التلاميذ والرسل أو والدته أو من كانوا محيطين بالسيد .

سماته

أولاً : عرف المسيحيون الأول كلمة « إنجيل » بمعنى « أخبار مفرحة للعالم » ، وقد سبق لنا الحديث عن كلمة « إنجيل » فى دراستنا للانجيل حسب معلمنا متى البشير[١١] ، أما القديس مرقس فكما يرى غالبية الدارسين هو أول من استخدم هذا التعبير ليقصد به السفر نفسه الذى يعرض حياة السيد المسيح كأخبار مفرحة للعالم[١٢] ويبدو أن هذه الكلمة كانت محببة جداً لنفس هذا القديس ، فنجده يضعها عنواناً للسفر بقوله : « بدء إنجيل يسوع المسيح إبن الله » ١ : ١ . كما كرر التعبير فى أكثر من موضع ، فحين تحدث عن حمل الصليب ذكر قول : السيد : « من يهلك نفسه من أجلى ومن أجل **الإنجيل** فهو يخلصها » ٨ :٣٥ ، بينما لم يذكر الإنجيليان متى ولوقا تعبير « الإنجيل » فى نفس الموضع (مت ١٦ : ٢٥ ، لو ٩ : ٢٤) . وأيضا حين أورد حديث السيد المسيح عن الترك ، قال : « ليس أحد ترك بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو إمرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلى ولأجل الإنجيل إلا يأخذ مئة ضعف الآن فى هذا الزمان . . . وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية » ١٠ : ٢٩ ، وأيضا لم يذكر متى الانجيلى تعبير « إنجيل » فى نفس الموضع (مت ١٩ : ٢٩) .

كثيراً ما كرر كلمة « إنجيل (بشارة) » ١ : ١٤ ، ١٥ ، ١٤ ، ٩: ١٤ . . . فإذ كرز بين الأمم الوثنيين والفلاسفة خاصةً فى مدينة الإسكندرية كان لهذه الكلمة طعماً خاصاً لديه ، فقد شعر بالفرح الحقيقى الذى إنفتح بابه على الأمم بمجىء السيد المسيح وتقديمه ذبيحة الصليب كسّر مصالحة الأمم والشعوب مع الله .

ثانياً : إذ كتب القديس مرقس إنجيله للرومان نجده يتبع الآتى :

١ — يترجم الكلمات الأرامية التى لا يفهمها الرومان مثل « بوانرجس » ٣ : ١٧ ، « طليثا » ٥ : ١٤ ، « قربان » ٧ : ١٤ ، « أفثا » ٧: ٣٤: ، إلوى إلوى لما شبقتنى ١٥ : ٣٤ ، « جلجثة » ١٥ : ٢١ . . . فلو أنه كان يكتب لليهود لما كانت هناك حاجة لشرح معنى هذه الكلمات إذ هى معروفة ودارجة عندهم .

٢ — يشرح العادات اليهودية وأماكنهم وطوائفهم ، الأمور التى يعرفها اليهود دون الرومان ، فيوضح مفهوم النجاسة عند الفريسيين واهتمامهم بالغسالات الخارجية (٧ : ٢ — ٤) ، وعادة ذبح الفصح فى اليوم الأول من الفطير (١٤ : ١٢) ، ومعنى كلمة « الإستعداد » ١٥ : ٤٢ ، وإنكار الصدوقيين للقيامة (١٢ : ١٨) . كا يسبق كلمة « الأردن » بكلمة « نهر » ١ : ٥ ، ويوضح أن جبل الزيتون هو تجاه الهيكل (١٣ : ٣) ، وأن بيت فاجى وبيت عنيا قريبتان من أورشليم (١١ : ١) .

٣ — إذ كتب البشير متى لليهود اقتبس الكثير من العهد القديم ، أما البشير مرقس فلم يقتبس الكثير إذ هو يكتب للأمم .

٤ — لم يكتب القديس مرقس لليهود كرجال متدينين ولا لليونان كرجال فلسفة وفكر وإنما للرومان وهم رجال عمل لذلك جاء السفر صغيراً فى حجمه بلا مقدمات إهتم بابراز السيد المسيح فى أعماله المستمرة أكثر منه فى عظاته أو خطاباته .

٥ — آمن الرومان بالقوة والسلطة كأصحاب سيادة فى العالم فى ذلك الحين ، لذلك حدثهم الإنجيلى مرقس عن السيد المسيح كصاحب سلطان حقيقى ، وقد ظهر هذا الخط واضحاً فى السفر كله من بدايته حتى نهايته ، فيظهر سلطانه على

الشياطين (١ : ٢٧) وعلى الأمراض (١ : ٤٢) وعلى الطبيعة (٤ : ٣٩ ــ ٤١) وعلى النباتات (١١ : ١٢ ــ ٢٠) . له سلطانه في الهيكل (١١ : ٣٣) ، وأيضا على السبت كرب السبت (٢ : ٢٨) . بسلطانه الحق يعرف أسرار الأفكار (٢: ٨) ويعلن عن أسرار المستقبل (ص ١٣) ، قادر بسلطانه أن يشبع الجماهير (٦ :٣٢ ــ ٤٤ ، ٨ : ١ ــ ٩) .

آمن الرومان بالسيادة خلال العنف والكبرياء مع الاغتصاب ، أما الانجيل فيعلن سلطان السيد خلال الاتضاع وخدمة الآخرين (٩ : ٣٣ ، ١٠ : ٣٥ ، ٤٥) ، وقد جاءت فكرة الألم والصليب تسود السفر كله ، فقد استوعبت آلام السيد حوالي ثلث السفر وان كان السفر ككل هو تهيئة للنفس لقبول المسيح الملك خلال الألم !

٦ ــ قدم الإنجيل مرقس هيرودس كعينة لملوكهم الذين يجتمع حولهم المتملقون للهو والرقص مع اتسامه بالعنف والقتل ظلماً ، بينما يقدم السيد المسيح الذى يملك بشارة الملكوت ، يجتذب النفس ويرويها فتبهر به ، لذلك كثيراً ما يعلن الانجيل عن التفاف الجماهير حول السيد (١ : ٢٨ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٢ : ١ ، ٢ ، ٣ : ٧ ــ ٩ ، ٤ : ١ ــ ٢ ، ٦ : ٣٢ ــ ٣٤ ، ٧ : ٢٤ ، ٩ : ١٥ ، ٥ : ٢٤) . الكل يجرى إليه حتى إن انفرد فى موضع خلاء (٦ : ٣٢ ــ ٣٤) أو أراد أن يختفى فى بيت (٧ :٢٤) . ما أكثر المواضع التى أعلن فيها الإنجيل أن الجماهير قد بُهتت إلى الغاية (١ :٢٢ ، ٢٧ ، ٤ : ٤١ ، ٦ : ٥١ ، ١٠ : ٢٤ ، ٢٦) . انه لا يفرض نفسه على الغير إنما يجتذب بحبه واتضاعه قلوب الكثيرين .

٧ ــ ربما ركز الإنجيل على إبراز الصراع بين السيد المسيح واليهود بطوائفهم ليشجع الرومان على قبول ذلك الذى رفضه اليهود ، خاصة وأن السيد المسيح لم يقف ضعيفاً أمام مقاوميه من اليهود بل كان يفحمهم ، وحين صلبوه لم يفعلوا هذا عن ضعف من جانبه ، إذ سبق فأعلن لتلاميذه عن صلبه ، مؤكداً ذلك ثلاث مرات (٨ : ٣١ ، ٩ : ٣١ ، ١٠ : ٣٣ ــ ٣٤) موضحاً أنه يقوم من الأموات ويأتى بمجد أبيه مع الملائكة القديسين (٨ : ٣٨) ، ويأتى على سحاب السماء ١٤ : ٦٢) .

ومن جانب آخر أوضح إتجاه السيد نحو الأمم (٧ : ٢٤ — ٣٠ ، ١١ : ١٧ ، ١٣ : ١٠ ، ١٦ : ١٥) . . . وقد جائت الوصية الأخيرة : « اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » ١٦ : ١٥ .

٨ — إذ وجه القديس مرقس انجيله للرومان كشف عن جامعية رسالة الإنجيل لتضم الأمم أيضاً ، لذلك كثيراً ما يستخدم التعبيرين « كل » ، « جميع » ١ : ٥ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٢ : ١٣ ، ٤ : ١ ، ٦ : ٣٣ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٥٥ ، ١٣ : ١٠ .

أخيراً نردد ما قاله أحد الدارسين : « يظهر مرقس كلاهوتى خلّاق عاش وسط جماعة مسيحية من أصل أممى لكنها لم تكن ،معتزلة عن اليهودية تماماً ، لها ثقافتها الخاصة النامية[١٣] .

ثالثاً : إن كانت كلمة « إنجيل » محببة للغاية لدى القديس مرقس الإنجيلى ، فإن الإيمان هو طريق التمتع بالانجيل . . . وقد أبرز السفر بقوة كيف أن الإيمان هو طريق التمتع بالبركات الزمنية والروحية[١٤] ، وأن عدم إيمان الشعب حجب عنهم عمل السيد المسيح (٦ : ١ — ٦) . . . ويرى بعض الدارسين أن السيد المسيح يظهر فى هذا السفر كمن كرس حياته لايقاظ إيمان الناس[١٥] .

رابعاً : السفر الذى بين أيدينا هو « إنجيل المسيح المتألم » يهيىء النفس لقبول إنجيل المسيح المتألم ، لذلك احتلت أقوال السيد المسيح عن الآلام مركزاً أساسياً . فقد تحدث السيد عن آلامه بوضوح وفى صراحة فى ثلاثة مواضع .

١ — فى قيصرية فيلبس (٨ :٣١) .

٢ — فى تحركه نحو الجليل (٩ : ٣١) .

٣ — فى طريقه إلى المدينة المقدسة (١٠ : ٣٣ — ٣٤) .

قوبل السيد المسيح فى كل مرة إما بالانتهار كما من سمعان بطرس أو بالخوف وعدم الفهم من جانب التلاميذ ، فقد كان سرّ الصليب غير مدرك بعد ، بالرغم من أن السيد مهّد له مبكرا فى أكثر من موضع (راجع ٢ : ٢٠ ، ٣ : ٦ ، ٦ : ١ — ٦ ، ٦ : ١٤ — ٢٩) .

ويلاحظ ان إعلانات السيد لتلاميذه عن الآلام ضمت ثلاثة عناصر :

١ ــ دعوته نفسه أنه « إبن الانسان » ٨ : ٣١ ، ٩ : ٣١ ، ١٠ : ٤٥ . فان كان الإنجيلى قد إفتتح السفر باعلان أن السيد المسيح هو « إبن الله » ١ : ١ ، فقد صار إبن الله إبن الانسان ليسلم نفسه فى يدّى بنى الناس حتى تتحقق فيه إرادة أبيه (صلبه) .

٢ ــ تأكيد أنه يقتل (٨ : ٣١ ، ٩ : ٣١ ، ١٠ : ٣٤) ، فقد جاء إلى العالم متجسداً لهذه الغاية . . . تسليم نفسه ذبيحة ، إذ هذا هو الطريق الوحيد لإعلان محبته الخلاصية .

٣ ــ تأكيد أنه بعد ٣ أيام يقوم . . . فانه لا يموت عن ضعف بل ليقيمنا معه .

فى دراستنا لصُلب السفر سيظهر بمشيئة الله الألم واضحاً للغاية عبر السفر كله ، فإن تحدث عن مثل الكرم والكرامين أبرز أن الكرامين يضمرون قتل الوارث (١٢ : ٧) ، كما يعلن السيد عن نفسه أنه حجر الزاوية المرفوض (١٢ : ١٠) ، وإن قدمت امرأة قارورة طيب ناردين تسكبه على رأسه إنما ليعلن السيد : « قد سبقت ودهنت بالطيب جسدى للتكفين » ١٤ : ٨ الخ . . .

رأى بعض الدارسين السفر كله يدور حول آلام السيد المسيح وتذوقه مرارة الموت ، فعلق أحدهم ، قائلاً : « الانجيل فى كليته هو شرح كيف جُرب يسوع[١٦] » ، وقال آخر أنه فى مجمله عرض لآلام المسيح إما خلال تجارب مباشرة من الشيطان أو خلال مصادر بشرية .

هذه السمة دفعت البعض للاعتقاد بأن القديس مرقس كتب السفر لجماعة مسيحية متألمة ، تقع تحت نير الاضطهاد ، فقد هدف به إلى الكشف عن التزامها بممارسة شركة الآلام مع مسيحها المتألم والذى يدعو تلاميذه لقبول الألم . لقب البعض هذا السفر « إنجيل الشهيد[١٧] » ، أى الإنجيل الذى وُضع لمساندة المسيحى وهو يواجه الاستشهاد وتشجيعه على ذلك . حقاً انه لم يشرح فلسفة الألم لا فى حياة السيد المسيح ولا فى حياة تلاميذه كما فى رسائل معلمنا بولس الرسول ، لكنه أكدّ الالتزام بقبول الألم حسب المقاصد الإلهية .

خامساً : أن كان معلمنا مرقس فى إنجيله يكشف عن شخص ربنا يسوع بكونه العامل بلا إنقطاع لحسابنا ، فيورد ١٦ قصة عن معجزاته بخلاف تأكيده أنه شفى كثيرين وأخرج شياطين كثيرة (١ : ٣٤،٣٩ ، ٣ : ١٠ ، ١١ ...) لكن السفر فى كليته جاء يعلن ما قاله السيد : « لماذا يطلب هذا الجيل آية ؟ ! الحق أقول لكم لن يُعطى هذا الجيل آية » ٨ : ١٢ .

يميز البعض بين عمل المعجزات سواء خلال الأشفية وإخراج الشياطين وبين تقديم آية أو علامة من السماء . فالمعجزات قدمها السيد من قبيل حبه ترفقه إذ رأى شعبه فى حاجة لمن يسندهم ، فما قدمه السيد إنما هو حنانه ، وقد أبرز القديس مرقس الإنجيلى مشاعر السيد المسيح نحو شعبه ، إذ كثيراً ما يقول « تحنن عليهم » أو احتضن الأولاد الخ . . . أما الآية التى كان الفريسيون يطلبونها وأيضا هيرودس حين وقف أمامه إنما يقصد بها تحقيق عمل خارق بقصد الاستعراض ، الأمر الذى رفضه السيد المسيح تماماً ، إذ يلاحظ فى هذا السفر الآتى :

١ — تبع رفضه عمل آية حديثه مع تلاميذه أن يتحرزوا من خمير الفريسيين وخمير هيرودس (٨ : ١٥) ، ففكروا قائلين بعضهم لبعض : ليس عندنا خبز ، مع أن الإنجيل يقول « لم يكن معهم فى السفينة إلا رغيف واحد » ٨ : ١٤ . . . وكأن الآية كانت بين أيديهم ولم يدركوها ، إذ كان السيد المسيح هو « الرغيف الواحد » المكسور لأجلهم وهم لا يعلمون . . . لذا وبخهم السيد على عدم فهمهم (٨ : ١٧ — ٢١) . فالآية الحقيقية غير المنظورة هى « العمل الأفخارستى » أو الخبز المكسور الذى قدمه لهم (١٨) .

٢ — يرى بعض الدارسين أن السيد رفض تقديم آية من السماء ، إذ يريد أن يركز أنظارهم عليه ، فيقول أحدهم : « يسوع نفسه هو الآية الوحيدة للإنجيل . . . يليق بنا ألا نطلب معجزة أو آية منفصلة عن يسوع نفسه[١٩] » لعل هذا الفكر جاء مستنداً على قول النبى : « ولكن يعطيكم السيد نفسه آية : ها العذراء تحبل وتلد إبناً وتدعو إسمه عمانوئيل » إش ٧ : ١٤ . هذه الآية التى اشتهى أن يتمتع بها الأنبياء : الالتقاء مع كلمة الله المتجسد ربنا يسوع !

٣ — رفض تقديم آية استعراضية ، إذ جاء يطلب « الإيمان » ، وكما رأينا أن

إنجيل مارمرقس يدور حول الإيمان الذى يقوم على الثقة فى المسيح القادر أن يشبع احتياجاتنا الداخلية ، لا الإيمان القائم على علامات وآيات منظورة . وإن كانت الجموع التى تعجب به وتُبهر منه (٦ : ٢) ، سرعان ما تقاومه قائلين : « من أين لهذا هذه ؟ ! وما هذه الحكمة التى أعطيت له حتى تجرى على يديه قوات مثل هذه ؟ ! أليس هذا هو النجار إبن مريم . . . ؟ ! » ٦ : ٢ ، ٣ ، فالإيمان إذن لا يقوم على مجرد أن يُبهر الانسان بآية أو معجزة وإنما يقوم على إتكاء صادق على صدر الرب المشبع للنفس .

٤ ــ طلب رؤساء الكهنة مع الكتبة آية فى لحظات الصلب ، قائلين : « لينزل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب لنرى ونؤمن » ١٥ : ٣٢ . طلبوا آية منظورة أن ينزل عن الصليب ، خلالها يؤمنون به ، ولم يدركوا أنه لو فعل ذلك لبهرهم كما لو كان إنسانا فائقاً للطبيعة « سوبرمان » ولكن ما كان يحقق عمله بكونه المسيح ملك اليهود روحياً ! رفض السيد أن يتمم آية منظورة بنزوله عن الصليب ، فاذا به يجتذب خلال مجد الصليب قلب اللص اليمين وأيضا قائد المئة ويشق حجاب الهيكل . . . أضاء مجد الصليب لا ليبهر الناس إنما ليجتذب ملايين النفوس إلى الإيمان ، وكأن الصليب قد صار الاعلان الحقيقى والعلامة أو الآية التى تمت لا بنزوله عنه وإنما باعلان حبه واتضاعه وبذله حتى الموت ليقيمنا من موتنا .

ما فعله هنا رؤساء الكهنة والكتبة إنما هو امتداد لحديث عدو الخير مع السيد المسيح الذى طلب منه أن يلقى بنفسه من جناح الهيكل ليبهر الجماهير فتؤمن به . . . لكن طريق السيد المسيح هو طريق الصليب لا إبهار الناس بعلامات فائقة !

٥ ــ حقاً قبيل صلبه قدم لتلاميذه آية هى تجليه أمامهم . . . لكنه حتى فى هذا العمل لم يهدف نحو تقديم آية باهرة وإنما كشف حقائق إيمانية تمس حياتهم معه ، فلو أراد إبهار الناس لحقق التجلى لا أمام ثلاثة من تلاميذه أو حتى جميع تلاميذه ورسله وإنما بالحرى كان يتجلى أمام الجماهير غير المحصية ليبهرهم بمجده . بمعنى آخر ما قدمه فى التجلى ليس آية ليبهر الناظرين إنما عطية وإعلان إلهى وكشف . . . أمور تقدم لمن يلتقى معه فى حياة سرية خفية داخلية ، ينعم بها بممارس الحياة السماوية الفائقة . فى كلمات أخرى لم يقدم التجلى لينال السيد دهشة الغير

واعجابهم وإنما ليسحب قلبهم لحياة الشركة مع الآب فى إبنه بالروح القدس كحياة عملية وخبرة صادقة .

وحين التقت المرأة نازفة الدم بالسيد تمتعت بقوة خرجت منه (٥ : ٣٠) لا خلال علامة أو آية ظاهرة تمتعت بها وانما خلال إيمانها بالقادر أن يشفى .

٦ ــ أخيراً إن كان السيد قد رفض تقديم آية من السماء أو علامة يؤكد بها شخصه ، فان أضداد المسيح والأنبياء الكذبة على العكس يقدمون الآيات ليخدعوا إن أمكن حتى المختارين (١٣ : ٢١ ــ ٢٣) .

سادساً : استرعى نظر بعض الدارسين أن الإنجيلى مرقس عبّر عن اعتقاده بأن السيد المسيح قد أراد أن تبقى طبيعته بكونه المسيح إبن الله سراً لا يود اعلانها حتى قيامته . فقد جاء تحليل W. Wrede[٢٠] لإنجيل مرقس يرتكز على أربعة أمور رئيسية هى أن السيد رفض الافصاح عن سـره كمسـيح مدة خدمته على الأرض ، وانه أعلن هـذا السر لتلاميذه دون الجماهير مع ذلك فحتى التلاميذ لم يستطيعوا إدراكه ، وأن الشياطين قد عرفته لكنه كان ينتهرها ولم يدعها تشهد له ، وأن اعمال الشفاء التى صنعها كانت تعلن عن هذا السر هذا كثيراً ما كان يطلب من المتمتعين بالشفاء ألا يعلنوا ذلك .

رأى دارس آخر ان عقيدة الإنجيلى مرقس بخصوص سرية طبيعة السيد المسيح واخفاء السيد لها تظهر من العلامات التالية[٢١] :

أ ــ اذ عرفته الشياطين منعها من الإخبار عنه (١ : ٢٥ ، ٣٤ ، ٣ : ١٢) .

ب ــ كان السيد المسيح يتجنب الإعلان عن معجزاته واشفيته (: ٤٤ ، ٥ : ٤٣ ، ٧ : ٣٦ ، ٨ : ٢٦) الا فى حالة واحدة اذ كان المتمتع بالشفاء غالباً أممياً أو يسكن بين الامم (٥ : ١٩ ، ٢٠) .

جـ ــ يميل السيد فى الغالب إلى الإنسحاب من الجماهير (: ٣٥ ، ٣ : ٧ ، ٤ : ٣٥ ، ٦ : ٣١ ، ٧ : ٢٤ ، ٨ : ٢٧ ، ٩ : ٣٠) .

د ــ رفضه تقديم آية لذلك الجيل (٨ : ٢١) .

هـ ــ فى أكثر من مرة كان يقدم تعليماً خاصاً لتلاميذه على إنفراد (٤ : ٣٣ ــ ٣٤ ، ٧ : ١٧ ــ ٢٣ ، ٩ : ٢٨ ــ ٣١) ، أما أمثاله التى

يقدمها للجماهير فكانت تحمل معانٍ سرية غير مدركة (٤ : ١٠ — ١٣) .

و — عدم إدراك الجماهير لأمثاله مره قساوة قلب الشعب اليهودى أو على الأقل قساوة قلب قادتهم (٣ : ٥ ؛ ٧ : ٦، ٧) .

ز — رفض السيد المسيح الاعلان عن طبيعته حتى يقوم إبن الإنسان من الأموات (٨ : ٣٠ ، ٩ : ٩) .

ولعل سرّ اخفائه لطبيعته يقوم على أساس روحى وهو أن السيد المسيح صاحب السلطان الحقيقى لا يطلب أمجاداً زمنية بل سلك فى إتضاع حتى متى قام كشف طبيعته لا ليتمجد ظاهرياً وإنما لكى يمجد الذين يؤمنون به ويتمتعون بقوة قيامته أو بحياته المقامة عاملة فيهم . ومن جانب آخر ، لعل اخفاءه الأمر كان لكى تتم مقاصده الإلهية من جهة صلبه ، إذ يقول الرسول بولس عن اليهود أنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد (١ كو ٢ : ٨) .

سابعاً : إن كان هذا السفر قد أبرز شخص السيد المسيح كخادم البشرية فقد جاء كمعلم لا بالعظات والوصايا فحسب وإنما بالحب العملى والحنان الإلهى فى قوة وسلطان يجذب النفوس إليه . وردت كلمة « يعلم » باليونانية « ديدسقلون » فى هذا السفر أكثر من أى سفر آخر فى العهد الجديد[٢٢] ، إذ تكرر هذا الفعل ١٥ مرة ، كما دعى السيد المسيح معلماً ١٢ مرة ، ليس فقط من السيد نفسه (١٤ : ١٤) ومن تلاميذه وجموع الشعب وإنما حتى من المقاومين له كالفريسيين والهيرودسيين والصدوقيين والكتبة .

قدمه لنا هذا السفر معلماً يتحرك فى كل اتجاه تارة يعلم فى المجمع والهيكل (١ : ٢١ ، ٦ : ٢ ، ١١ : ٧ ، ١٢ : ٣٥ ، ١٤ : ٤٩) وثانية نحو الجموع (٢: :١٣ ، ١٤ ، ٦ : ٣٤ ، ١٠ : ١) ، وثالثة نحو تلاميذه (٦ : ٣٠) .

فى تعليمه لم يستخدم النظام الخاص بالحاخامات ، فيتبعه تلاميذه كحاخام أو ربانى جديد يستمعون له ، وإنما يعيشون معه ويصاحبونه فى شركة عملية .

أما موضوع تعليمه الرئيسى فهو ليس مجموعة من التعاليم والوصاية بقدر ما هى تقديم نفسه ليقبلون[٢٣] وان كانوا لم يتعرفوا عليه حقاً إلا بعد قيامته . لقد قدم نفسه لهم كمتألم وحثهم على الشركة معه فى آلامه (٨ : ٣٤ ، ٩ : ٣١ ، ١٠ : ٣٢

الخ) . . . هذا هو موضوع تعليمه لهم ، وهو المكافأة ، يقبلونه فى حياتهم بصليبه وآلامه .

أخيراً فانه كمعلم جاء فريداً فى سلطانه ، فان كان اليهود كما الأمم قد اعتقدوا أن صراعاً مراً يقوم بين الخالق وقوى الشر الخفية الفائقة ، جاء السيد يطرد بسلطان الأرواح الشريرة مطهراً الخليقة التى استخدمها عدو الخير مراكز عمل له . لقد غلب قوى الشر الخفية وطردها من خليقته ، أما غلبته على القيادات اليهودية المقاومة وافحامهم إنما لكونها وكالات عمل لحساب قوى الشر[٢٤] .

بهذا يكون هذا السفر فى جوهره ليس عرضاً لحياة المعلم بل هو إنجيل الغلبة على قوات الشر وخلاص الخليقة من سلطانها خلال التمتع بالمعلم شخصياً كغالب ومنتصر !

ثامناً : إن كان الإنجيل بحسب مرقس قد إتسم بالاختصار الشديد ، لكنه فى نفس الوقت إتسم بالتدقيق والتوضيح ، فيذكر أن متى العشار هو ابن حلفى (٢ : ١٤) ، وبارتيماوس الأعمى إبن تيماوس (١٠ : ٤٦) ، وسمعان القيروانى هو أبو الكسندروس وروفس (١٥ : ٢١) . وعندما يصف معجزة إشباع الجموع يدقق أنهم اتكأوا مئة مئة خمسين خمسين (٦ : ٣٩ ، ٤٠) . كما دقق فى اعلان مشاعر السيد المسيح كمن كان معايناً لتصرفاته مدركاً أنه محب البشر . يكشف عنه انه يشاركنا عواطفنا وأحاسيسنا كمن هو قريب منا جداً ، فيقول عنه أن تحنن (١ : ٤١) وأشفق (٨ : ٢) وانتهر (١ : ٤٣) ونظر إلى الشاب وأحبه (١٠ : ٢١) واحتضن الأولاد (٩ : ٣٦ ، ١٠ : ١٦) . . . .

تاسعاً : كان مغرماً باستخدام التعبيرين : « للوقت » و « فى الحال » ، ليضع فى نفس القارىء ذات الأثر الذى يشعر هو به . كما استخدم صيغة المضارع فى سرد بعض الأحداث ليجعل منها واقعاً يحمل حركة مستمرة .

عاشراً : إنفرد بذكر معجزتين هما : شفاء الاصم الأعقد (٧ : ٣١ — ٣٧) وتفتيح عينى أعمى بيت صيدا (٨ : ٢٢ — ٢٦) ، كما انفرد بذكر مثل الحقل الذى ينمو زرعه دون أن يدرى الزارع كيفية نموه (٤ : ٢٦ — ٢٩) .

أقسامه ومحتوياته

١ـ بدء الخدمة	١ : ١ ـ ١٣.
٢ـ خدمته فى الجليل	١ : ١٤ ـ ٦ : ٣٠.
٣ـ انسحابه من الجليل	٦ : ٣١ ـ ٩ : ٥٠.
٤ـ خدمته فى بيرية	١٠.
٥ـ خدمته فى أورشليم	١١ ـ ١٣.
٦ـ آلام السيد وقيامته	١٤ ـ ١٦.

+ + +

الباب الأول

خدمته في الجليل

ص ١ - ص ٦ - ٣٠

الإصحاح الأول

بدء الخدمة

لم يفتتح القديس مرقس الانجيل بعرض أحداث الميلاد أو نسب السيد المسيح ، إنما وهو يكتب للرومان أصحاب السلطة يقدم لنا السيد المسيح ، إبن الله ، صاحب السلطان الحقيقى على النفس أو الحياة الداخلية كما على الجسد أيضا وحياتنا الظاهرة . إنه ابن الله الذى يفيض علينا بأعمال محبته الفائقة دون حب للسلطة أو شهوة للسطوة .

١ــ مقدمة السفر	١.
٢ــ خدمة يوحنا المعمدان	٢ ــ ٨.
٣ــ معمودية السيد المسيح	٩ ــ ١١.
٤ــ تجربته	١٢ ــ ١٣.
٥ ــ كرازته بالملكوت الجديد	١٤ ــ ١٥.
٦ ــ دعوته للتلاميذ	١٦ ــ ٢٠.
٧ ــ أعمال محبته الفائقة	
أ ــ إخراج روح نجس	٢١ ــ ٢٨.
ب ــ إبراء حماة سمعان	٢٩ ــ ٣٤.
جـ ــ إخراج الشياطين	٣٥ ــ ٣٩.
د ــ تطهير أبرص	٤٠ ــ ٤٥.

\+ \+ \+

١ — مقدمة السفر

« بدء إنجيل يسوع المسيح إبن الله » ع ١ . يفتتح الإنجيلى السفر باعلان موضوعه ألا وهو « إنجيل يسوع المسيح » ، أى الكرازة أو البشارة المفرحة للعالم وسرّها الخلاص الذى قدمه يسوع المسيح .

القديس مرقس هو الإنجيلى الوحيد الذى أعطى لسفره عنوان « إنجيل » ناسباً إياه ليسوع المسيح إبن الله . وكأن ما يقدمه فى هذا السفر ليس مجرد عرض لأحداث قد تمت إنما هو بشارة مفرحة لكل نفس تلتقى بيسوع بكونه « المخلص » ، وهو المسيح ، إذ مسحه الآب بروحه القدوس لتتميم عمل الفداء وإعلان محبة الثالوث القدوس العملية خلال الصليب . إنه إبن الله ، أى الحىّ القائم من الأموات والحاضر وسط كنيسته ليهبها قيامته عاملة فيها . هو إبن الله القادر وحده بذبيحته الفريدة أن يرفعنا إلى حضن أبيه لنحسب فيه أبناء الله .

والعجيب أن السفر يبدأ باعلان بنوة السيد المسيح للآب فى إفتتاحيته ، ويختم بدعوة السيد المسيح لتلاميذه أن يكرزوا للأمم ويعمدوهم وفيما هو يحدثهم يرتفع إلى السموات كما إلى حضن أبيه . بمعنى آخر يفتتح السفر ببنوة السيد للآب ويختتمه بدعوتنا للبنوة للآب خلال الايمان به ومياه المعمودية لنرتفع معه إلى حضن أبيه وننعم بسمواته . . . هذا هو غاية الإنجيل كله ، وهذا هو موضوع بشارته المفرحة : أن نحسب بالحق أولاد الله باتحادنا مع الآب فى إبنه الوحيد الجنس . وقد أوضح **القديس هيلارى أسقف بواتييه** التمييز بين بنوة السيد وبنوتنا نحن ، إذ يقول [يشهد « الإنجيلى » أن المسيح هو إبن الله حسب الطبيعة اللائقة به وليس بمجرد الإسم . نحن أبناء الله لكنه هو ليس إبناً مثلنا ، إذ هو الإبن ذاته بالطبيعة لا بالتبنى ، هو الإبن بالحق لا بالإسم ، بالميلاد لا بالخلقة(٢٥)] .

٢ — خدمة يوحنا المعمدان

إعتادت الشعوب قديماً أن يرسل الملك أو الإمبراطور من يهيء له الطريق ، أما ربنا يسوع المسيح فقد سبق فأعلن بأنبيائه عن السابق له « يوحنا المعمدان » بكونه ملاك الرب والصوت الصارخ فى البرية . يقول الإنجيلى : « **كما هو مكتوب فى الأنبياء : ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيء طريقك قدامك . صوت**

صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب إصنعوا سبله مستقيمة » ع ٢ ، ٣ .

جاء فى بعض النسخ « كما هو مكتوب فى إشعياء النبى » . . . وقد اقتبس القديس مرقس نبوتين عن « السابق للسيد » إحداهما من ملاخى النبى (٣ : ١) ، والأخرى من إشعياء (٤٠ : ٣) . والنبوتان تكشفان عن شخص « السابق للرب » الذى يهيىء له الطريق :

أولا : دعاه ملاخى « ملاك الرب » . . . وقد اعتادت الكنيسة أن تصور القديس يوحنا المعمدان بجناحين كملاك للرب . وهنا يليق بنا ألا نقبل الفكر الأوريجانى بأنه ملاك حقيقى حمل طبيعة بشرية لخدمتنا[٢٦] ، إنما دُعى ملاكاً من أجل حياته الملائكية وكرامته السامية كما يقول **الأب ثيؤفلاكتيوس بطريرك بلغاريا** (٧٦٥ — ٨٤٠ م)[٢٧] . ولعله دعى هكذا من أجل سمو رسالته ، فإن كلمة « ملاك » فى اليونانية كما فى اللاتينية تعنى « رسول » ، أُوفد مرسلاً قدام الرب لتهيئة الطريق له بالتوبة ، أو لعله دعى هكذا لأنه فى أول لقاء تم بينه وبين السيد لم يره حسب الجسد بل رآه بالإيمان وهو فى أحشاء أمه أليصابات حين ركض مبتهجاً عندما دخلت القديسة مريم إليها تحمل السيد فى أحشائها (لو ١ : ٤٤) . يقول **العلامة ترتليان** : [لم يُدع يوحنا ملاكاً للمسيح فحسب وإنما دعى إيضا سراجاً يضيىء أمامه ، إذ تنبأ داود : « رتبت سراجاً لمسيحى » مز ١٣٢ : ٣٥ ، بكونه ليس فقط أعد سبله فى البرية وإنما أشار أيضاً إلى حمل الله منيراً أذهان البشر بكرازته عنه ، ليدركوا أنه هو الحمل الذى اعتاد موسى أن يتحدث عنه بأنه يجب أن يتألم[٢٨]] .

ثانياً : دعاه إشعياء النبى « الصوت الصارخ فى البرية » ، فإن كان قد جاء كملاك رحمة يكشف لنا عن المخلص وينير أذهاننا لمعرفة حمل الله ، فهو أيضاً الأسد الذى يزأر بصوته المرعب فى برية قلوبنا القاحلة حتى لا تعتذر بعدم سماعها كرازته . كملاك يهيىء قلوبنا لحلول حمل الله المصلوب فينا ، وكصوت صارخ يهز أعماقنا القاحلة للترقب باشتياق عمل الله الخلاصى .

يميز **القديس كيرلس الكبير** بين السيد المسيح الكلمة وبين سابقه يوحنا الصوت ، فيرى الأول كالشمس الساطعة التى يسبقها كوكب الصبح المنير ، إذ

يقول : [كان إشعياء على علم بعمل يوحنا التبشيرى فبينما يسمى إشعياء المسيح إلهاً ورباً (إش ٩ : ٦) يشير الى يوحنا بأنه رسول خادم ومصباح يضىء قبل ظهور النور الحقيقى . هو كوكب الصبح الذى يعلن بزوغ الشمس من وراء الأفق ، فتبدد أشعتها الساطعة سجف الظلام الحالكة . كان يوحنا صوتاً لا كلمة ، يتقدم المسيح ، كما يتقدم الصوت الكلمة(٢٩)] .

هذا الصوت يدوى فى البرية لأنها قاحلة لا تحمل فى داخلها شجرة الحياة كما فى الفردوس الأول فى عدن ، غايته أن يُعلن عن السيد المسيح شجرة الحياة التى تغرس فى برية طبيعتنا ليقيم منها فردوساً فائقا بحلوله فيها . بهذا المعنى يقول **القديس أمبروسيوس** فى تعليقه على العبارة الإلهية : « كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية » لو ٣ : ٢ ، [قبل أن يقيم إبن الله أعضاء الكنيسة بدأ عمله فى خادمه يوحنا ، لهذا أظهر القديس لوقا كلمة الله حالاً على يوحنا بن زكريا فى البرية . . . تحقق هذا فى البرية الموحشة ، لأن بنى المستوحشة أكثر من التى لها أولاد (إش ٥٤ : ١) ، وقد قيل لها : « إفرحى أيتها العاقر التى لم تلد » إ ش ٥٤ : ١ . . . إذ لم تكن بعد قد زرعت وسط الشعوب الغريبة . . . ولم يكن بعد قد جاء ذاك الذى قال : أما أنا فمثل زيتونة مخصبة فى بيت الله » مز ٥٢ : ٨ ، ولم يكن قد وهب الكرام السماوى للأغصان ثمراً (يو ١٥ : ١) . إذن فقد رنَّ الصوت لكى تنتج البرية ثماراً(٣٠)] .

بماذا كان ينادى هذا الصوت الصارخ ؟ **« أعدوا طريق الرب ، اصنعوا سبله مستقيمة » ع ٣** . يرى **الأب ثيوفلاكتيوس** أن طريق الرب هو إنجيله أو العهد الجديد أما سبله فهى النبوات التى تقودنا إليه ، فكأن غاية يوحنا المعمدان أن نتقبل إنجيل الرب خلال الإدراك المستقيم لنبوات العهد القديم ورموزه .

كان هذا الصوت الذى يقود إلى السيد المسيح والتمتع بانجيله هو صوت التوبة المعلن لا بكلمات يوحنا المعمدان فحسب وإنما حتى بلباسه وطعامه ، فكانت حياته كلها صوتاً صارخاً يقود النفوس نحو المسيح ، لذلك يقول الانجيل : **« كان يوحنا يعمد فى البرية ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا . وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم واعتمدوا جميعهم منه فى نهر الأردن معترفين بخطاياهم ، وكان يكرز قائلاً : يأتى بعدى من هو أقوى منى الذى لست أهلاً أن انحنى**

وأحل سيور حذائه ، أنا عمدتكم بالماء وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس » ع ٤ — ٨ .

ويلاحظ فى هذا النص الآتى :

أ — كان موضوع كرازته هو « معمودية التوبة » للتمتع بغفران الخطايا . . . وقد حملت معموديته قوتها لا فى ذاتها وإنما فى رمزها لمعمودية السيد المسيح ، كما حملت الحية النحاسية فى أيام موسى قوة الشفاء من أجل رمزها للصليب . هكذا كان القديس يوحنا المعمدان يعدّهم بمعموديته للتمتع بمعمودية السيد المسيح ويدفعهم إليها حتى ينعموا لا بغفران الخطية فحسب وإنما بشركة الدفن مع السيد والقيامة ، لتكون لهم الحياة الجديدة المقامة (رو ٦ : ٤ ، ٥) . وكما يقول **القديس جيروم** : [كما كان هو سابقاً للمسيح ، كانت معموديته تمهيداً لمعمودية الرب[٣١]] .

ويرى **القديس أمبروسيوس** أن يوحنا المعمدان يمثل نهاية الناموس فى دفعه الانسان إلى التمتع بالمسيح وقيادة الكل إليه ، وذلك كما تقود التوبة إلى نعمة السيد لنوال المغفرة ، إذ يقول : [كانت الكلمة على يوحنا لينادى بالتوبة ، من هنا كان يوحنا فى نظر الكثيرين صورة للناموس الذى يكشف الخطية لكنه يعجز عن غفرانها . من كان سائراً فى طريق الأمم يرده الناموس عن ضلاله ويرجعه عن آثامه ويدفعه إلى التوبة لنوال الغفران ، إذ « كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا » لو ١٦ : ١٦ . هكذا هيأ يوحنا طريق المسيح يسوع مبشراً بالناموس وذلك كما تعلن الكنيسة عن النعمة بالتوبة] .

ب — يرى **القديس جيروم** فى القديس يوحنا المعمدان صورة حية للحياة النسكية فقد كانت أمه تقية وأبوه كاهناً ومع هذا لم تجتذبه عاطفة أمه ولا مركز أبيه بل إنطلق إلى البرية يطلب المسيح بعينى الإيمان رافضاً كل شىء سواه[٣٢] . وبقدر ما ترك القديس يوحنا العالم استطاع أن يسحب القلوب معه إلى البرية من العالم ، سحب جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم خلال رائحة المسيح الفائقة التى فاحت فيه .

ترك القديس يوحنا ملذات المدينة ومباهجها وانطلق إلى البرية يأكل العسل البرى والجراد . . . وكأنه قد جذب للسيد المسيح شعوب الأمم الجافة روحياً كعسل برى

يحمل عذوبة فى فم السيد ، ويحول من اليهود الذين صاروا كالجراد الساقط بسبب عدم طاعتهم للوصية إلى طعام شهى ! بمعنى آخر إذ نرفض مع يوحنا طعام العالم المبهج نكسب حتى نفوس الآخرين طعاماً شهياً للرب !

يرى **القديس أمبروسيوس** فى ملبس يوحنا المعمدان ومأكله كرازة نبوية عن عمل السيد المسيح ، اذ يقول : [تنبأ بملبسه عن مجيء المسيح الذى حمل نجاسات أعمالنا النتنة (كمنطقه من جلد الحيوانات الميتة) وخطايا الأمم الحقيرة (كوبر الإبل) ،طارحاً هذا اللباس الذى لأجسادنا على الصليب . وتشير المنطقة الجلدية إلى الجلد الذى كان ثقلاً على النفس لكنه تغير بمجىءالمسيح . . . إذ شملنا قوة تلهبنا روحياً فتمنطقنا بوصايا اللهبروح ساهره قوية وجسد مستعد متحرر . أما طعام يوحنا فحمل علامة على عمله وحوى سراً . . . فصيد الجراد عمل باطل بلا نفع لا يصلح للطعام ، والجراد يتنقل من موضع الى آخر بصوت مزعج هكذا شعوب الأمم كانت كالجراد ليس لها عمل نافع ولا نشاط مثمر ، تتمتم أصواتاً بلا معنى ولا إتزان ، وتجهل الحياة ، صارت طعاماً للنبى إذ تجمعت ونمت وازدادت فى أفواه الأنبياء (خلال دخولهم إلى كنيسة العهد الجديد) . . . أما العسل البرى فيصوّر لنا عذوبة الكنيسة التى جاءت من البرية ، إذ لم تحصد اعمالها فى حدود خلايا ناموس اليهود وانما امتدت الى الحقول ومواضع الغابة التى سبق فامتلأت بالظلال ، كما هو مكتوب : « سمعنا به فى أفراتة ووجدناه فى موضع الغابة » مز ١٣٢ : ٦ . كان يوحنا يأكل عسلاً بريا إشارة إلى الشعوب التى تشبع من عسل الصخرة ، كما هو مكتوب : « ومن الصخرة كنت أشبعك عسلاً » مز ٨١ : ١٦(٣٣)] . هكذا شبعت الأمم من السيد المسيح الصخرة بعسل كلماته العذبة التى سجلها بالحب على الصليب وبالقوة خلال قيامته المبهجة .

جـ — فى صراحة ووضوح أعلن القديس يوحنا المعمدان أنه ليس المسيح ، معموديته غير معمودية السيد ، وشخصه أقل من أن يقارن بشخص السيد . فمن جهة المعمودية يقول : « أنا عمدتكم بالماء وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس » . كانت معمودية يوحنا مجرد ظل أو رمز تمس غسلات الجسد أما معمودية السيد المسيح فبحق تقدس الجسد والروح معاً ، وكما يقول **القديس أمبروسيوس** : [الماء والروح لا يفترقان ، اذ اختلفت معمودية التوبة عن معمودية النعمة التى تشمل

العنصرين معاً ، أما الأولى فتخص عنصراً واحداً . ان كان الجسد والنفس يشتركان معاً فى الخطية فالتطهير واجب للاثنين] .

أما من جهة شخص السيد فيقول : « يأتى بعدى من هو أقوى منى الذى لست أهلاً أن أنحنى وأحل سيور حذائه » . يقول **القديس أمبروسيوس** : [لم يقصد يوحنا بهذه المقارنة إثبات أن المسيح أعظم منه ، فلا وجه للمقارنة بين إبن الله وانسان . إذ يوجد أقوياء كثيرون ، فإبليس قوى : « لا يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى وينهب أمتعته إن لم يربط القوى أولاً . مر ٣ : ٢٧ ، لكن لا يوجد من هو أقوى من المسيح ، دليل ذلك أن يوحنا لم يشأ أن يقارن نفسه بالمسيح بقوله : « لست مستحقاً أن أحل سيور حذائه(٣٤)] .

ح ــ يعلن القديس يوحنا أنه غير مستحق أن يمد يده ليحل سيور حذائه ، وكما سبق فرأينا أن فى هذا إشارة إلى اعلانه عن عجزه لادراك سرّ تجسده ، كيف صار كلمة الله إنساناً ؟ !(٣٥) . على أى الأحوال لقد أحنى السيد المسيح رأسه تحت هذه اليد المتضعة ليكمل كل بر ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [اليدّ التى أكد أنها غير مستحقة أن تمس حذائه سحبها المسيح على رأسه !(٣٦)] .

٣ .معمودية السيد المسيح

قدم لنا معلمنا متى البشير (مت ٣ : ١٣ ــ ١٧) معمودية السيد بكونها حفل تدشين أو تتويج للملك الحقيقى ليبدأ أعماله الملوكية مجتذباً كل نفس من مملكة الظلمة إلى مملكة النور خلال التمتع بالبنوة لله ، أما معلمنا مرقس البشير فإذ يقدم لنا السيد المسيح العامل والخادم للبشرية ليتشلنا بحبه العملى إلى التمتع بخلاصه ، فإنه يقدم لنا معمودية السيد قبل بدء خدمته الجهارية ليعلن غاية خدمته لنا وأعماله الخلاصية . . . وقد أبرز الإنجيلى خمسة أمور واضحة هى :

أولاً : الصعود من الماء : « وفى تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا فى الأردن ، وللوقت وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت » ع ٩ ، ١٠ . كان الصعود من الماء يؤكد أن السيد المسيح أسس المعمودية على التغطيس فى المياه ، لتأكيد شركتنا معه خلال الدفن معه فى القبر لنقوم أيضا معه ، كقول الرسول : « فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من

الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة » رو ٦ : ٤ . إنها صعود مع السيد من القبر لممارسة الحياة العملية بروح القيامة وقوتها .

المعمودية هى « صعود من المياه » ، وكأنها « خروج من البحر الأحمر » ، أو قل هى « حياة فصحية » ، خلالها لا ننطلق تحت قيادة موسى من بحر سوف متجهين فى البرية إلى أورشليم ، إنما بالحق هى خروج من القبر مختفين فى المسيح الرأس بكونه وحده غالب الموت ومحطم لأبواب الجحيم . بهذا يتحقق لنا ما إشتاق إليه أشعياء النبى القائل : « ذكر الأيام القديمة موسى وشعبه ، أين الذين أصعدهم من البحر مع راعى غنمه ؟ أين الذى جعل فى وسطهم روح قدسه ، الذى سيّر ليمين موسى ذراع مجده ، الذى شق المياه قدامهم ليصنع لنفسه إسماً أبدياً ؟ » إش ٦٣ : ١١ ، ١٢ . قال أحد الدارسين أن المعمودية فى الفهم السماوى هى يسوع الحامل شعب الله الجديد مولوداً خلال خروج جديد(٣٧) .

إن كان السيد قد ظهر صاعداً من المياه إنما ليعلن أنه منطلق بشعبه الجديد المتحد فيه ليهبه « البنوة للآب السماوى » ! هذه هى أرض الموعد التى يحملنا إليها يشوع الجديد بعبوره بهم نهر الأردن .

فى دراستنا لأسفار العهد القديم ارتبطت المياه بالعصر المسيانى كأحد ملامحه الرئيسية . وفى العهد الجديد ارتبطت بحياة السيد المسيح ، ففى نهر الأردن تجد الكنيسة لها موضعاً فى المسيح يسوع الذى يهبها البنوة ، وبعد صعوده ينطلق كصخرة موسى التى كانت تتبع الشعب لتفيض بمياه الروح القدس الحية فى عيد العنصرة وسط برية هذا العالم . فى أول خدمته الجماهيرية استخدم الماء ليحوله خمراً يفرح قلوب أصحاب العرس والمدعوين (يو ٢ : ١ — ١١) ، وعندما أعلن خطبته للأمم كعروس له خلال السامرية تمّ ذلك عند مياه بئر يعقوب (يو ٤) . حتى عندما علّم عن عمل المحبة تحدث عن كأس الماء البارد الذى يقدم لطفل فقير (مت ١٠ : ٤٢) ، وفى لحظات موته فاض من جنبه دم وماء،وعندما أشار إلى موضع الفصح أعطى جرة الماء علامة لمعرفة الموضع (مر — ١٤ : ١٣) ، وأخيراً عندما أوصى تلاميذه قبيل صعوده سألهم أن يعمدوا جميع الأمم . وكما يقول **العلامة ترتليان** : [يا لقدرة نعمة المياه فى نظر الله ومسيحه لتثبيت المعمودية ! لن تجد المسيح بدون المياه(٣٨) !] .

ما نود تأكيده هنا أن ما عمله السيد هنا لم يكن عن عوز . ولا لنفع خاص به انما اعتمد باسم الكنيسة كلها لأجلنا كي يصعد بنا من خطايانا ويخرجنا إلى مجد ميراثه بكونه الإبن الوحيد الجنس . مارس صعوده من المياه لحسابنا ، وكما يقول **القديس كيرلس الكبير** : [هل كان المسيح فى حاجة إلى العماد المقدس ؟ وأى فائدة تعود عليه من ممارسة هذه الفريضة ؟ فالمسيح كلمة الله ، قدوس قدوس كما يصفه إشعياء فى مختلف التسابيح (إش ٣ : ٦) ، وكما يصفه الناموس فى كل موضع ، ويتفق جمهور الأنبياء مع موسى فى هذا الصدد ! وما الذى نستفيده نحن من العماد المقدس ؟ لاشك محو خطايانا . ولكن لم يكن شيء من هذا فى المسيح ، فقد ورد « الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر » ابط ٢ : ٢٢ ، « قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات » عب ٧ : ٢٦ . . . فما عُمد المسيح إلا لتعليمنا بأن الإنسان الذى من ذرية داود وهو المتحد بالله الإبن عمد وقبل الروح القدس . . . مع انه لم ينفصل قط عن روحه (القدوس) قبل العماد . . . بل إذ هو المسيح الكلمة إبن الله الوحيد الذى يشترك مع الآب فى العظمة والسلطان لأنه بطبيعته الإبن الحقيقى يرسل الروح القدس إلى الخليقة ويهبه لكل من كان جديراً به ، إذ قال حقا : « كل ما للآب هو لى » يو ١٦ : ١٥[٣٩]]

ويقول **القديس أمبروسيوس** فى تفسيره لانجيل لوقا : [اعتمد الرب ذاته . . . لم يعمد ليطهر وانما ليطهر الماء ، فإذ نزل إليها المسيح الذى لم يعرف خطية صار لها سلطان على التطهير ، بهذا كل من يدفن فى جرن المسيح يترك فيه خطاياه] .

ثانيا : السموات المفتوحة : ان كان إشعياء النبى وهو يتطلع بروح النبوة قد اشتهى خروج الشعب الجديد لينعم بالحياة المقامة (إش ٦٣ : ١١ ، ١٢) ، فقد أدرك ان الأمر لا يحتاج إلى موسى عابر البحر الأحمر ولا يشوع مجتاز الأردن ، بل إلى ذاك الذى يشق السموات وينزل إلينا ، يزلزل جبالنا الجامدة ليرفعنا معه إلى حيث هو ،إذ يقول : « ليتك تشق السموات وتنزل ، من حضرتك تتزلزل الجبال » إش ٦٤ : ١ .

هكذا إذ إنشقت السموات عند عماد السيد المسيح ، إنما تحقق ذلك لأجلنا ، فصارت أبوابها مفتوحة أمامنا ، مفتاحها فى يدّى عريسنا ورأسنا ، بل صارت حياتنا

الداخلية ذاتها سموات مفرحة يسكنها رب السماء ! لقد تأكدنا أنه بمياه المعمودية صارت لنا مملكة السموات مفتوحة تستقبلنا خلال الرأس السماوى ! وكما يقول القديس كيرلس الكبير : [انفتحت السموات فاقترب الانسان من الملائكة المقدسين[40]] .

ثالثاً : نزول الروح عليه : رأى إشعياء النبى فى الخروج الرمزى على يدىّ موسى أن روح الرب الخفى هو الذى قاد الموكب ، إذ يقول : « روح الرب أراحهم ، هكذا قدت شعبك لتصنع لنفسك إسم مجد » إش ٦٣ : ١٤ ، وكانت تأكيدات الله لموسى على الدوام هى « انا أكون مع فمك » خر ٤ : ١٢ . أما فى الخروج الجديد فلا حاجة إلى تأكيدات ، فان القائد هو إبن الله الحىّ الواحد مع أبيه وروحه القدوس . نزول الروح عليه يعلن دور الروح القدس الذى سبق فكان يرف على وجه المياه ليجعل من الأرض الخالية الخاوية التى بلا شكل عالماً جميلاً . . . ها هو يرف على مياه الأردن ليقيم منا نحن الأموات جسداً حياً مقدساً للرأس القدوس النازل فى مياه الأردن . إنه الروح الإلهى الذى يشكل الشعب الجديد خلال الخروج الجديد !

لقد أكد **القديس كيرلس الكبير** فى تفسيره لإنجيل لوقا أن السيد المسيح فى لحظات العماد هو بعينه كلمة الله المتجسد ولم يكن قط منفصلاً عن روحه القدوس ، بل هو مرسل الروح القدس على كنيسته . فما حدث فى عماده كان لحسابنا ، إذ يقول : [حلّ أولاً على المسيح الذى قبل الروح القدس لا من أجل نفسه بل من أجلنا نحن البشر لأننا به وفيه ننال نعمة فوق نعمة . . . والآن أخذنا المسيح مثلنا الأعلى ، فلنقترب إلى نعمة العماد الأقدس . . . فيفتح لنا الله الآب كوى السموات ويرسل لنا الروح القدس ، الذى يقبلنا كأبناء له ، فإن الله الآب خاطب المسيح فى وقت عماده المقدس كأنه به وفيه قد قبل الانسان الساكن الأرض ، معلناً بنوة الجنس البشرى بالصوت الحلو القائل : « أنت إبنى الحبيب بك سررت » لو ٣ : ٢٢[41]] .

رابعاً : ظهور الروح مثل حمامة : إن كانت الحمامة تشير لإسرائيل أو كنيسة الله فى العهد القديم والعهد الجديد (مر ١١ : ١١ ، مز ٦٨ : ١٣ ، ٧٤ : ١٩

؛ نش ١ : ١٥ ، ٢ : ١٤ ، ٤ : ١ ، ٥ : ٢ ، ١٢) فظهور الروح القدس مثل حمامة إنما يؤكد الكنيسة المختفية فى المسيح ربنا ، إنها كنيسة روحية تحمل سماتها خلال الروح القدس الساكن فيها يهبها عمله الإلهى فيها بلا توقف . كأن الروح القدس بظهوره هكذا أشبه بأصبع الله الذى يشير لنا أننا نجد خلاصنا فى ذاك الحال فى مياه الأردن !

خمساً : سماع صوت من السماء : فى العهد القديم سمعنا الصوت الإلهى خلال النبوة : « هوذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى ، وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم » إش ٤٢ : ١ . والآن جاء الصوت عينه من السماء يؤكد أنه كلمة الله ، الإبن الوحيد الذى صار عبداً لتحقيق رسالة الخلاص وقيام الكنيسة فى مياه المعمودية .

جاء هذا الصوت من أجلنا نحن حتى ندرك أننا فيه ننعم بسرور الآب السماوى ونحسب أبناء له خلال مياه المعمودية وعمل روحه القدوس . فى هذا يقول **القديس كيرلس الكبير** : [المسيح كما سبقت وقلت هو حقاً إبن الله الوحيد ، وإذ صار شبهنا أُعلنت بنوته لا من أجل نفسه ، لأنه كان ولا يزال وسيبقى الإبن ، لكن هذه البنوة أُعلنت من أجلنا نحن البشر الذين صرنا أبناء الله ، لأن المسيح بكرنا وسندنا . هو آدم الثانى ، إذ ورد : « إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة ، الأشياء العتيقة قد مضت ، هوذا الكل قد صار جديداً » ٢ كو ٥ : ١٧ . لقد طرحنا عتاقة آدم الأول واستبدلنا بها جدّة آدم الثانى الذى به ومعه لله الآب المجد والسلطان مع الروح القدس من الآن وإلى أبد الآبدين[٤٢]] .

هكذا فى معمودية السيد المسيح ظهر الثالوث القدوس متمايزاً لكنه غير منفصل الإبن المتجسد صاعداً من المياه لكى يهبنا الخروج من خطايانا لندخل به وفيه إلى شركة أمجاده ، والروح القدس نازلاً على شكل حمامة ليقيم كنيسة المسيح الحمامة الروحية الحاملة سمات سيدها ، وصوت الآب صادراً من السماء يعلن بنوتنا له فى إبنه ويقيم منا حجارة روحية حية ترتفع خلال السموات المفتوحة لبناء الكنيسة الأبدية . هكذا ظهر الثالوث القدوس لبنياننا بالله ، لذا دعى عيد عماد السيد بعيد الظهور الإلهى ، لكن يجب تأكيد ما قاله القديس أغسطينوس : [هذا ما نتمسك

به بحق وغيرة شديدة ، وهو أن الآب والإبن والروح القدس ثالوث غير قابل للانفصال ، إله واحد لا ثلاثة[٤٣]] .

٤ ــ تجربته

احتلت التجربة دوراً رئيسياً فى خلاصنا ، فقد دخل الملك فى معركة علانية مع العدو الشرير بعد تتويجه لحساب شعبه . وقد أوردها مارمرقس الإنجيلى فى اختصار شديد إن قورنت بما ورد فى مت ٤ : ١ ــ ١١ ، لو ٤ : ١ ــ ١٣ ، وقد سبق لنا عرض الكثير من أقوال الآباء عنها[٤٤] .

صوّر القديس مرقس التجربة بطريقة حية ، قائلاً : « **وللوقت أخرجه الروح إلى البرية ، وكان هناك فى البرية أربعين يوماً يجرب من الشيطان ، وكان مع الوحوش ، وصارت الملائكة تخدمه** » ع ١٢ ، ١٣ . لقد رأى كثير من الدارسين أن إنجيل مرقس بكامله هو « سفر الألم » ، يمثل عرضاً لتجربة السيد المسيح المستمرة وصراعه ضد إبليس والأرواح الشريرة إما مباشرة أو خلال خدامه الساقطين تحت سلطانه يعملون لحسابه . فما حدث خلال الأربعين يوماً فى البرية لم يكن إلا بداية معركة ذروتها عند الصليب حيث اشتهى العدو الخلاص منه ، وإذ صلب السيد وجد العدو نفسه مصلوباً ومجرداً من كل سلطان . وكما يقول الرسول : « إذ جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاداً ظافراً بهم فيه (فى الصليب) » كو ٢ : ١٥ .

ركز الإنجيلى مرقس على النقاط التالية :

أولا : أخرجه الروح إلى البرية ، فإن كان الروح القدس الذى هو واحد مع المسيح قد أخرجه للمعركة ، إنما ليعلن أننا منطلقون معه بالروح القدس إلى ذات المعركة ، نحمل فى جعبتنا إمكانيات إلهية للجهاد والصراع ، فهى معركة رابحة دون شك لمن يقوده روح الرب ! هى معركة الله لسنا نحن طرفاً فيها إنما أداة فى يدّ الله ، لهذا يقول **القديس يوحنا سابا** : [المؤمن الذى له دالة عند الله ، لو قامت عليه كل الخليقة تحاربه بأصوات وسحب لا تستطيع أن تهزمه ، لأن جميع ما يتكلم به ذلك الإنسان فمثل الله يتكلم ، وكل البرايا تطيعه ، أى تطيع الله الساكن فيه[٤٥] » .

إننا نغلب إن أخرجنا الروح القدس نفسه إلى المعركة الروحية مختفين فى الرأس المسيح ، لا إن خرجنا بأنفسنا ، لذلك يقول **القديس كيرلس الكبير** : [الآن صرنا بالمسيح ممجدين بنصرته ، بينما كنا قديماً منهزمين بآدم الأول . تعالوا نسبح للرب ونرتل أناشيد الفرح لله مخلصنا ، ولندس الشيطان تحت أقدامنا ، ونهلل جذلين بسقوطه فى المذلة والمهانة ، ولنخاطبه بعبارة أرميا النبى : « كيف قطعت وتحطمت مطرقة كل الأرض . . . قد وجدت وأمسكت لأنك قد خاصمت الرب » أر ٥٠ : ٢٣ ، ٣٤ . منذ قديم الزمان وقبل مجىء المسيح مخلص العالم أجمع والشيطان عدونا الكبير يفكر إثماً وينضج شراً ويشمخ بأنفه على ضعف الجبلة البشرية ، صارخاً : « أصابت يدى ثروة الشعوب كعش ، وكما يُجمع بيض مهجور جمعت أنا كل الأرض ولم يكن مرفرف جناح ولا فاتح فم ولا مصفصف » إش ١٠ : ٤ . والحق يُقال لم يجرؤ أحد على مقاومة إبليس إلا الإبن الذى كافحه كفاحاً شديداً وهو على صورتنا ، ولذلك انتصرت الطبيعة فى يسوع المسيح ، ونالت إكليل الظفر والغلبة . منذ القديم يخاطب الإبن ــ على لسان إنبيائه ــ عدونا اللدود إبليس بالقول المشهور : « هأنذا عليك أيها الجبل المهلك ، المهلك كل الأرض » أر ٥١ : ٢٥[٤٦]] .

يقول **القديس أمبروسيوس** : [لو لم يجربه إبليس لما انتصر الرب لأجلى بطريقة سرية ليحرر آدم من السبى[٤٧]] .

ثانياً : صراعه فى البرية مع الشيطان أربعين يوماً بما يشير إلى الشعب القديم الذى بقى فى البرية أربعين سنة مصارعاً فى تجارب كثيرة لكنه فشل فى دخوله أرض الموعد بالرغم من خروجه من أرض العبودية . أما نحن فصار لنا القائد الجديد يخفينا فيه ، يحارب عنا ويهبنا النصرة والغلبة ليدخل بنا لا إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً بل إلى الحضن الإلهى الأبدى .

ثالثاً : لعله أراد بهذا النص الإنجيلى تأكيد أن العدو الوحيد للسيد المسيح هو الشيطان الذى دخل معه فى معركة ، أما الخليقة أيا كانت هذه فهى موضع حبه . إن كان البشر قد صاروا بالخطية كالوحوش فقد جاء ليحل فى وسطهم ، إذ يقول : « وكان مع الوحوش » ، حتى بحلوله يحول الوحوش الشرسة إلى سمائيين .

ولعل قوله « وكان مع الوحوش وصارت الملائكة تخدمه » يشير إلى العصر المسيانى الذى تنبأ عنه كثير من الأنبياء ، فيه ينزع الطبع الوحشى « فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى والعجل والشبل والمسمن معاً وصبى صغير يسوقها ، والبقرة والدبة ترعيان . تربض أولادهما معاً ، والأسد كالبقر يأكل تبناً » إش ١١ : ٦ — ٩ (إش ٦٥ : ٢٥ ، هو ٢ : ١٨) . هكذا تلتقى الوحوش مع الملائكة ، فتتحول الوحوش إلى ملائكة ، وتبتهج الملائكة بعمله فى الوحوش .

لعله إيضا يقصد بالوحوش الشر (مز ٢٢ : ١٣ — ٢٢ ، إش ١٣ : ٢١ ، ٢٢ ، حز ٣٤ : ٥ ، ٨ ، ٢٥) فقد جاء السيد إلى البرية ليحارب الشر فى عقر داره .

رابعاً : لم يكن السيد محتاجاً أن تخدمه الملائكة ، لكنه كما من أجلنا أخرجه روحه القدوس إلى البرية ليعيش وسط الوحوش فى سلام هكذا من أجلنا صارت الملائكة تخدمه . وكأن فيه تستدنا كل الخليقة : تسكن معنا الوحوش كما فى فلك نوح لا تسىء إلينا ، وتخدمنا الملائكة بحراسها لنا وصلواتها عنا ومعنا !

٥ — كرازته بالملكوت الجديد

« وبعدما أسلم يوحنا جاء المسيح إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » ع ١٤ ، ١٥ .

أ — إن كان يوحنا يمثل الناموس الشاهد لانجيل المسيح المفرح ، فانه ما كان يمكن للكرازة بالانجيل أن تنطلق فى النفس بالبهجة مالم يُسلم أولاً حرف الناموس القاتل ، فينطلق الروح الذى يبنى . لقد جاء الناموس يقودنا إلى السيد المسيح ، لكن إذ تمسك الإنسان بالحرف الناموسى كان يجب أن يُسلم الحرف حتى ينفتح لنا باب الروح ، كما قال **القديسان أمبروسيوس وهيلارى أسقف بواتييه**(٤٨) .

ب — انسحاب السيد إلى الجليل عند القبض على يوحنا يكشف عن رغبته فى عدم مقاومة الشر ، وكما يقول **الأب ثيؤفلاكتيوس** : [لكى يظهر لنا انه يجب ان تنسحب فى الاضطهادات ولا ننتظرها ، لكن إن سقطنا تحتها نثبت فيها(٤٩)] . انسحب السيد ليس خوفاً من الألم أو الضيق إنما ليتمم رسالته من أشفية وتعاليم حتى ينطلق إلى الموت فى الوقت المعين من أجل مضايقيه أنفسهم ومضطهديه .

حـ ــ كان موضوع كرازة السيد هو كال الزمان واقتراب الملكوت بمجيئه لكي ينعم المؤمنون به وبإنجيله خلال التوبة . . . يقدم السيد المسيح نفسه موضوعاً للكرازة ، به كمل الزمان وحلّ ملكوت الله فينا لننعم بخلاصه . ولعله يقصد بكمال الزمان بلوغ الناموس نهايته بمجيئه ليحقق ما قادهم إليه الناموس ، وأيضا تحقيق النبوات فيه .

يحدثنا **القديس يوحنا سابا** عن هذا الملكوت ، قائلاً : [إعطنا يارب أن ندخل بك إلى هيكل أنفسنا ، وفيه ننظرك يا ذخيرة الحياة المخفية . . . طوبى للذى يشخص إليك دائما فى داخله فإن قلبه يضيء لنظر الخطايا(٥٠)] .

د ــ من جانب الله كملت النبوات وحلّ ملكوته واقترب جدا من كل نفس ، بقى من جانب الإنسان التوبة وقبول كلمة الإنجيل : « فتوبوا وآمنوا بالانجيل » . يحدثنا **القديس يوحنا سابا** عن فاعلية التوبة فيقول : [من ذا الذى لا يحبك أيتها التوبة ، يا حاملة جميع التطويبات إلا الشيطان ، لأنك غنمت غناه وأضعت قناياه(٥١)] .

هـ ــ يفهم من التعبير « أُسلم يوحنا » أن القبض على يوحنا كان بناء على خيانة من اليهود ، لكن وإن كان قد أسلم وسجن فإن القيود والسجن لم تعق الكرازة بل صارت علة إتساع لها .

٦ ــ دعوة للتلاميذ

لم يأت السيد المسيح كخادم للبشرية يعمل بلا توقف فحسب وانما أقام تلاميذ له يحملون ذات روحه ، يعمل بهم ويخدم بواسطتهم . يروى لنا القديس مرقس دعوة أربعة من هؤلاء التلاميذ اختارهم السيد من بين صيادى السمك الأميين للعمل ، هم سمعان واندراوس ، ويعقوب ويوحنا إبنى زبدى . وقد اختارهم أميين كما يقول **العلامة أوريجانوس والقديس جيروم**(٥٢) لكى لا ينسب نجاحهم فى العمل للفصاحة والفلسفة وإنما لعمله الإلهى فيهم .

اختارهم السيد على دفعتين من عند بحر الجليل ، وهو بحيرة عذبة يبلغ طولها ٢٣ ميلاً يحدها الجليل غرباً ويصب فيها نهر الأردن من الشمال ، ويسمى بحيرة جنيسارت وبحيرة طبرية نسبة للمناطق التى تحيط به .

يرى **الأب ثيؤفلاكتيوس**[٥٣] أن سمعان وأندراوس كانا تلميذان ليوحنا المعمدان (يو ١ : ٣٥ — ٤٠) إذ سمعا معلمهما يشهد للسيد المسيح تبعاه ، لكنهما كانا يعودان للصيد مع أبيهما الشيخ ، لهذا ما ورد هنا فى إنجيل مرقس لم يكن اللقاء الأول بين السيد وبينهما ، لكن دعوة السيد لهما سحبتهما من العمل الزمنى للتكريس الكامل للتلمذة والكرازة .

فى نص منسوب **للقديس جيروم** يقول أن هؤلاء التلاميذ الأربعة هم أشبه بالفرس الحاملة للمركبة المنطلقة بإيليا الى السماء ، أو قل هم أربعة حجارة حية أقامها السيد لبناء الكنيسة الحيّة .

ولعل هؤلاء الأربعة بأسمائهم يشيرون إلى الفضائل الأربعة اللازمة فى الحياة المسيحية أو التلمذة للسيد ، فالأول سمعان يعنى الاستماع أو الطاعة للرب ولوصيته وقد لقب بيطرس أى الصخرة ، لأن كل طاعة للرب إنما تقوم على صخرة الإيمان . وأندراوس يعنى الرجولة أو الجدية ، إذ كثيرون يقبلون الإيمان بالفكر لكن بغير جدية حياة أو عمل . ويعقوب يعنى التعقب والجهاد أو المصارعة الروحية حتى النهاية ، وأخيراً يوحنا يعنى الله حنان أو منعم ، اذ لا قبول لدعوة الله وتمتع بالتلمذة مالم ينعم الرب بها علينا ويتحنن .

ويرى الأب ثيؤفلاكتيوس أن هؤلاء الاربعة بدأوا ببطرس المعروف بانهماكه فى العمل وانتهوا بيوحنا المعروف بحياته التأملية ، الأول فى رأيه يشير للحياة العاملة والثانى للحياة التأملية . . . فلا بلوغ للتمتع بالتأمل فى الإلهيات مالم تكن لنا الحياة العاملة المجاهدة أولا ! وإن كان بالحقيقة يصعب عزلهما أو فصلهما إذ هما حياة واحدة .

وأخيراً دعاهم من بحر الجليل ، كما من بحر هذا العالم لكى يرفعهم فوق أمواجه وينتشلوا كل نفس سحبتها دوامته !

٧ — أعمال محبته الفائقة

بسرعة فائقة استعرض القديس مرقس حديثه عن يوحنا المعمدان السابق للرب وعماد السيد وتجربته وكرازته ودعوته لأربعة من تلاميذه لكى يقدم جوهر إنجيله : « المسيح خادم البشرية » ، يجول يخدم باتضاع وحب لكن بسلطان وقوة . وقد قدم

لنا فى هذا الأصحاح عينات لأعماله دون الإلتزام بالترتيب التاريخى ، إنما إهتم بتقديم فكر إنجيلى يمس لقاءنا مع السيد العامل لأجلنا وفينا .

أ ــ اخراج روح نجس

قدم لنا الإنجيل أول عمل للسيد فى يوم سبت داخل مجمع يهودى فى كفرناحوم حيث كان يعلم بسلطان وليس كالكتبة (ع ٢٢) ، ليخرج روحاً شريراً بعد أن ينتهره رافضاً شهادته له ، لذلك « **تحيروا كلهم حتى سأل بعضهم بعضا قائلين : ما هذا ؟ ! ما هو هذا التعليم الجديد ؟ ! لأنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه** » ع ٢٧ .

لماذا بدأ القديس مرقس بعرض هذه المعجزة فى حديثه عن أعمال السيد ؟

أولا : لقد أراد القديس مرقس أن يعلن أن المسيح معلم فريد فى نوعه ، شهد له السامعون أنفسهم الذين بهتوا من تعليمه ، وقالوا : « ما هذا التعليم الجديد ؟ ! » . لقد كان الكتبة يشرحون الناموس فى المجمع كل سبت ، لكنهم يقدمون كلمات بشرية من عندياتهم وحتى إن نطقوا الكلمات الإلهية يتفوهون بها من قلب جاف ونفس فارغة ، أما السيد المسيح فهو كلمة الله عينه الجاذبة للنفس ، يتحدث فيخترق النفس إلى أعماقها (عب ٤ : ١٢) . يقول **القديس كيرلس الكبير** : [رأوا أمامهم معلماً لا يخاطبهم كنبى فحسب بل كإله عظيم تجثو له الروح قبل الجسد ، رب الناموس(٥٤)] .

ثانياً : من جهة المكان فقد دعى كفرناحوم أى كفر النياح أو الراحة ، ومن جهة الزمن فكان يوم السبت أو الراحة ، ومن جهة العمل أخرج الرب الروح الشرير محطم الانسان روحاً وجسداً . وكأنه حيثما حلّ السيد يجعل منا موضعاً للراحة الحقة ، ويحوّل زماننا إلى سبت لا ينقطع ، طارداً عنا كل روح خبيث محطم لحياتنا . غاية السيد المسيح هو راحتنا الحقة فيه ! وكما يقول **القديس يوحنا سابا** : [أيها المتعب والثقيل الأحمال ضع رأسك على ركبتى ربك واسترح . اتكىء على صدره واستنشق رائحة الحياة بجبلتك . واتكىء عليه إذ هو مائدتك ، ومنه تتغذى . نق مرآتك وبدون شك سيظهر لك نور الثالوث . اجعل هذا فى قلبك فتشعر أن الله حىّ فيك ، لأنك أنت صورة الله يا إنسان(٥٥) .

ثالثا : تعرف الشيطان أو الروح النجس على السيد المسيح بكونه قدوس الله الذى تجسد باتضاع . . . وقد أدرك ان اتضاع السيد يغلب كبريائه ، وقد حسب ان الوقت قد حان لإدانته لذلك « صرخ قائلاً : **آه ! مالنا ولك يا يسوع الناصرى ، أتيت لتهلكنا . أنا أعرفك ، من أنت ؟ قدوس الله** » ع **٢٤** . لقد رفض الرب شهادته منتهراً اياه ، قائلاً : « **اخرس واخرج منه** » ع **٢٥** . وفيما يلى تعليقات بعض الآباء على هذا الموقف :

+ حتى الشياطين تنطق باسم الله ، ومع ذلك فهم شياطين . . . كان ينتهرهم ويخرجهم . لهذا اسألكم أن تتنقوا من هذا الخطأ (النطق باسم الله باطلا) .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٥٦)

+ ما قاله بطرس (مت ٨ : ٢٩) نطقت به أيضا الشياطين ، الكلمات واحدة لكن الذهن مختلف . . . فان إيمان المسيحى يقوم على الحب ، أما إيمان الشياطين فبلا حب . . . بطرس نطق بهذا لكى يحتضن المسيح ، أما الشياطين فنطقت بهذا لكى يتركها المسيح .

القديس اغسطينوس(٥٧)

+ « الشياطين يؤمنون ويقشعرون » يع ٢ : ١٩ . الإيمان له قدرته لكنه بدون المحبة لا ينفع شيئاً ، فقد اعترف الشياطين بالمسيح ، وكان اعترافهم نابعاً عن إيمان بلا حب . . . لا تفتخر بالإيمان إن كان على مستوى الشياطين .

القديس أغسطينوس(٥٨)

+ يا لعظم قوة اتضاع الله التى ظهرت فى أخذه شكل العبد ، فقد غلبت كبرياء الشياطين ، وقد عرفت الشياطين ذلك حسنا ، معبرين عن ذلك للرب الملتحف بضعف الجسد . لقد قالوا : « مالنا ولك (ماذا نفعل بك) يا يسوع الناصرى ؟ !... » يظهر فى هذه الكلمات انهم اصحاب معرفة لكن بلا محبة ، والسبب فى هذا أنهم كانوا يرتعبون من عقوبتهم بواسطته ولا يحبون بره .

القديس أغسطينوس(٥٩)

+ حسب الشيطان خروجه من الإنسان هلاكاً له ، فإن الشياطين لا ترحم ،

تحسب نفسها أنها تعانى شراً إذا لم تند البشر !

الأب ليؤفلاكتيوس(٦٠)

+ عرفته الشياطين بالقدر الذى سمح الله لهم أن يعرفوه ، لكنهم لم يعرفوه كما يعرفه الملائكة القديسون الذين ينعمون بشركة أبدية بكونه كلمة الله ...

القديس أغسطينوس(٦١)

+ الحق لا يحتاج إلى شهادة أرواح نجسة . . . ليتنا لا نصدق الشياطين حتى إن أعلنوا الحق

المدعو ذهبى الفم(٦٢)

+ لم يدع المسيح الشياطين أن يعترفوا به لأنه لا يليق أن يغتصبوا حق الوظيفة الرسولية . كذلك لا يجوز أن يتكلموا بألسنة نجسة عن سرّ المسيح الفدائى ، نعم يجب ألا تصدق هذه الأرواح الشريرة حتى ولو تكلمت صدقاً ، لأن النور لا يُكشف بمساعدة الظلام الدامس ، كما أشار إلى ذلك رسول المسيح بالقول : « وأية شركة للنور مع الظلمة ، وأى اتفاق للمسيح مع بليعال ؟ ! » ٢ كو ٦ : ١٤ ، ١٥(٦٣)] .

ب ــ إبراء حماة سمعان

« ولما خرجوا من المجمع جاءوا للوقت إلى بيت سمعان واندراوس مع يعقوب ويوحنا ، وكانت حماة سمعان مضطجعة محمومة ، فللوقت أخبروه عنها ، فتقدم وأقامها ماسكاً بيدها ، فتركتها الحمى حالاً وصارت تخدمهم » ع ٢٩ ــ ٣١ .

سبق لنا الحديث عن إبراء حماة سمعان فى دراستنا لانجيل متى (٨ : ١٤ ، ١٥) ، وقد رأينا كلمات **القديس أمبروسيوس**(٦٤) أن حماة سمعان تمثل جسدنا الذى أصابته حمى الخطايا المختلفة فصار أسير الألم ، مطروحاً بلا عمل ، يحتاج إلى طبيب قادر أن يحله من رباطات المرض . ويلاحظ فى هذا العمل الذى صنعه الرب الآتى :

أولاً : يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن السيد المسيح كان منطلقاً من المجمع

فى كفرناحوم إلى بيت سمعان بطرس ليأكل ، مدللاً على ذلك بقوله الإنجيلى : « فتركته الحمى حالاً وصارت تخدمهم » ع ٣١[٦٥] ، فقد انفتح هذا البيت لخدمة السيد فجاء السيد يخدمه . كأنه كلما خدمنا إلهنا يسوع المسيح إنما فى الحقيقة ننال خدمته وننعم بعمله الفائق فينا .

يرى ذهبى الفم أن سمعان لم يستدع السيد ليشفى مريضته بل انتظره حتى يتمم عمله التعليمى فى المجمع ويحقق أشفية لكثيرين وعندئذ لما جاء السيد إلى بيته سأله من أجلها . [هكذا منذ البداية تدرب أن يفضل ما هو للآخرين عما هو لنفسه] .

ثانياً : يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن السيد المسيح [لم يستنكف من الدخول إلى أكواخ صيادى السمك البسطاء ، معلماً إياك بكل وسيلة أن تطأ الكبرياء البشرى تحت قدميك[٦٦]] ، كما يعلل تركه المجمع وانطلاقه إلى كوخ بسيط ليشفى مريضة بقوله : [بهذا كان يدربنا على الاتضاع ، وفى نفس الوقت كان يلطف من حسد اليهود له ، ويعلمنا ألا نفعل شيئاً بقصد حب الظهور[٦٧]] .

هذا أيضا ما أكده **القديس أغسطينوس** بقوله : [لقد أرادهم أن يفهموا أعماله أنها ليست بقصد الإعجاب وانما قدمها عن حب لأجل الشفاء[٦٨]...]

فى اخراجه للشيطان أو الروح النجس نطق السيد بسلطان ليكتم أنفاسه ويخرجه ، ولئلا يظن أحد فى هذا حباً للظهور عندما التقى بمريضة أمسك بيدها فتركتها الحمى حالاً . . . إنه صاحب سلطان حقيقى بكلمته كما بلمسة يديه المترفقتين بنا !

وللقديس كيرلس الكبير تعليق جميل على استخدام لمسة يده فى الشفاء ، إذ يقول : [أرجو أيضا أن تلاحظوا قوة جسده المقدس إذا ما مسّ أحداً ، فإن هذه القوة تقضى على مختلف الأسقام والأمراض ، وتهزم الشيطان وأعوانه ، وتشفى جماهير الناس فى لحظة من الزمن . ومع أن المسيح كان فى مقدوره أن يجرى المعجزات بكلمة منه ، بمجرد إشارة تصدر عنه ، إلا أنه وضع يديه على المرضى ليعلمنا أن الجسد المقدس الذى إتخذه هيكلاً له كان به قوة الكلمة الإلهى . فليربطنا الله الكلمة به ، ولنرتبط نحن معه بشركة جسد المسيح السرية ، فيمكن للنفس أن تشفى من أمراضها

وتقوى على هجمات الشياطين وعدائها[٦٩]] .

ثالثاً : يقدم لنا الانجيل السيد المسيح كخادم الكل يعمل بلا توقف ، يخدم وسط الجماهير فى مجمع كفرناحوم بقوة حتى « خرج خبره للوقت فى كل الكورة المحيطة بالجليل » ع ٢٨ ، وفى نفس الوقت ينسحب إلى كوخ صغير ليشفى سيدة محمومة ، وإذ يلتف الكثيرون حول الباب يخرج اليهم ليشفى كثيرين ويخرج شياطين كثيرة . إنه يعمل أينما وجد ليجتذب الكل بحبه العملى إلى أحضانه الإلهية .

رابعاً : لعل مجمع كفرناحوم يشير إلى جماعة اليهود الذين بينهم من به روح نجس خلال عدم الإيمان ، فجاء السيد إليهم ينتهر هذا الروح الشرير ليكسبهم إليه كأعضاء جسده . . . **أما انطلاقه إلى بيت سمعان ليلتقى بحماته المحمومة** فيشير الى عمله بين الأمم لينزع عنهم حمى الوثنية والرجاسات الشريرة ، ويحول طاقاتهم لخدمته . هكذا جاء السيد إلى العالم كله ليخلص الجميع .

لقد جاء ليشفى حماة بطرس المحمومة بعد أن إنتهر الروح النجس وأخرجه ، منقذاً الشعوب بربطه للعدو إبليس وتحطيم سلطانه وطرده من القلوب !

خامساً : استخدم القديس مرقس فى تعبيره « **أقامها** » ع **٣١** الفعل اليونانى egeiro الذى غالباً ما يُستخدم فى قيامة السيد المسيح نفسه (مر ١٤ : ٢٨ ، ١٦ : ٦ ، ١ كو ١٥ : ٤ ، أع ٣ : ١٥ ، ١٣ : ٣٧)[٧٠] ، وكأنها لم تكن فى حاجة إلى من يشفيها من مرض جسدى بل من يقيمها من الموت . إحتاجت إلى واهب القيامة نفسه يقيمها معه !

سادساً : يقول الانجيل : « **وأقامها ماسكاً بيدها فتركتها الحمى حالاً وصارت تخدمهم** » ع **٣١** . تلامسنا مع رب المجد يسوع ينزع حمى المرض أو لهيب الشر الحار لا لنحيا فى برود الروح بل فى لهيب جديد هو لهيب الروح العامل والخادم للكل ، إن لم يكن بكرازة الوعظ فبالقدوة والصمت . تتحول حياتنا إلى لهيب مشتعل بالروح القدس يلهب الآخرين ويلتهب معهم بالروح ، وكما يقول **الشيخ الروحانى** : [كما أن النار لا تنقص ولا تضعف قوتها إذا أخذت منها مشاعل كثيرة هكذا الذى يسكن فيه الروح القدس إذا أعطى نعمة لآخرين لا ينقص] .

سابعاً : شفاء حماة بطرس جذب المدينة كلها ليتمتع الكثيرون بالشفاء إيضا ، إذ يقول الإنجيل : **ولما صار المساء إذ غربت الشمس قدموا إليه جميع السقماء والمجانين ، وكانت المدينة كلها مجتمعة على الباب ، فشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة وأخرج شياطين كثيرة ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه »** ع ٣٢ ـ ٣٤ . لقد جاءوا اليه بجميع السقماء والمجانين بعد الغروب ، إذ كان اليوم سبتاً ولم يكن بعد يقدر اليهود أن يدركوا السبت بالمفهوم الروحى كيوم راحة يمكن أن تتم فيه أشفية للنفوس المتعبة فانتظروا فى حرفية جامدة حتى ينتهى السبت بالغروب . أما قوله « شفى كثيرين » ولم يقل « شفى الجميع » ، فربما لأن عدم إيمان القلة منهم حرمهم من عمله الإلهى . واذ رأت الشياطين ما فعله السيد أدركت من هو فكان ينتهرها ويرفض شهادتها له ، طارداً الكثيرين منهم !

يمكننا أن نقول إذ تجسد كلمة الله وسط اليهود وحلّ بينهم حوّل الزمن إلى نهار وشفى نفوساً منهم (حماة بطرس) كالتلاميذ والرسل والمريمات . . . وإذ صعد بالجسد كأن المساء قد حلّ والشمس غربت فجاءت جموع الشعوب والأمم من كل العالم تجتمع على الباب تطلب عمل المسّيا فيها ، فشفى الرب الكثيرين وطرد شياطين كثيرة ، إذ تحولت حياة الكثيرين من الوثنية إلى الإيمان المسيحى . بمعنى آخر بصعوده ، أى بغروب الشمس انفتح الباب للأمم ليتمتعوا بالايمان مع التوبة الصادقة لينالوا ملكوت الله داخلهم عوض مملكة إبليس المهلكة !

حـ ـ اخراج شياطين

« وفى الصبح باكراً جداً قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلى هناك ، فتبعه سمعان والذين معه ، ولما وجدوه قالوا له : إن الجميع يطلبونك . فقال لهم : لنذهب إلى القرى المجاورة لأكرز هناك إيضاً لأنى لهذا خرجت ، فكان يكرز فى مجامعهم فى كل الجليل ويخرج الشياطين » ع ٣٥ ـ ٣٩ .

إذ قضى السيد المسيح السبت كله يعلم ويشفى ويخرج شياطين ، حتى فى المساء اجتمعت المدينة كلها يشبع إحتياجاتها ، فانه فى الصباح الباكر انطلق إلى موضع خلاء ليصلى . إنه قابل الصلوات يصلى معلماً إيانا أن نلجأ إلى الصلاة دائما !

المدينة التى التقت به بالأمس تطلبه ، أما هو فأراد أن يذهب إلى القرى المجاورة ليكرز فيها ويعمل لأجلها . لم يرد أن يحصر عمله فى مدينة معينة بل يشرق بأشعة محبته على كل موضع ، طارداً عنهم الشياطين وكل القوات المقاومة .

يرى البعض مثل **الأب ثيوفلاكتيوس** أن هذا النص قد حمل أيضاً معنى رمزياً ، ففى الصباح الباكر جداً قام المسيح وخرج خلال تلاميذه إلى الأمم كما الى موضع خلاء . حقا لقد تبعه سمعان والذين معه يمثلون المؤمنين من اليهود الذين قبلوه والذين اشتاقوا نحو خلاص بنى أمتهم ، لكن الأمر قد صدر « لنذهب إلى القرى المجاورة » ، أى لننطلق للعمل وسط الأمم ! وقد أكد الرسول « كان يكرز . . . ويخرج الشياطين » ، مقدماً مملكته وحطما مملكة الظلمة .

د ــ تطهير أبرص

أشرق السيد بأشعة محبته فجاءه الكثيرون من بينهم أبرص يستنكف الكل من اللقاء معه ، ويخشى الجميع أن يلمسوه لئلا يتنجسوا . جاءه مؤمناً به أنه فوق الناموس ، يقدر أن يطهر من البرص إن أراد ، إذ يقول : « **إن أردت يقدر أن تطهرنى** » ع ٤٠ . كأنه يقول : الناموس يفضحنى ويكشف ضعفى ويعلن نجاستى فينفر الكل منى ، أما أنت فوحدك إن أردت تقدر أن تطهرنى . لم يسأله أن يطلب من الله ليشفيه إنما يعرف من هو ، إنه ذاك الذى يريد فيُطاع !

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لم يقل « طهرنى » بل ترك كل شىء بين يديه ، وجعل شفاءه رهن إرادته ، شاهداً له بسلطانه[٧١]] .

لقد جثا الأبرص معلناً خضوعه بالجسد كما بالروح ، ولم يحتمل الرب انسحاقه بل « تحنن . . . ومد يده ولمسه وقال له : **أريد فأطهر** » ع ٤١ . أعطاه من حنانه وحبه قبل أن يهبه الشفاء والتطهير .

كان يمكن أن يقول كلمة فيطهر لكنه فى حنان مدّ يده ليعلن أنه الخالق الذى يتحنن على خليقته ، مميزاً بين المرض والمريض ، والخطية الخاطى . . . إنه يبسط بالحب يده ليلمس كل إنسان مهما كانت نجاسته حتى يطهره . هذا وقد أراد أن يعلن أنه واضع الناموس وربه لا يتنجس بلمسة أبرص ، بل يهرب البرص من لمسته .

ولعله لمس بيده المترفقة ثم قال : أريد فأطهر ليعلن حاجة العالم إلى لمسة الحب العملية ملتحمة بالوصية بل وسابقة لها .

ولعل مدّ يده هنا يشير إلى تجسد الكلمة ، فان كان الأبرص يشير الى آدم الذى أصابه برص الخطية ومحبة العالم كتلميذ أليشع « جيحزى » ، فانه يحتاج إلى تجسد الكلمة ليطهره من برصه !

وقد سبق لنا فى دراستنا لإنجيل متى (٨ : ١ — ٤) الحديث عن إرساله هذا الأبرص للكاهن ليرى نفسه ويقدم عن تطهيره ، ولماذا سأله السيد ألا يقل لأحد شيئاً أما هو فصار ينادى كثيراً ويذيع الخبر .

+ + +

الإصحاح الثانى

الخدمة المقاومة

إن كان المسيح قد جاء خادماً للعالم كله ، يبسط للعمل فى حبه الإلهى بلا حدود ، فقد قوبلت أعمال محبته بمقاومة من جهة سلطانه ومن جهة سلوكه وطقس عبادته مع إتهامه ككاسر للسبت .

١ ـــ مقاومة سلطانه : شفاء المفلوج	١ ـــ ١٢.
٢ ـــ مقاومة سلوكه : حبه للخطاة	١٣ ـــ ١٧.
٣ ـــ مقاومة طقس عبادته : عدم الصوم	١٨ ـــ ٢٢.
٤ ـــ إتهامه ككاسر للسبت (الشريعة)	٢٣ ـــ ٢٨.

+ + +

١ ـــ مقاومة سلطانه : شفاء المفلوج

ضم هذا الأصحاح أربعة أسئلة استنكارية يقصد بها التجريح فى سلطان السيد وسلوكه وطقس عبادته وعدم حفظه للناموس ، هذه الأسئلة هى :

أ ـــ لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف ؟ من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده ؟ ! ع ٧ .

ب ـــ ما باله يأكل ويشرب مع العشارين والخطاة ؟ ع ١٦ .

جـ ـــ لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيين وأما تلاميذك فلا يصومون ؟ ع ١٨ .

د ـــ لماذا يفعلون (تلاميذك) فى السبت ما لا يحل ؟ ع ٢٤ .

قُدمت هذه الأسئلة ولم ينتظر مقدموها الإجابة عليها إنما قصدوا الإساءة إلى السيد المسيح ، وكأن أعمال محبته الفائقة لم يقابلها الإنسان بالشكر والحب بل بسوء

الظن والإهانة . . . ومع ذلك لم يتوقف السيد عن محبته ولا تراجع عن تقديم حياته مبذولة حتى عن مقاوميه .

أما بالنسبة للسؤال الأول فقد أثاره قوم من الكتبة عندما قُدم له المفلوج ، وقد سبق لنا دراسة شفاء هذا المفلوج (مت ٩ : ١ — ٨) من خلال دراستنا لإنجيل متى ، وقد روى القديس مرقس قصة هذا الشفاء هكذا :

« ثم دخل كفرناحوم أيضاً بعد أيام فسُمع أنه فى بيت » ع ١ .

حينما تحدث متى البشير عن شفاء المفلوج ذكر أن ذلك تم فى مدينة السيد . أما هنا فيحدد القديس مرقس أنها كفرناحوم التى تعنى « كفر التعزية أو النياح » . يرى **القديس أغسطينوس** أن كفرناحوم أشبه بعاصمة الجليل وقد حسب السيد المسيح الجليل ككل مدينته أو وطنه الخاص . بينما يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن بيت لحم هى مدينته التى استقبلته عند ميلاده ، والناصرة عند عودته من مصر فى طفولته ، وكفرناحوم كمواطن فيها[٧٢] .

على أى الأحوال حينما نلتقى مع السيد المسيح — أينما وجدنا — ندخل معه إلى مدينته « كفرناحوم الروحية » ، فيكون لنا الموضع للنياح الحقيقى والراحة الداخلية . وجوده يهب نياحاً حتى وإن أُلقينا مع الفتية فى أتون النار أو مع دانيال فى جب الأسود أو مع يونان فى وسط المياه . . . هو واهب الراحة الحقيقية ! لقاؤنا مع السيد يجعل من نفوسنا كفرناحوم وحرماننا منه يجعلنا منها « كفر العذاب » وكما يقول **الأب يوحنا سابا** [إن كان ملكوت الله داخلنا كما قال ربنا ، فإن جهنم أيضاً داخل الملتصقين بالأوجاع (الشهوات) كل واحد ميراثه فيه ، وغذاؤه داخله[٧٣] .

« وللوقت اجتمع كثيرون حتى لم يسع ولا ما حول الباب ، فكان يخاطبهم بالكلمة . وجاءوا إليه مقدمين مفلوجاً يحمله أربعة ، وإذ لم يقدروا أن يقتربوا إليه من أجل الجمع كشفوا السقف حيث كان وبعدما نقبوه دلوا السرير الذى كان المفلوج مضطجعاً عليه . فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج : يا بنى مغفورة لك خطاياك » ع ٢ — ٥ .

إن كان قد سبق لنا دراسة هذا المفلوج أثناء دراستنا لإنجيل معلمنا متى (أصحاح ٩) ، لكننا نلاحظ هنا الآتى :

أولا : يقدم لنا الإنجيلي مرقس السيد المسيح صاحب السلطان الذى متى حلّ فى بيت إمتلأ من الجماهير وفاض حتى لم يستطع ما حول الباب الخارجى أن يسع هذه الجماهير القادمة لا لتتملقه أو تنتظر مكسباً أدبياً أو إجتماعياً أو مادياً إنما تترقب الكلمة الخارجة من فيه لتشبع أعماقهم وتشفى جراحاتهم الداخلية . هذا هو المسيا خادم البشرية بكلمة محبته وخدمته غير المنقطعة !

لعل هذا البيت إيضا يشير إلى القلب الذى يدخله السيد يملك على عرشه الداخلى ويقيم مملكته فيه كوعده « ملكوت الله داخلكم » لو ١٧ : ٢١ . متى حلّ السيد فى القلب اجتمعت كل طاقات الانسان وقواه الروحية والنفسية والجسدية وأحاطت به كجماهير بلا حصر ، فلا يعيش القلب بعد فى فراغ ولا فى تشتيت بل يتركز حول مخلصه بكل الإمكانيات . عندئذ يرفع الإنجيليون الأربعة الفكر إلى السموات كما إلى السطح ليتنقى وينضبط فى الرب ويُحصر فيه ويكون أمامه . والعجيب أن الذهن ينزل من السطح بالاتضاع إلى حيث السيد المسيح الذى من أجلنا إتضع ، فلا يكون نموه الروحى علة كبرياء أو تشامخ أو تبرير ذاتى بل علة لقاء مع المسيح المتضع يقول **القديس يوحنا سابا** : [تسربل يا أخى بالاتضاع كل حين فانه يلبس نفسك المسيح معطيه[٧٤]] .

ثانياً : إن كان الرجال قد قدموا بالإيمان المريض فشفاه السيد بإيمانهم فيرى البعض أن المفلوج نفسه إيضاً كان له إيمانه الذى عبر عنه بقبول حمله وتدليته من السقف وإن كان إيماناً خافتا وضعيفاً .

على أى الأحوال هؤلاء الرجال الأربعة يشيرون الى الكنيسة كلها كهنة (٣ رتب : الأسقفية ، القسيسية ، الشموسية) وشعباً ، إذ يلتزم أن يعمل الكل معاً بروح واحد فى إتزان لكى يقدموا كل نفس مصابة بالفالج للسيد المسيح .

يتحدث **القديس أمبروسيوس** عن هؤلاء الرجال الأربعة ، قائلا : [ينبغى أن يكون لكل مريض شفعاء يطلبون عنه لينال الشفاء ، فبشفاعتهم تتقوى عظام حياتنا اللينة ويستقيم اعوجاج أعمالنا بدواء كلمة الحياة . ليوجد إذن مرشدون للنفوس يترفقون بروح الانسان التى قيدتها ضعفات الجسد . فالكهنة يشكلون الروح ، يعرفون كيف ترتفع وكيف تتضع لتقف أمام يسوع ، إذ « نظر إلى إتضاع

أمته » لو ١ : ٤٨ ، ينظر إلى المتواضعين[٧٥]] .

ويرى **الأب ثيؤفلاكتيوس**[٧٦] فى هؤلاء الرجال الأربعة رمزاً للإنجيليين الأربعة ، إذ يقول : [متى كان ذهنى مرتبكاً أصير خائر القوى عندما أريد ممارسة أى عمل صالح ، فأحسب مريضاً بالفالج . فإن رفعنى الإنجيليون الأربعة وقدمونى للمسيح أسمع منه أننى إبن الله وتغفر خطاياى] .

ثالثاً : مدح **القديس يوحنا الذهبى الفم** هؤلاء الرجال ، قائلاً : [وضعوا المريض أمام المسيح ولم ينطقوا بشىء بل تركوا كل شىء له[٧٧]] . بنفس الروح ارسلت مريم ومرثا للسيد قائلتين : « يا سيد هوذا الذى تحبه مريض » يو ١١ : ٣ . ما أجمل أن تكون صلواتنا عرضاً أمام الله باشتياق حقيقى أن يتمم إرادته وإيمان أنه يهتم بنا ويهبنا أكثر مما نسأل وفوق ما نحتاج !

رابعاً : ما هو السقف المكشوف الذى قدم خلاله الرجال الأربعة المفلوج إلا البصيرة الروحية المفتوحة أو الإدراك الروحى . حينما ينزع السقف الطينى أو المادى ينفتح القلب على الله وينعم بالمحبة معه ؛ لذلك يقول **الأب ثيؤفلاكتيوس** : [كيف أحمل إلى المسيح مادام السقف لم يُفتح بعد ، فان السقف هو الإدراك ، أسمى شىء فينا ! هنا يوجد تراب كثير خاص بالملاط الذى للسقف ، أقصد به الأمور الزمنية ، إن نُزعت تتحرر فينا فضيلة الإدراك من الثقل ، عندئذ ننزل أى نتضع ، اذ نزع الثقل عن الإدراك لا يعلمنا الكبرياء بل بالحرى الإتضاع] .

خامساً : إذ راه السيد المسيح قال له : « يا بنى » . يا للعجب ، الكهنة يستنكفون من لمس المفلوج ، والخالق يدعوه إبناً له ! هذه هى أبوة الله للبشرية ، يشتاق أن يرد كل نفس ساقطة بالبنوة إليه بشركة أمجاد أبيها السماوى !

سادساً : كان يليق بالكتبة أن يفرحوا إذ رأوا المفلوج ينعم بغفران خطاياه وشفاء نفسه ، لكنهم إذ كانوا متقوقعين حول ذواتهم رأوا فى كلمات السيد تجديفاً وهروباً من شفاء الجسد ، فقالوا : « **لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف ؟ ! من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده ؟ !** » ع ٧ . لم يأخذ السيد موقفاً مضاداً منهم إنما فى محبته اللانهائية أراد أيضا أن يشفى نفوسهم مع نفس المفلوج فأوضح لهم أمرين . الأول أنه عارف الأفكار ، إذ قال لهم : « **لماذا تفكرون بهذا فى قلوبكم ؟ !** » ع

٨ ، لعلهم يدركون أن الذى يفحص القلوب ويعرف الأفكار (أر ٧ : ١٠ ، مز٣٣ : ١٥) قادر على غفران الخطايا . أما الأمر الثانى فهو تصحيح مفاهيمهم ، إذ حسبوا أن شفاء الجسد أصعب من شفاء النفس . . . لهذا أوضح لهم أنه يشفى الجسد المنظور لكى يتأكدوا من شفائه للنفس وغفرانه للخطايا وهو الأمر الأصعب . على أى الأحوال يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** [لقد أريكهم بنفس كلماتهم ، فكأنه يقول : لقد إعترفتم ان غفران الخطايا خاص بالله وحده ، اذن لم تعد شخصيتى موضع تساؤل[٧٨]] . لقد أكد لهم « **ولكن لكى تعلموا أن لإبن الانسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا ، قال للمفلوج : لك أقول قم واحمل سريرك واذهب الى بيتك** » ع ١٠ ، ١١ .

سابعاً : إن كان قد أمره بحمل سريره ليعلن أن الشفاء حقيقة واقعة ملموسة ، وليؤكد أن الله إن كان يغفر خطايانا إنما لنقوم معه ونحيا بقوة قيامته نمارس وصيته ونتمم إرادته بالعمل الإيجابى . . . حاملين سريرنا الى بيتنا الذى تركناه أى كنيستنا أو فردوسنا المفقود ، فان **القديس أغسطينوس**[٧٩] يرى فى هذا السرير رمزاً لضعفات الجسد . ففى خطايانا كنا محمولين بشهوات الجسد وضعفاته مربوطة نفوسنا ومقيدة عن الحركة ، لكننا إذ نحمل قوة الحياة الجديدة تحمل النفس الجسد بكل أحاسيسه وطاقاته لتقوده هى بالروح لحساب مملكة الله وتدخل به إلى بيتها ، أى الحياة المقدسة . هكذا لا يعود الجسد ثقلاً يحطم النفس بل معيناً يتجاوب معها تحت قيادة الروح القدس . وكما يقول **القديس يوحنا سابا** يصير كنيسة مقدسة للرب : [من يذبح ذاته كل يوم بأتعاب المشيئة من أجل معرفة المسيح يكون جسده كنيسة محسوسة ، والشعب الذى بداخلها هو مجمع الفضائل . . . العقل الذى استحق نظر الثالوث القدوس يكون كنيسة معقولة ، والشعب الذى بداخلها هو جمع الملائكة[٨٠]] .

يقول **القديس أمبروسيوس** : [ما هو هذا السرير الذى يأمر الرب بحمله ؟ إنه السرير الذى عوّمه داود بدموعه كما يقول الكتاب : أعوم كل ليلة سريرى بدموعى (مز ٦ : ٧) . هو سرير الألم حيث تنطرح نفوسنا فريسة لمرارة الضمير وعذابه ، لكننا حينما نسير حسب وصايا المسيح يصير فراشنا للراحة لا للألم ، إذ غيّرت مراحم الله موضع الموت إلى موضع قيامته ، وحوّل لنا نوم الموت لجاذبية

نشتاق للتلذذ بها . لم يأمره فقط بحمل السرير وإنما أمره أن يذهب إلى بيته أى يرجع إلى الفردوس ، الموطن الحقيقى الذى استقبل الانسان الأول ، وقد فقده بخداع إبليس ، لهذا يلزم أن يرجع إلى البيت ، فقد جاء الرب ليهدم فخاخ المخادع ويعيد إلينا ما قد فقدناه[81] .]

ثامناً : يقول الانجيل : **فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل حتى بُهت الجميع ومجدوا الله ، قائلين : ما رأينا مثل هذا قط ،** ع ١٢ . شفاء المفلوج كان بركة للمريض نفسه الذى تمتع بغفران خطاياه كما بصحة جسده ، وفرحته لكى يتحدث الرب مع الكتبة معلناً لهم أنه المسيّا ، وأيضا للجماهير التى بهتت ، قائلة : « ما رأينا مثل هذا قط » . يرى **الأب ثيوفلاكتيوس** أن هذه الجماهير تشير إلى أفكارنا التى تتمتع برؤية روحية سليمة ونقاوة عند غفران خطايانا فتقف مبهورة أمام السيد المسيح واهب الشفاء .

حقاً إن النفس التى أصيبت بالفالج إذ تسمع صوت طبيبها السماوى وتنعم بعمله فيها وتتذوق رؤيته تبهر به ولا تطيق الحرمان منه . وكما يقول **القديس يوحنا سابا :** [من رآه ثم إحتمل ألا يراه ؟ ! من سمع صوته واحتمل أن يعيش بدون سماع صوته ؟ ! من استنشق رائحته ولم يجيء حالاً ليتنعم به ؟ ![82]] .

٢ ــ مقاومة سلوكه : حبه للخطاة

إذ التقت القيادات اليهودية بالسيد المسيح لا بقصد التمتع به ومعرفة الحق بل خلال الاهتمام بالأنا والحفاظ على مراكزهم تحول كل ما هو مشرق فى السيد المسيح ظلمة بالنسبة لهم . رأى الكتبة فى غفرانه للخطايا تجديفاً ، والآن يرى الكتبة والفريسيون فى اهتمامه بالخطاة وحبه لهم لاجتذابهم من الخطية عثرة ، إذ قالوا لتلاميذه : « **ما باله يأكل ويشرب مع العشارين والخطاة ؟ !** » ع ١٦ . لم يستطيعوا أن يمسكوا خطأً فى حياته الشخصية وسلوكه اليومى فاصطادوا له حبه للعشارين والخطاة !

لقد التقى السيد بكثير من العشارين والخطاة فى بيت متى البشير الذى كان فى الجباية ، فدعاه السيد ساحباً قلبه من محبة المال إلى خدمة ملكوت الله ، فانفتح قلبه كما بيته لزملائه حتى يلتقوا بمن التقى به .

يقول الانجيل : « ثم خرج أيضا إلى البحر ، وأتى إليه كل الجمع فعلمهم ، وفيما هو مجتاز رأى لاوى بن حلفا جالساً عند مكان الجباية ، فقال له : اتبعنى ، فقام وتبعه . وفيما هو متكىء فى بيته كان كثيرون من العشارين والخطاة يتكئون مع يسوع وتلاميذه لأنهم كانوا كثيرين وتبعوه » ع ١٣ ــ ١٥ .

يرى **الأب ثيؤفلاكتيوس** أن السيد المسيح خرج إلى البحر تاركاً المجد ، لكنه أينما ذهب إلتفت الجموع حوله وتمجّد فيهم . يمكننا أن نقول أن السيد المسيح وهو لا يطلب مجداً من العالم بل يسكب حبه على كل نفس إجتذب الجماهير سواء أن وجد فى مجمع يهودى ، أو بيت فى المدينة أو انطلق إلى القرى ، أو حتى انفرد فى موضع خلاء (١ : ٣٥) ، أو ذهب إلى الساحل . . . نور محبته السرمدية لا يمكن أن يختفى ، وإشراقاته لا يمكن أن تحبس فى موضع !

يقول **الأب ثيوفلاكتيوس** معلقاً على انطلاق السيد إلى البحر هرباً من المجد الزمنى : [أرادك أن تتعلم أنه كلما هربت من المجد ، جرى وراءك المجد بالأكثر ، وإن جريت وراءه هرب منك] ، وقد اقتبس هذا المفهوم وربما بذات الألفاظ من **الأب مار اسحق السريانى** القائل : [من هرب من الكرامة جرت وراءه وتعلقت به ، ومن جرى وراءها هربت منه] .

إنطلق السيد إلى البحر فالتفت حوله الجموع ليعلمهم . . . ووسط هذا الإنشغال لم ينس السيد إنساناً يُدعى « لاوى بن حلفى » جالساً عند مكان الجباية بجسده وقلبه قد تنقل بمحبة المال ونفسه قد تلطخت بالظلم ، لا يعرف إلا الغنى على حساب إخوته . . . وكان فى حاجة إلى كلمة من فم السيد تفك رباطاته الداخلية وتلهب أعماقه ليترك كل شىء ويتبع المسيح مخلصه ، بل يدعو الآخرين لينعموا باللقاء مع هذا المخلص !

هكذا اختار الرب تلاميذه ورسله من بين الخطاة حتى إذ يذوقون حلاوة الشركة معه يجتذبون الخطاة أيضا ، وكما جاء فى **رسالة برناباس** : [إختار رسله الذين يكرزون بانجيله من بين الذين كانوا خطاة . . . ليظهر أنه جاء لا ليدعو الأبرار بل الخطاة للتوبة (مت ٩ : ١٣ ، مر ٢ : ١٧ ، لو ٥ : ٣٢)[٨٣]] .

يعلق **القديس كيرلس الكبير** على دعوة لاوى قائلاً : [كان لاوى عشاراً يهيم وراء الكسب المرذول لا حدّ لجشعه المقوت ، يزدرى بقانون العدل والإنصاف حباً فى تملك ما ليس له ، فهذه الخلق الذميمة اشتهر بها العشارون إلا أن المسيح اختطف أحدهم وهو غارق فى بحر الإثم والرزيلة ، ودعاه إليه وأنقذه وخلصه إذ قيل : « فقال له : اتبعنى ، فترك كل شيء وقام وتبعه » لو ٥ : ٢٧ ، ٢٨ . فما أصدق بولس المغبوط وهو يصف المسيح بأنه « جاء إلى العالم ليخلص الخطاة » اتى ١ : ١٥ أفلا ترون كيف أن كلمة الله الإبن الوحيد وقد أخذ لنفسه جسداً يرد إلى نفسه عبيد ابليس وممتلكاته ؟[٨٤]] .

ويعلق **القديس أمبروسيوس** على هذه الدعوة بقوله : [أمره الرب أن يتبعه لا حسب الجسد بل بخلجات الروح . إذ سمع الرجل الكلمة ترك كل ممتلكاته ، الذى كان يسرق أموال قريبه ويستغل مركزه فى قسوة ترك مكان الجباية وتبع المسيح بقلب ملتهب ، ثم صنع له وليمة . فمن يقبل المسيح فى قلبه يشبع بالأطاييب الكثيرة والسعادة الفائقة ، والرب نفسه يدخل ويستريح فى محبته كمؤمن[٨٥]]

عوض أن يتطلع الكتبة والفريسيون إلى متى وأصدقائه العشارين بفرح إذ يجدون فيهم القلوب الجائعة قد التفت حول « الخبز السماوى » ربنا يسوع لكى تشبع بعد جوع هذا زمانه ، وعوض أن يفرحوا بالقلوب التى كانت جامدة وقاسية قد صارت لها الأعماق الملتهبة نحو الأبدية ، إذا بهم يهاجمون السيد لأنه يأكل ويشرب مع العشارين والخطاة . « **فلما سمع يسوع قال لهم : لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى ، لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة** » ع ١٧ .

لقد ثار الكتبة والفريسيون على سلوكه هذا إذ حسبوه كسراً للناموس ، فانه لا يليق بالأيدى الطاهرة أن تمتد لتأكل مع الأيادى النجسة ، ولم يدركوا أن يدى السيد هى واهبة التقديس . يقول **القديس كيرلس الكبير** : [لماذا يلوم الفريسيون المخلص لتناوله الطعام مع الخطاة ؟ لأن الناموس ميّز بين المقدس والمحلل وبين النجس والطاهر (١٠ : ١٠) . إعتقد الفريسيون أنه لا يصح الجمع بين المقدس والنجس ، فقاموا يطالبون المسيح بحفظ شريعة موسى ، ولكن لم يكن هجومهم على السيد ناشئاً عن غيرة على الشريعة بل عن حسد وخبث ، فكثيراً ما ثاروا فى وجه المسيح لإيقاعه فى

شرك منصوب ، إلا أن المسيح أفلت منهم وردّ السيئة بالحسنى ، إذ أعلمهم أنه ما جاء الآن دياناً بل طبيباً للشفاء ، لذلك كان لزاماً عليه وهو الطبيب أن يقرب المرضى لشفائهم من أسقامهم"[86] .

لقد فتحت عبارة السيد المسيح هذه أبواب الرجاء أمام الأمم والخطاة ، فقد جاء الطبيب لا لمن يحسبون أنفسهم أبراراً كاليهود بل بالحرى للذين يدركون حاجتهم إلى مخلص ينقذهم من خطاياهم . . . أنه طبيب المرضى ومخلص الخطاة !

ويرى **القديس يوستين** فى حديث السيد المسيح باباً مفتوحاً للجسد الذى هاجمته بعض الهرطقات بكونه مخطىء لا يستحق القيامة مع النفس ، إذ قال : [إن كان الجسد هو المخطىء فقد جاء المخلص من أجل الخطاة ، إذ يقول : لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة . بهذا يظهر للجسد قيمته فى عينى الله ، وأنه ممجد . . . وبعدل يلزم أن يخلصه[87]] .

٣ ــ مقاومة طقس عبادته : عدم الصوم

أراد اليهود مقاومة السيد فى طقس العبادة كما عاشها تلاميذه ، إذ قالوا له : « **لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيون وأما تلاميذك فلا يصومون ؟ !** » ع ١٨

لعل بعض تلاميذ يوحنا قد تسلل إلى قلبهم شيىء من الغيرة فقد نظروا معلمهم ناسكاً جداً فى كلماته كما فى أكله وشربه وملبسه ومع هذا ينحنى أمام السيد المسيح ويدفع بتلاميذه إليه ، ولم يكن السيد المسيح ناسكاً فى أعينهم ولا ألزم تلاميذه بأصوام يمارسونها مثلهم ! أما تلاميذ الفريسيون فرأوا فى معلميهم أنهم ينهارون أمام السيد ، فقد كانت الجماهير تتركهم بالرغم مما بلغ إليه الفريسيون من مرتبة دينية وما يمارسونه من عبادات خاصة الصوم . . .

لم ينتقد السيد تلاميذ يوحنا ولا تلاميذ الفريسيين ، وإنما كعادته حوّل النقاش إلى كشف عن مفاهيم لاهوتية روحية جديدة تمس حياة الانسان كله ، أهمها :

أولاً : لم يقلل السيد من شأن الصوم ولا أعلن امتناع تلاميذه عنه مطلقاً ، وإنما سحب قلوبهم من الرؤيا الخارجية للأعمال النسكية الظاهرة إلى جوهر العبادة ، وغاية النسك ذاته ، هو التمتع بالعريس السماوى نفسه ، إذ يقول :

« **هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم ؟ ! ع ١٩**... انه يأتى وقت فيه يمارس التلاميذ والرسل الصوم بحزم ، لكنه أراد فى فترة وجوده بالجسد فى وسطهم أن يسحب أنظارهم وأفكارهم وقلوبهم للفرح بالعريس نفسه ، يتعلقون به مشتهين أن يوجدوا حيث هو كائن . . . بعد ذلك إذ يرتفع عنهم جسدياً ويرسلهم للكرازة يلتزمون بالصوم بثبات لأجل تمتع كل نفس بعريسهم .

ثانياً : يرى **القديس كيرلس الكبير** أن الفريسيين إذ لم يستطيعوا مقاومة السيد مباشرة هاجموه فى شخص تلاميذه لعدم صومهم ، ولم يدرك هؤلاء الفريسيون أنهم يصومون ظاهرياً أما قلبهم فمملوء شراً بينما كان التلاميذ يمارسون صوم القلب الداخلى ليصوموا أيضاً بالجسد فى الوقت المناسب . يقول القديس كيرلس : [أتدرك أيها اليهودى حقاً معنى الصوم ؟ يقول إشعياء : « ها إنكم فى يوم صومكم توجدون مسرة وبكل أشغالكم تسخرون ، ها إنكم للخصومة والنزاع تصومون ولتضربوا بلكمة الشر . . . أمثل هذا يكون صوم أختاره . . . يقول الرب » إش ٥٨ : ٣ ، ٥ . فعليكم إذن وزن أنفسكم أيها اليهود فإنكم تجهلون ما هية الصوم ومع ذلك تلومون التلاميذ لأنهم لا يصومون على شاكلتكم . ولننظر نحن إلى الصوم من ناحية أخرى ، فأولئك الذين استناروا بحكمة المسيح يصومون صوماً ذهنياً وذلك باتضاعهم أمام الحضرة الإلهية وتاديب أنفسهم طوعاً لا كرهاً بالعمل والتقشف ، فإن هذا لمدعاة إلى غفران ذنوبهم أو نيل نعمة روحية جديدة أو قتل ناموس الخطية التى يسود أعضاء الجسم اللحمية . ومثلك يهمل أيها الفريسى هذا الصنف من الصوم لأنك رفضت قبول العريس السماوى غارس الفضائل ومعلمها يسوع المسيح المخلص والفادى . . . أرجو مرة أخرى أن تلاحظوا الطريقة التى اتبعها المسيح فى لفت نظر الفريسيين إلى الحقيقة المرة ، وهى أنه لا نصيب لهم فى الوليمة وأنهم غرباء (ليسوا بنى العرس كالتلاميذ) لا يحسون بالسرور ولا يشتركون فى الموكب العام ، فقد ظهر مخلصنا للعالم ، وكان ظهوره إعلاناً للبهجة والسرور لأنه إتحد بطبيعة الإنسان فأصبحت كأنها عروس له تثمر بعد العقم وتتبارك بذرية كثيرة العدد ، فالذين دعاهم المسيح عن طريق الرسالة الإنجيلية هم أبناء العريس ، أما الكتبة والفريسيين الذين مالوا بكليتهم إلى ظل الناموس فليس لهم نصيب مع المسيح[٨٨]] .

ثالثاً : يفسر البعض كلمات السيد المسيح بأن الانسان إذ يسلك بالروح بقلب مقدس في الرب يكون كمن في وليمة العرس ، متهللاً بمسيحه ، لكنه إذ يخطيء يشعر كأن العريس قد رفع عنه فيمارس أعمال التوبة بأنات مستمرة حتى يرد له الرب فرحه وبهجته بتجليه في قلبه . كأن الصوم هنا لا يعنى مجرد الإمتناع عن بعض الأطعمة ، وإنما ممارسة التوبة بكل أعمالها في القلب داخلياً من ندامة ومطانيات وصرخات !

رابعاً : حوّل السيد أنظارهم من ممارسة الصوم إلى التغيير الكامل الذى يليق بتلاميذه أن يتعموا به ، إذ قال : « **ليس أحد يخيط رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق وإلا فالملء الجديد يأخذ من العتيق فيصير الخرق أردأ . وليس أحد يجعل خمراً جديدة في زقاق عتيقة لئلا تشق الخمر الجديدة الزقاق فالخمر تنصب والزقاق تتلف ، بل يجعلون خمراً جديدة في زقاق جديدة » ع ٢١ ، ٢٢ .**

إن كان قد أعلن أن تلاميذه يصومون حين يرتفع العريس عنهم ، لكنهم أيضاً يصومون بفهم جديد يليق بالعهد الجديد . فبعد صعوده حلّ الروح القدس عليهم فصاروا أشبه بثوب جديد أو زقاق جديد ، يحملون الطبيعة الجديدة التي على صورة خالقهم ، يمارسون العبادة بفكر جديد . بعد أن كان الصوم في العهد القديم حرماناً للجسد وتركاً ، صار في العهد الجديد تحريراً للنفس وإنعاشاً للقلب في الداخل .

بمعنى آخر لم يرد الرب أن يمارس تلاميذه الصوم بالمفهوم الجديد وهم لا يزالون كثوب قديم أو زقاق قديم ، إنما إذ تجددت حياتهم بانطلاقه وإرسال روحه القدوس عليهم مارسوا الصوم بفكر مسيحى جديد ولائق .

ما هي الرقعة من القطعة الجديدة إلا الصوم بكونه جزءاً من تعاليم السيد ، فانها لا تخيط على ثوب عتيق ، وإنما ليتغير الثوب كله بالتجديد الكامل بالروح القدس وعندئذ تتقبل القطعة الجديدة ، أى الصوم بالمفهوم الجديد كجزء لا يتجزأ من العبادة كلها . هكذا لا نتقبل الصوم في مفهومه الجديد ـــ كخمر جديدة ـــ في زقاق قديم ، إنما لتتجدد زقاق حياتنا الداخلية فيتقبل الخمر الجديدة .

يقول **القديس كيرلس الكبير** : [كانت قلوب اليهود زقاقاً قديمة لا تسع خمراً

جديدة ، أما القلب المسيحى فقد وهبه المسيح بركات روحية فائقة ، فتح الباب على مصراعيه للتحلى بمختلف الفضائل السلمية والسجايا العالية[٨٩]] .

يقول القديس أمبروسيوس : [ينبغى ألا نخلط بين أعمال الإنسان العتيق وأعمال الإنسان الجديد ، فالأول جسدى يفعل أعمال الجسد ، اما الإنسان الداخلى الذى يتجدد فيليق به أن يميز بين الأعمال العتيقة والجديدة إذ حمل صبغة المسيح ولاق به أن يتدرب على الإقتداء بذاك الذى ولد منه من جديد فى المعمودية . . . لنحتفظ بالثوب (الجديد) الذى ألبسه إيانا الرب فى المعمودية ، فما أسهل تمزيقه إن كانت أعمالنا لا تتفق مع نقاوته[٩٠]] .

٤ ــ إتهامه ككاسر للسبت (الشريعة)

إذ جاء السيد المسيح يقدم أعماقاً جديدة للناموس ، منطلقاً بفكرنا إلى ما وراء الحرف القاتل لننعم بالروح المحيى البنّاء ، إتهمه اليهود كناقض للناموس ، خاصة تقديس يوم السبت .

رأى الفريسيون تلاميذ السيد يقطفون السنابل من الحقول ويأكلونها ، فقالوا له : « أنظر . **لماذا يفعلون فى السبت ما لا يحل ؟** » ع ٢٤ . لقد أباحت الشريعة للانسان أن يأكل من أى حقل لكنه لا يأخذ معه شيئاً ، لكن الفريسيين حسبوا قطف السنابل فى السبت وفركه بأيديهم ليأكلوا ممارسة لأعمال الحصاد والدرس والتذرية . . . إنها حرفية قاتلة . لو كانت لهم العين البسيطة لرأوا فيهم اناساً جادين فى حياتهم وفى تلمذتهم للرب ، فلا يريدون أن يخسروا وقتهم فى إعداد الطعام ، إنما يكتفون بسنابل بسيطة يأكلونها من أجل ضرورة الطبيعة لا اللذة .

قدم لهم السيد المسيح مثالاً من العهد القديم ، فإنه إذ هرب داود ورجاله من وجه شاول ذهبوا إلى رئيس الكهنة ، وأكلوا من خبز التقدمة الذى لا يجوز أكله إلا بواسطة الكهنة ، كما أخذ سيف جليات الذى قُدم للرب (اصم ٢١) .

ذكر القديس مرقس إسم رئيس الكهنة الذى التقى به داود « أبياثار » ع ٢٦ ، بينما جاء فى سفر صموئيل « أبيمالك » . ويرى بعض الدارسين أن أبياثار هو إبن أبيمالك وكانا معاً حين التقى بهما داود النبى ، وأن الأب قتله شاول فهرب أبياثار إلى

داود وصار رفيقاً له فى فترة هروبه ، ولما استقر الأمر صار رئيس كهنة ونال شهرة أكثر مما لأبيه .

فى اجابته أيضا لم يدافع عن نفسه وتلاميذه أنهم ليسوا بكاسرى السبت ، وإنما أعلن سلطانه بقوة : « **السبت إنما جعل لأجل الانسان ، لا الإنسان لأجل السبت . إذاً إبن الانسان هو رب السبت أيضاً** » ع ٢٧ ، ٢٨ .

لقد أكد لهم انه رب السبت وواضع الناموس ، وضعه لا ليتحكم الناموس فى الانسان بحرفية قاتلة وإنما لخدمة الانسان . إن كان وهو إبن الله قد صار « إبن الانسان » لأجل الإنسان ، أفلا يقدم السبت أيضا لخدمة الانسان ؟ ! إنه رب السبت وواضع الناموس العامل لحسابنا لأجل راحتنا وليس لتنفيذ حرفيات ناموسية !

يمكننا الآن أن نقول أن رب السبت ، ربنا يسوع واضع الشريعة أرسل تلاميذه إلى حقول الكتاب المقدس فى يوم السبت أى عندما استراحوا فيه من كل رزيلة وتمتعوا به كسبت حقيقى لنفوسهم ، فقطفوا سنابل النبوات وفركوها بأيديهم كمن ينزع الحرف الخارجى ليقدموا طعاماً روحياً تشبع به نفوسنا !

ليتنا عوض النقد اللاذع ننطلق فى بساطة قلب إلى تلاميذ ربنا يسوع ونتقبل من أيديهم التى تقدست بدمه تعاليمه النقية حنطة مقدسة تسندنا فى هذا العالم حتى نلتقى به وجهاً لوجه فى يوم الرب العظيم .

يقدم لنا **القديس أمبروسيوس** تفسيراً رمزياً لقطف السنابل ، بقوله : [يقودهم الرب يسوع فى يوم السبت بين الزروع ليدربهم على الأعمال المثمرة . فما معنى السبت والحصاد والسنابل ؟ الحقل هو العالم الحاضر كله الذى زرعه البشر ، والحصاد هو حصاد الروح القدس الوفير ، وسنابل الحقل هى ثمار الكنيسة التى بدأتها خدمة الرسل . . . لقد قبلت الأرض كلمة الله وزُرعت بالحب السماى وجاء الحقل بحصاد وافر . لقد جاع التلاميذ لخلاص البشر فأرادوا أن يحصدوا ثمر الروح هذه التى نبعت عن الإيمان الذى قدمه التلاميذ مسنوداً بالمعجزات الفائقة ، لكن اليهود ظنوا أن هذا لا يصح عمله فى السبت . . . بمعنى آخر أظهر الرب عجز الناموس وعمل النعمة[١١]] .

الاصحاح الثالث

العمل غير المنقطع

فى الأصحاح السابق رأينا خدمة السيد المسيح المملوّة حباً تواجه بمقاومة من كل جانب ، والآن فى هذا الأصحاح يؤكد لنا الانجيلى إتساع قلب السيد بالحب غير المحدود العامل بلا إنقطاع بالرغم من المقاومة غير المتوقفة أيضاً .

١ ــ شفاء ذى اليد اليابسة	١ ــ ٦
٢ ــ خدمته خلال سفينة صغيرة	٧ ــ ١١
٣ ــ إقامة التلاميذ للعمل	١٢ ــ ١٩
٤ ــ إتهامه بواسطة اقربائه والكتبة	٢٠ ــ ٣٠
٥ ــ إخوته وأمه يطلبونه	٣١ ــ ٣٥

\+ \+ \+

١ ــ شفاء ذى اليد اليابسة

دخل السيد المسيح إلى المجمع اليهودى فى يوم السبت ، وكان هناك رجل يده يابسة ، وقد حدد معلمنا لوقا أنها يده اليمنى ، فصاروا يراقبونه هل يشفيه فى السبت لكى يشتكوا عليه . هذا العمل يشير إلى دخول السيد إلى خاصته « مجمع اليهود » فيجدهم ذوى أيدى يابسة ، لا يقدرون أن يعملوا عمل الرب فى السبت . لقد أصيبوا باليبوسة فى يدهم اليمنى أى فى العمل الروحى .

إن كان السيد قد أفحم اليهود الذين لاموا تلاميذه لأنهم قطفوا سنابل فى السبت (٢ : ٢٣ ــ ٢٨) ، مقدماً لهم داود النبى مثالاً ، فانه إذ دخل إلى المجمع جاء

بهم إلى الحق مقدماً الشفاء لذى اليد اليابسة ليعلن أنه وإن كان التلاميذ قد قطفوا السنابل فى السبت لأجل حاجة الجسد الضرورية ، فانه يشفى هذا الرجل لكى لا يقضى سبت الرب فى خمول بل فى العمل لحساب مملكة الله .

لعل اليد اليابسة تشير إلى يد الإنسان الأول التى امتدت بالعصيان لتأكل من الشجرة فيبست من كل عمل صالح . . . لذا احتاجت إلى مجىء المسيا نفسه « آدم الثانى » ليهبها الحياة بيسط يديه وتسميرها على شجرة الصليب عوض اليد اليابسة . وكما يقول القديس **أمبروسيوس** : [اليدّ التى مدّها آدم ليأخذ من الشجرة المحرمة غمرها الرب بعصارة الخلاص الملىء بالأعمال الصالحة ، فان كانت قد يبست بالخطية تنال الشفاء للأعمال الصالحة[٩٢]] .

يروى لنا الإنجيل مرقس قصة شفاء اليدّ اليابسة هكذا :

« فقال للرجل الذى له اليد اليابسة : قم فى الوسط ، ثم قال لهم : هل يحل فى السبت فعل الخير أو فعل الشر ؟ ! تخليص نفس أو قتل ؟ ! فسكتوا » ع ٣ ، ٤ .

يقول **القديس كيرلس الكبير** : [لماذا أمر المسيح الرجل بذلك ؟ ربما ليحرك من نحوه الفريسيين ويلطف فيهم قلباً غليظاً ، فإن مرض هذا الإنسان ليسترد الدمع ويطفىء جذوة الحقد والخبث[٩٣]] . لقد أراد أن يسحبهم من المناقشات الغبية إلى الحب العملى !

قدم السيد لهم سؤالاً أفحمهم به ، فانهم لا يستطيعون القول بأنه يجوز فعل الشر فى السبت بل فعل الخير ، فبالأولى يليق بالمسيح الإله أن يظهر رحمته فى السبت ويخلص نفساً لتتذوق نعمة الحياة . وكما يقول **القديس كيرلس الكبير** : [أمر الله الناس أن يكفوا عن العمل فى السبت بل أوصى الناس بألا يسخروا حيواناً فى ذلك اليوم ، إذ قال : « وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملاً ما أنت وإبنك وإبنتك وعبيدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك » مت ٥ : ١٤ . فإن كان الله يشفق على الثور والبهيمة أفلا يشفق فى يوم السبت على رجل أنهكه المرض فحط من قوته وعزيمته ؟ ![٩٤]] .

لعل السيد بحديثه معهم أراد أن يشفيهم من يبوسة فكرهم الحرفي من جهة الناموس قبل أن يشفي يبوسة يدّ الرجل . . . إذ كانوا أكثر منه مرضاً وأشد حاجة إلى عمل السيد المسيح فيهم ، لكنه يفتح لهم باب الشفاء دون أن يلزمهم بنواله قهراً !

إن كانت أيدينا اليابسة خلال سقطة آدم الأول قد شفيت تماماً بعمل آدم الثاني ، فنلنا في مياه المعمودية الانسان الجديد الذى يحمل جدّة الحياة (رو ٦ : ٤) القادر على العمل الروحى ، يلزمنا أن نسلك بالروح عاملين بلا انقطاع حتى لا ترجع اليبوسة إلى أيدينا مرة أخرى . يقول الرسول بولس : « إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة ، الأشياء العتيقة قد مضت ، هوذا الكل قد صار جديداً » ٢ كو ٥ : ١٧ . ويقول **القديس أمبروسيوس** : [سمعتم كلمات الرب : « مدّ يدك » ، هذا هو الدواء ! يا من تظن أن يدك سليمة احذر أن تلوثها بالطمع ، وبالخطية بل مدّ كثيراً . . . مدّها نحو هذا الفقير الذى يتوسل إليك ، مدها فى معونة قريبك ومساندة الأرملة ، مدها فى إنقاذ المظلوم من الظالم . إبسطها نحو الله لتطلب عن خطاياك ، مدّ يدك لتنال الشفاء . هكذا يبست يدّ يربعام عندما أراد التبخير للأوثان وبسطها عندما صلى (أمل ١٣ : ٤ ــ ٦)[٩٥]] .

يقول الانجيل : « **فخرج الفريسيون للوقت مع الهيرودسيين وتشاوروا عليه لكى يهلكوه** » ع ٦ . لقد اعتبر الفريسيون كلمة المسيح الواهبة الشفاء فى السبت جريمة كبرى تستوجب قتله ، أما الهيرودسيون فلم يكن يشغلهم السبت إنما كانوا يخافون على سلطان سيدهم الرومانى فحسبوا أن ما يعلنه السيد المسيح من سلطان روحى هو إنهيار لعائلة هيرودس الكبير مع أن السيد أكد بطرق كثيرة أن مملكته ليست من هذا العالم .

لقد اختلف الباحثون القدامى والمحدثون فى تعريف الهيرودسيين ، لكن الرأى الراجح أنهم ليسوا جماعة دينية ولا سياسية ولا هم من موظفى الدولة الرسميين لكنهم أصدقاء هيرودس الكبير من اليهود ، يعملون لحساب عائلته ولحساب روما بجذب اليهود للموالاة للرومان والخضوع لهم[٩٦] ، بل وظن البعض أنهم كانوا ينادون بهيرودس أنه المسيح[٩٧] . على أى الأحوال كان الهيرودسيون مع الحاكم الرومانى فى

جانب واليهود ككل فى جانب آخر . . . ومع هذا فان المصلحة المشتركة جمعت بين الفريسيين والهيرودسيين بالرغم من العداء الشديد الذى كان قائماً بينهم .

كلمة « هيرودس » فى أصلها مشتقة من « هيرو Hero » التى تعنى « بطل » ، غير أن **الأب ليوفلاكتيوس** يرى أنها تعنى « جلداً » ، لهذا فان كان الفريسيون يشيرون إلى الرياء فان الهيرودسيين يشيرون الى شهوات الجسد (الجلد) ، وكلاهما يعملان معاً فى مقاومة عمل الروح .

٢ ـــ خدمته خلال سفينة صغيرة

إن كان السيد قد دخل إلى مجمع اليهود لكى يشفيهم من يبوسة اليد اليمنى فيكونوا قادرين على العمل الروحى لحساب مملكة الله ، وبهذا يحتفلون بالسبت الحقيقى ، تشاور غالبيتهم عليه ليهلكموه ، أما هو فكعادته لا يقاوم الشر بالشر بل فى وداعة إنصرف تاركاً لهم الموضع ليكرز بين الغرباء ، وسط بحر الشعوب والأمم ، إذ يقول الانجيل : « **فانصرف يسوع مع تلاميذه إلى البحر وتبعه جمع كثير من الجليل ومن اليهودية ومن أورشليم ومن أدومية ومن عبر الأردن ، والذين حول صور وصيدا جمع كثير إذ سمعوا كم صنع أتوا إليه . فقال لتلاميذه أن تلازمه سفينة صغيرة بسبب الجمع كى لا يزحموه** » ع ٧ ـــ ٩ .

أولاً : يقول الانجيل « **فانصرف يسوع** » ، فانهم إذ أرادوا الخلاص منه تركهم لا عن خوف وانما ليتمم عمله مع غيرهم . لقد هرب من الشر ولم يقاومه مقدماً نفسه مثلاً للكنيسة التى لا تهاب الموت لكنها لا تقاوم الشر بالشر بل تهرب منه .

لم يترك الشر ليتوقف عن رسالته انما انصرف إلى البحر إلى الشعوب الوثنية الثائرة كالبحر لينزع عنهم تيارات الفساد الجارفة ويهبهم سلامه الفائق !

ثانياً : جاء السيد إلى خاصته وخاصته لم تقبله ، فانصرف إلى الأمم كارزا لهم خلال تلاميذه ورسله ، إذ يقول الانجيل : « **إذ سمعوا كم صنع** » . . . فاليهود تمتعوا بالسيد المسيح الذى تجسد من نسل داود لكنهم رفضوه ، أما الأمم فتمتعت خلال إلسماع بكلمة الكرازة . وكأن ما فعله السيد هنا لم يكن إلا إشارة لتلاميذه للعمل بين الأمم بعد صعوده . هو فتح الطريق ومهده لكى يسلكه تلاميذه ويعمل فيهم .

ربما يتساءل البعض : لماذا اكتفى السيد بالكرازة بين الأمم على مستوى العربون وترك التلاميذ ينطلقون فيها ؟ لأنه لو كرز بين الأمم وصنع الأشفية علانية وعلى نطاق متسع لحُسب صلب السيد المسيح له ما يبرره عند اليهود . . . لكنه أجّل هذا العمل الكرازى إلى ما بعد الصليب حتى لا يجد اليهود ما يبررون به أنفسهم بصلبهم إياه ، ويحسبون بلا عذر .

ثالثاً : سأل السيد المسيح تلاميذه أن تلازمه سفينة صغيرة (قارب) ، تمثل كنيسته الحالّ فيها ، والتى دعاها بالقطيع الصغير ، قائلا : « لا تخف أيها القطيع الصغير ، لأن أباكم قد سرّ أن يعطيكم الملكوت » لو ١٢ : ٣٢ . كنيسته قطيع صغير ، أو سفينة صغيرة وسط العالم ، لكنها تحمل من لا تسعه السموات والأرض .

إذ تجلى السيد وسط كنيسته الصغيرة اجتذب الكثيرين فجاءوا إليه يلمسونه بالايمان العامل بالمحبة لينالوا شفاءً روحيا وتُطرد عنهم الأرواح الشريرة ، كقول الإنجيل : « **لأنه كان قد شفى كثيرين حتى وقع عليه ليلمسه كل من فيه داء ، والأرواح النجسة حينما نظرته خرت له وصرخت ، قائلة : انك إبن الله . وأوصاهم كثيراً أن لا يظهروه** » ع ١٠ ، ١١ .

لقد نطقت الأرواح الشريرة بذات الكلمات التى نطق بها معلمنا بطرس الرسول (مت ١٦ : ١٦) ، لكن كما يقول **القديس أغسطينوس** : [أسمع اعترافاً مشابهاً ، غير أننى لا أجد حباً مشابهاً ، فهم يحملون خوفاً بلا حب . فمن لهم المحبوب هم أبناء أما الذين يقشعرون فليسوا أبناءً . من لهم المحبوب يجعلهم آلهة ، أما المرتعدون فيؤكدون أنهم ليسوا آلهة(٩٨)] .

٣ ــ إقامته التلاميذ للعمل

إن كان السيد لا يكف عن أن يعمل لأجل خلاص كل نفس ، ففى محبته للإنسان إختار تلاميذه ورسله يعملون بروحه واهباً اياهم سلطاناً « على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين » ع ١٥ . وهبهم إمكانياته ليعملوا لا بإسمهم بل بإسمه ، ولحساب مملكته بكونه العامل فيهم .

وقد جاء اختياره للتلاميذ بعد أمرين :

أولاً : منعه الأرواح النجسة من الشهادة له (ع ١١ ، ١٢) ، فقد أبكم

هؤلاء الأشرار عن الشهادة له حتى وإن نطقوا بالحق إلى حين ، حتى لا يثق الناس فيهم ويسقطوا تحت ضلالهم . أبكم الأرواح الشريرة ليهب كلمته فى أفواه تلاميذه القديسين ليكرزوا بانجيله .

ثانياً : يذكر معلمنا لوقا البشير أن السيد « خرج إلى الجبل ليصلى ، وقضى الليل كله فى الصلاة لله » لو ٦ : ١٢ ، وذلك قبل دعوته للتلاميذ . كممثل لنا يود أن يعلن أن خدامه العاملين بالحق لا يختارون حسب الفكر البشرى إنما حسب الإرادة الالهية . إن كان السيد المسيح نفسه هو الحجر غير المقطوع بيد الذى صار جبلاً عظيماً وملأ الأرض كلها (رأ ٢ : ٣٥ ، ٤٥) يليق بنا أن نرتفع به على الدوام لنطلب مشورته الإلهية لاختيار خدام حسب قلبه الإلهى . هذا ما أكده لنا بقوله : « الحصاد كثير والفعلة قليلون ، فأطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده » لو ١٠ : ٢ . وأيضا يقول الرسول بولس : « ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله » عب ٥ : ٤ .

اختار السيد المسيح سمعان تلميذاً له ودعاه بطرس أى « صخرة » ، ويعقوب ويوحنا إبنى زبدى « بونارجس » أى « إبنى الرعد » . . . أما علة تغييره أسماء بعض تلاميذه فكما يقول **القديس يوحنا ذهبى الفم** : [ليظهر أنه هو الذى أعطى العهد القديم مغيراً الأسماء ، فدعى ابرام ابراهيم ، وساراى سارة ، ويعقوب اسرائيل ، كما حدد أسماء كثيرين منذ ميلادهم كاسحق وشمشون والمذكورين فى إشعياء (٨ : ٣) هوشع (١ : ٤ ، ٦ ، ٩) الخ . . .[٩٩]] .

دعى سمعان « صفا » أو « بطرس » التى تعنى « صخرة » ، لأنه تمتع باعلان الآب له عن شخص الإبن فآمن أنه إبن الله الحىّ (مت ١٦ : ١٧) . ودعى يعقوب ويوحنا إبنى الرعد لانهما صارا كمن فى السموات يحملان طبيعة الرعد السماوى كقول **القديس أمبروسيوس**[١٠٠] ، أو كما يقول **القديس غريغوريوس النزينزى** بسبب فصاحتهما[١٠١] .

« اندراوس » فى اليونانية تعنى « قوة » أو « بسالة » ، إشارة الى التصاقه بالرب بنضوج وشجاعة . و « فيلبس » تعنى « فم مصباح » ، إشارة إلى إشراقه بالنور خلال كلمات الرب الصادرة من فمه . « برثلماوس » تعنى « إبن من يتعلق بالماء »

ربما إشارة إلى التمتع بالبنوة لله خلال مياه المعمودية . « متى » تعنى « هبة » أو « عطية » قدمها الرب له لا بمغفرة خطاياه فحسب وإنما باختياره رسولاً . « توما » تعنى « أعماقاً » فإن من له معرفة بسلطان إلهى يدخل إلى الأعماق . « يعقوب بن حلفى » تعنى « المتعقب أو المجاهد المتعلم » . « تداوس » تعنى « من يحرس القلب » أو الساهر بقلبه ، وهو بعينه يهوذا أخ يعقوب المدعو أخ الرب . « سمعان القانوى ويهوذا الاسخريوطى » ، الأول يشير إلى الإستماع أو الطاعة منسوباً لقرية قانا الجليل ويهوذا منسوباً إلى قريته « سوخار » .

يحدثنا **القديس أمبروسيوس** عن إختيار السيد المسيح لهؤلاء التلاميذ ، قائلاً : [إختارهم ليرسلهم فيزرعون الإيمان خلال الكرازة بمعونة الله لأجل خلاص البشر فى كل المسكونة . تأمل حكمة الله فانه لم يختر الحكماء ولا الأغنياء ولا النبلاء بل اختارهم من العشارين والخطاة حتى لا يظنوا أنهم بقوتهم جذبوا القلوب وتمتعوا بالخلاص ، وأيضاً كى لا يجتذبهم سحر السلطة والمال بل نصرة الحق[١٠٢]] . ويقول **القديس كيرلس الكبير** : [هم قوم درجوا على البساطة لكنهم كانوا أغنياء بعملهم (الروحى) وفضلهم ، فانطفأت جذوة الأدب الإغريقى الغزير بسحر بيانه وارتفعت موجة الرسالة الإنجيلية ، فغطت العالم طرا . وحسبك ما أشار به حبقوق وهو يندد بأعداء الرسل : « ويل للمكثر ما ليس له وللمثقل نفسه رهوناً ، ألا يقوم بغتة مقارضوك ويستيقظ مزعزعوك فتكون غنيمة لهم » حب ٢ : ٦ . فقد جمع الشيطان فى حظيرته كل سكان الأرض وهم ليسوا له ، وجعلهم يسجدون له ويعبدونه فتثقل وتعظم ، ولكن استيقظ البعض ليسلبوه غنائمه ، فقد ألقى الرسل بشبكة تعليمهم على المأسورين والخطاة فرجعوا به إلى الله مملوءة بأهل العالم قاطبة[١٠٣]] .

٤ ـــ إتهامه بواسطة أقربائه والكتبة

« ثم أتوا إلى بيت ، فاجتمع أيضاً جمع حتى لم يقدروا ولا على أكل الخبز . ولما سمع أقرباؤه خرجوا ليمسكوه لأنهم قالوا أنه مختل ، وأما الكتبة الذين نزلوا من أورشليم فقالوا أن معه بعلزبول ، وأنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين » ع ١٩ ـــ ٢٢ .

إذ أقام السيد تلاميذه الإثنى عشر جاء بهم « إلى بيت » ، أى الى الكنيسة

ليصيروا أهل بيته ويدخلون معه كما فى قرابة تفوق اللحم والدم . لم يدخلوا وحدهم وإنما امتلأ البيت من الجمع حتى لم يقدروا ولا على أكل الخبز . هكذا يفتح الرب أبواب بيته السماوى مشتاقاً أن يضم الكل إليه كأحباء وإخوة وأبناء . . . أما أقرباؤه حسب الجسد فخرجوا ليمسكوه قائلين أنه مختل العقل . الله يدخل بنا الى أحشائه بالحب ، والإنسان فى غباوته يخرج من دائرة الحب متهماً حتى الله أنه مختل . هو يضم الإنسان اليه ، والإنسان يظن أنه يجب أن يتحرر من حبه !

لم يقف الأمر عند أقربائه حسب الجسد لكن حتى جماعة من المتعلمين أى الكتبة نزلوا من أورشليم ليتهموه أن معه بعلزبول وأنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين . لقد نزلوا من أورشليم العليا وتركوا الحياة السماوية ففسد فكرهم واسودت بصيرتهم بالجهالة واتهموه هكذا !

فى محبة كشف لهم غباوة تفكيرهم ، بقوله : « **كيف يقدر شيطان أن يخرج شيطاناً ؟ ! وإن إنقسمت مملكة على ذاتها لا تقدر تلك المملكة أن تثبت ، وإن إنقسم بيت على ذاته لا يقدر ذلك البيت أن يثبت ، وإن قام الشيطان على ذاته وإنقسم لا يقدر أن يثبت بل يكون له إنقضاء . لا يستطيع أحد أن يدخل بيت قوى وينهب أمتعته إن لم يربط القوى أولاً وحينئذ ينهب بيته . الحق أقول لكم أن جميع الخطايا تغفر لبنى البشر والتجاديف التى يجدفونها ، ولكن من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد بل هو مستوجب دينونة** » ع ٢٣ — ٢٩ .

لقد سبق لنا تفسير هذه العبارات فى دراستنا لانجيل معلمنا متى البشير (١٢ : ٢٥ — ٣٢) . غير أننى أبرز هنا النقاط التالية :

أ — من الواقع العملى اليومى لا يمكن قبول أن شيطاناً يخرج شيطاناً وإلا انهارت مملكته ، ففى الحروب العادية كما فى الحياة المنزلية إن حدث انشقاق يتبعه خراب لا محالة .

ب — لقد احتل الشيطان الإنسان وحسبه بيته ، ونهب كل طاقاته وإمكانياته ومواهبه لتعمل لحساب مملكة الشر . هذا العدو القوى لن يخرج ، ولا تسحب منه أمتعته التى اغتصبها ما لم يربط أولاً ، فقد جاء السيد المسيح ليعلن عملياً سلطانه

كمحطم لهذا القوى حتى يسحب منه ما قد سبق فسلبه . يقول **القديس كيرلس الكبير** : [يقصد بالقوى الشيطان ، وما هو بيته إلا مملكته على الأرض ، أما أمتعته فهى أولئك الناس الذين يتشبهون بإبليس أبيهم فى شئونهم وأعمالهم . وكما أننا ندعو القديسين أوانى مقدسة وأمتعة مكرمة ، كذلك يمكن تسمية الأشرار أمتعة إبليس وآنيته ، لأنهم يشتركون معه فى الخبث والشر . دخل المسيح الكلمة وحده بيت إبليس ، هذا العالم الأرضى ، وربط الشيطان ، فى « سلاسل الظلام طرحه » ٢ بط ٢ : ٤ . خلص لاوى فلم يعد بعد أسيراً فى مملكة الشيطان ، وأصبح بتوبته جديراً بالبركات الإلهية ، فنتعلم أن التوبة هى السبيل السوى للخلاص والفداء ، فقد قيل : « التفتوا إلىّ واخلصوا يا جميع أقاصى الأرض » إش ٤٥ : ٢٢[(١٠٤)]] .

ج ـــ ابن الانسان مستعد أن يغفر حتى هذه الاتهامات بالرغم من مرارتها ، إن رجع هؤلاء عن شرهم ، أما إن بقوا مصرين على عدم التوبة فيحسبون مجدفين على الروح القدس ، أى رافضين عمله الذى هو التوبة ،فيحرمون من المغفرة ويسقطون تحت الدينونة . يقول **القديس أغسطينوس** : [حقاً إن كل خطية وتجديف يغفر للبشر ليس فقط ما يقال ضد إبن الانسان . فما دامت لا توجد خطية عدم التوبة هذه التى توجه ضد الروح القدس الذى به تغفر الكنيسة جميع الخطايا ، فإن جميع الخطايا تغفر] .

٥ ـــ إخوته وأمه يطلبونه

إذ جذب السيد تلاميذه إلى بيت والتف حوله جموع بلا حصر ، أراد أن يعلن علاقته بهذه الجماهير ؛ أنه دخل معهم كما فى قرابة على مستوى يفوق القرابات الجسدية . إنه لم يحطم القرابات حسب الجسد ولا قاومها ، لكنه أعلن الإلتزام بقرابة أسمى وأعلى . لذلك عندما جاء إخوته وأمه ووقفوا خارجاً وأرسلوا إليه يدعونه ، أجاب قائلاً :**من أمى وإخوتى ؟** » ثم نظر حوله إلى الجالسين ، وقال : « **ها أمى وإخوتى ، لأن من يصنع مشيئة الله هو أخى وأختى وأمى** » ع **٣٤ ، ٣٥** .

+ يظهر الرب أنه يلزمنا أن نكرم من هم أقرباء لنا حسب الايمان أكثر من القرابات حسب الدم . حقاً الإنسان يصير كأم ليسوع بالكرازة به ، إذ يكون كمن يلد

الرب فى قلوب سامعيه .

القديس يوحنا الذهبى الفم[105]

+ لم يقل هذا كمن يجحد أمه ، إنما ليعلن كرامتها التى لا تقوم فقط على حملها للمسيح وإنما على تمتعها بكل فضيلة .

الأب ثيوفلاكتيوس بطريرك بلغاريا[106]

+ إنه لم يقل : « أنت لست أمى » ، بل قال : « من هى أمى » ، وكأنه يقدم مفهوماً جديداً للارتباط به ليس خلال علاقة جسدية خلال الدم واللحم والنسب ، وإنما خلال الطاعة لإرادة أبيه . ألا ترى أنه فى كل مناسبة لم ينكر القرابة حسب الطبيعة لكنه أضاف إليها ما هو بواسطة الفضيلة ؟ !

القديس يوحنا الذهبى الفم[107]

+ إحرص أن تتمم مشيئة الآب لكى تكون أماً للمسيح (مر ٣ : ٣٥)

القديس أمبروسيوس[108]

+ الكنسية فى حالة تمخض إلى أن يتشكل المسيح ويولد داخلنا ، فكل قديس يتمتع بشركة مع المسيح كأنما يولد المسيح فيه من جديد .

الأب ميثودوسيوس[109]

+ من يبشر بالحق يحسب فوق كل شىء أماً للسيد المسيح ، إذ يلد ربنا الذى يحضره إلى قلوب سامعيه . يصير أماً للمسيح إذ يوحى بحب ربنا فى روح قريبه خلال كلماته له .

البابا غريغوريوس (الكبير)[110]

+ + +

الاصحاح الرابع

البذار والزرع

إن كان القديس مرقس قد إهتم بابراز السيد المسيح كمعلم فإن ما ورد في هذا الأصحاح من الأجزاء القليلة جداً لتعاليم السيد . لقد أوضح أنه جاء ليعمل بلا إنقطاع ، يلقى ببذار محبته العملية حيث توجد أراض جيدة تتقبل عمله وينتظر منها ثمراً ، بالرغم من وجود أراضٍ أخرى لا تتجاوب مع عمله ولا تأتي بالثمر . إنه الزارع الذي لا يتوقف عن العمل ، يزرع كلمته مشتاقاً أن يكون الكل مثمراً . . . يزرع بذاراً إلهية فعّالة لكنها غير ملزمة لنا بالتجاوب معها بغير إرادتنا .

١ ــ التقاؤه مع الشعب عند البحر	١.
٢ ــ عمله الإلهي كبذار حية	٢ ــ ٢٠.
٣ ــ عمله الإلهي لن يختفي	٢١ ــ ٢٥.
٤ ــ العمل الإلهي المستمر	٢٦ ــ ٢٩.
٥ ــ العمل الإلهي وحبة الخردل	٣٠ ــ ٣٤.
٦ ــ العمل الإلهي والرياح المضادة	٣٥ ــ ٤١.

+ + +

١ ــ التقاؤه مع الشعب عند البحر

« وابتدأ أيضا يعلم عند البحر ، فاجتمع إليه جمع كثير حتى أنه دخل السفينة وجلس على البحر والجمع كله كان عند البحر على الأرض » ع ١ .

إن كان البحر بأمواجه يشير إلى الشعوب والأمم التى عاشت وسط تيارات الوثنية فان السيد المسيح قد جاء إليهم ودخل سفينة كنيسته جالساً على البحر كعرش له .

يرى **القديس يوحنا ذهبى الفم** أن السيد لم يفعل ذلك بلا هدف ، إنما جلس على السفينة ووجهه متجهاً إلى الجمع الجالس على الشاطىء حتى يكون الكل مقابله فى وجهه ، ليس أحد من ورائه[111] . إنه نزل إلينا لكى يعلن رعايته لنا ، يريد أن يلتقى بنا وجهاً بوجه ، وأن نتمم برؤيته هنا خلال الإيمان وسماع كلمة كرازته لنراه هناك بالعيان خلال شركة أمجاده .

٢ ــ عمله الإلهى كبذار حية

قدم السيد المسيح للشعب تعاليمه خلال الأمثال ، وقد ضرب مثل الزارع الذى خرج ليزرع فسقط البعض على الطريق وآخر على مكان محجر وثالث فى الشوك ، والجزء الاخير على الأرض الجيدة التى أثمرت ثلاثين وستين ومئة . **وقد ذكر الإنجيل متى هذا المثل (١٣ : ١ ــ ٢٣) الذى سبق لنا شرحه** ، وأيضا ذكره الإنجيل لوقا (٨ : ٥ ــ ١٥) . ويلاحظ فى هذا المثل الآتى :

أولاً : إن كان الإنجيل مرقس يعرض عمل السيد المسيح المستمر كخادم للبشرية ، والذى يواجه بمقاومة مستمرة . . . فإنه مع المقاومة يوجد أيضا ثمر متزايد . حقاً توجد نفوس هى أقرب إلى الطريق المفتوح الذى تلتقط الطيور بذاره ، ونفوس أقرب إلى المكان المحجر الذى وإن نبتت البذار فيه سريعاً لكنها تجف ، ونفوس يخنقها شوك العالم ، لكنه توجد أيضا نفوس هى أشبه بالأرض الجيدة تستقبل البذار وتأتى بثمار مفرحة لقلب الله .

ثانياً : يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم**[112] أن السيد المسيح إذ يقول « **خرج الزارع ليزرع** » ، فإن قوله « خرج » يقصد به تجسده الإلهى ، فكلمة الله الزارع الحقيقى حاضر فى كل مكان ومالىء الكل لا يخرج إلى مكان معين ، لكنه خلال التدبير الإلهى إلتحف جسداً كمن قد خرج إلينا نحن المطرودين ليصالحنا مع أبيه ويدخل بنا من جديد إلى الحضرة الإلهية . نحن خرجنا من الفردوس ، فخرج إلينا ذاك الذى لن ينفصل عن أبيه ليردنا نحن الخطاة إلى حضن الآب بغفران خطايانا وإتحادنا فيه .

ولعل تعبير « خرج » يعنى مبادرة الله بالحب . . . فهو دائما كمن يخرج إلى الإنسان بالحب ، إذ وقف الانسان فى ضعفه عاجزاً عن الإلتقاء مع إلهه والدخول إليه .

إذ يحدث السيد المسيح خاصته اليهود الذين جاء إليهم فإنه ربما يقصد بقوله « خرج » الإعلان عن خروجه أيضا إلى الأمم بعد أن رفضته خاصته .

ثالثاً : قدم السيد المسيح نفسه تفسيراً لهذا المثل لتلاميذه ، وقد سبق لنا عرض بعض أقوال الآباء فى هذا التفسير الإلهى(١١٣) ، لذا أكتفى هنا بتقديم مقتطفات لكلمات **القديس كيرلس الكبير** بخصوصه : [يقول المخلص أن الزارع خرج ليزرع ، فمن هو هذا الزارع يا ترى ؟ بلا شك هو المسيح ، لأنه هو الذى يزرع الطيبات . . . به ولأجله نحصد الثمار الروحية على حدّ قوله : « أنا الكرمة وأنتم الأغصان ، الذى يثبت فىّ وأنا فيه هذا يأتى بثمر كثير » يو ١٥ : ٥ . أرجو أن تلاحظوا كيف يجول الزارع فى الحقل يلقى البذار فى شتى المواضع ، فيسقط بعضها على الطريق والبعض الآخر على الوعر من الصخور ، وينتشر جزء على الأماكن الشوكية والآخر على تربة خصبة . أما الذى سقط على الطريق فانداس ، وما كان على الصخر فقد نبت ثم جف ، وما انتشر على الشوك فقد نبت ثم خُنق ، بينما الذى صادف أرضاً جيدة فقد أتى بثمر وفير قدر بمائة ضعف ...

لم أختطفت البذور التى سقطت على الطريق ؟ لصلابة الأرض ، فهى أرض صلدة لا تصلح للزراعة ، تعرضت لدوس الأقدام من حركة رائح وغادٍ ، فانتشر البذر على سطحها مما سهّل للطير إلتقاطه وابتلاعه . هكذا يوجد قوم عقولهم صلبة تتسم بالصلف والعناد ، إذ ما سقطت عليها البذور الإلهية لا تجد لها سبيلاً تسلكه ، فلا تثمر الكلمة خوف الله الذى يرعرع ثمار الفضائل السماوية . هؤلاء الناس جعلوا من أنفسهم موضعاً مألوفاً تطأه الأرواح النجسة بل الشيطان نفسه ، فلا يكون فيهم مجالاً لإعلان الثمار المقدسة . ليته يتيقظ هؤلاء الناس الذين أجدبت قلوبهم وأقفرت ، وليفتحوا عقولهم لبذرة الحق المقدسة ، فتثمر فيهم ثمار الحياة الطاهرة ! كونوا رقباء على أذهانكم وأحكموا إغلاق المنافذ فلا يدخلها سارق ولص . أطردوا من قلوبكم أسراب الطير حتى تبقى البذار فى مكانها ، فينبت زهراً يانعاً

ونحصل منه على بذار وفيرة وثمار كثيرة .

لنتأمل الآن فى البذار التى سقطت بين الوعر من الصخور أو بالأحرى فى الناس الذين يتقبلون الكلمة بفرح . وفى وقت التجربة يرجعون متقاعسين . هؤلاء الناس لم يدخلوا فى بوتقة التجارب ، فجلّ همهم الإعتياد على الكلمات الجوفاء والتهرب من الإمعان فى أسرار السموات ، فتكون تقواهم هراء فى هراء ، لأن ليس لهم جذور متعمقة فى تربة خصبة . أولئك يغشون الكنائس ويظهرون إغتباطهم بما يسمعونه من المرشد الذى وظيفته النصح والتعليم ، ويكيلون له المدح فى غير ما تمييز أو إدراك بل عن إرادة غير طاهرة وقلب غير سليم لأنهم إذا ما تركوا عتبة الكنيسة ينسون التعاليم المقدسة وينهجون منهج الأعوج ، إذ لا يحتفظون بشىء ينبت ويثمر . فإذا كانت الكنيسة آمنة سالمة ولم يحدث ما يكدرها بتجربة أو اضطهاد أظهروا إيمانهم إلى حد ما ، ولكن فى صورة المتزعزع المضطرب ، فاذا إشتدت الأمور وإكفهرت عن جو يعصف بالاضطهادات المريعة وهجمات أعداء الإيمان المرة تقهقر هؤلاء الناس عن الدخول فى حومة الوغى ، وألقت عقولهم الدروع والخوذات لأنهم قد خلوا من الحماس الروحى والمحبة الإلهية وجبلوا على الجبن والنذالة . أيها الجبناء الضعفاء ، لماذا تهربون من ميدان فيه فخركم ومجدكم وتفرون من المعارك وقد تدربتم لها ؟ هنا ميدان الغنيمة لمن شاء نصراً ومجداً . ألا كافحوا بجلد وثبات ، واعقدوا الخناجر (الروحية) على الظفر فى الحروب المرة ، وكروا حتى تنالوا قصب السبق ، فإن وراء الثبات مغنماً وفى الصبر شرفاً ومجداً . . . فإذا تألمنا فى دفاعنا عن الإيمان بالمسيح توجت هاماتنا بإكليل الظفر والمجد ، ولنعلم أن الموت مع الشرف خير من الحياة مع العار على حدّ قول المخلص لتلاميذه المقدسين : « لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر بل أريكم ممن تخافون ، خافوا من الذى بعدما يقتل له سلطان أن يلقى فى جهنم » لو ١٢ : ٤ . وهل طلب إلينا السيد تحمل الآلام ولم يشأ هو أن يتحملها ؟ كلا ، فقد وضع نفسه لأجلنا وإشترى بدمه العالم طرا ، فلا نملك نحن أنفسنا بل يملكنا الفادى الذى خلصنا كما قال بولس الرسول : « لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكى يسود على الأحياء والأموات » رو ١٤ . فلنكن ثابتين جريئين حتى إذا هبت علينا عواصف التجارب ذللنا الصعوبات بنعمة الصبر والثبات ، ولنفرح بمقابلة النوازل والكوارث ففيها فرصة لإظهار الصلاح بالمسيح ربنا .

والآن فلنبحث حقيقة المثل بخصوص الأشواك التي تخنق البذار الإلهية . يقول المخلص : « والذى سقط بين الشوك هم الذين يسمعون ثم يذهبون فيختنقون من هموم الحياة وغناها ولذاتها ولا ينضجون ثمراً » . يوزع الفادى البذار فتصادف قلوباً تظهر قوية مثمرة ، ولكن بعد قليل تخنقها متاعب الحياة وهمومها ، فتجف البذار وتبلى ، أو كما يقول هوشع النبى : « إنهم يزرعون الريح ويحصدون الزوبعة ، زرع ليس له غلة لا يصنع دقيقاً ، وإن صنع فالغرباء تبتلعه » هو ٨ : ٧ . . . لنعلم أنه لا يمكن أن تزهر البذار الإلهية إلا إذا نزعنا عن عقولنا الهموم العالمية وجردنا أنفسنا عن زهو الغنى الباطل :« لأننا لم ندخل العالم بشيء وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء اتى ٦ : ٧ ، لأنه ما الفائدة من امتلاكنا الأشياء الزائلة الفانية ، « الرب لا يجيع نفس الصديق ولكنه يدفع هوى الأشرار » أم ١٠ : ٢ .

ألم تلاحظ أنه فى حالة الشر تخنقنا الشرور الفاسدة من نهم وطمع وشره وجشع وسكر وعبث وكبرياء أو كما يقول رسول المخلص : « كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ، ليس من الآب بل من العالم ، والعالم يمضى وشهوته وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد » ١ يو ٢ : ١٦ .

الأرض الجيدة هى التى تثمر مئة ضعف ، فقد اعتاد الناس أن يمتدحوا الأرض التى يستغلونها فتعطى لهم غلة وفيرة ومحصولاً كبيراً . جاء وصف هذه التربة الخصبة وارداً على لسان أحد الأنبياء القديسين ؛ اذ قال : « ويطوبكم الأمم لأنكم تكونون أرض مسرة قال رب الجنود » ملا ٣ : ١٢ . إن كلمة الله إذا ما سمعها عقل طاهر ماهر نقى من الحسك والشوك أينعت وأثمرت وأعطت محصولاً وفيراً .

يقول متى فى صدد هذا الأصحاح أن الأرض الجيدة كانت على ثلاث درجات حيث يقول : فيصنع بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين « مت ١٣ : ٢٣ . لاحظوا أنه كما أن المسيح وصف ثلاث درجات للخسارة كذلك وصف ثلاث درجات للربح والفائدة . فإن البذور التى سقطت على الطريق اختطفت ، والتى صارت صخراً وعراً جفت ، والتى قابلت شوكاً وحسكاً خنقت ، كذلك فى حالة سقوط البذور على أرض جيدة فإنها تعطى غلات وفيرة مئة ضعف وستين وثلاثين ، أو كما يقول بولس الحكيم : « كل واحد له موهبته الخاصة من الله ، الواحد هكذا

والآخر هكذا » ١ كو ٧ : ٧ . لا ينجح جميع القديسين نجاحاً واحداً وبدرجة واحدة ، وقد أُمرنا أن نسعى وراء العمل الصالح بجد وثبات متخيرين الأفضل والأكمل حتى نحظى برضى المسيح السامى ، فنفرح ونسعد للمسيح ولله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس من الآن وإلى أبد الأبد آمين[١١٤]] .

إن كان الباذر واحداً وبذاره هى بعينها التى يقدمها لكل أرض ، ليتنا لا نكن بعد طريقاً مفتوحاً ومداساً من الأرواح الشريرة حتى لا تلتقط الطيور البذار وتحرمنا من الثمر الإلهى ، ولا نكن بقلب متحجر ليس فيه محبة لله والناس حتى يمكن للزرع أن يكون له جذوره العميقة فينا ، ولا يكن فينا شوك هموم الحياة وارتباكاتها حتى لا تخنق الكلمة . . . لكن فى يديه نسلم له حياتنا فيجعلها تربة صالحة تتقبل كلمته وتأتى بالثمر المتكاثر .

رابعاً : ربما يتساءل البعض : لماذا ألقى السيد بالبذار على الطريق وفى الأرض المحجرة وحيث الأشواك ولم يكتف بالقائها فى الأرض الجيدة ؟

أ ــ يرى أحد الدارسين[١١٥] أنه لا نستطيع أن نفهم هذا المثل إلا إذا عرفنا أمرين : الأول أنه فى ارض فلسطين كانوا يلقون بالبذار أولاً وبعد ذلك يقومون بحرث الأرض بمحراث خشبى[١١٦] ، فكأن الطريق تقبل البذار وكان يمكن أن يأتى بالثمار لو أن الأرض قد حُرثت بعد ذلك ، فيتحول الطريق إلى أرض زراعية . . . ونحن يمكننا أن نضيف بأن البذار تقدم للجميع إذ كلمة الله مقدمة مجاناً للكل ، لكن من يقبل المحراث الخشبى فى حياته أى الصليب العملى يتمتع بثمر الكلمة فيه ، أما من يصرّ على الحياة المدللة تخطف الطيور البذار ، وقد دعيت طيور السماء لأن الأرواح الشريرة فى أصلها روحية سماوية وقد فسدت بسقوطها فى الكبرياء . أما الثانى فهو يقصد بالأراضى المحجرة الحجر الجيرى الذى يغطيه طبقة من التربة تخفيه ، وهذا كثيراً ما يوجد فى الجليل . . . فالباذر يقدم البذار لأن أمامه تربة فى ظاهرها صالحة لكنها تخفى قلباً حجرياً ...

ب ــ من أجل تقدير الله للحرية الانسانية يقدم كلمته للجميع . . .. فان كانت توجد ثلاثة أنواع من الأراضى لا تأتى بثمار فإن النوع الرابع يأتى بثمر كثير فائق للطبيعة : مئة ضعف وستين وثلاثين يعوض بكثير الأراضى ويشير للمجد الفائق

الذى يتمتع به المؤمنون فى الميراث .

هذا الثمر الوفير الذى يفرح قلب الله عنه الأنبياء ، فيقول إشعياء : « فى المستقبل يتأصل يعقوب ، يزهر ويفرع اسرائيل ، ويملأون وجه المسكونة ثمراً » إش ٢٧ : ٦ ، ١١ . . . . بهذا المنظر لا نضطرب من جهة البذار التى ألقيت فى كل أنواع الأراضى .

خامساً : بدأ المثل بقوله : « إسمعوا » ، بالعبرية « شمع **Shema** » ، ويختمه بقوله « **من له أذنان للسمع فليسمع** » ع ٩ . . . . وكأن السيد إذ يتحدث عن ملكوت الله ، إنما يتحدث عن سرّ عمل الله فى النفوس ، يحتاج إلى آذان روحية قادرة أن تسمع صوته وتتجاوب معه . فى القديم إذ قدم الله شريعته بدأ حديثه « إسمع يا إسرائيل » تث ٤ : ١ ، ٦ : ٤ ، لكن إذ لم يكن لإسرائيل الأذنين المختونتين لم يستطع أن يسمع للوصية فى أعماق قلبه ، ولا أن يدرك أسرارها ويتجاوب معها . إنه كعالى الكاهن الذى يمثل اسرائيل لم يسمع الصوت الإلهى الذى سمعه الطفل صموئيل ممثل الأمم (١ صم ٣) . لذلك جاء السيد المسيح لا ليقدم الوصية فحسب وإنما يغير طبيعة الأذنين ويختنهما بصليبه لحساب مملكته .

يقول السيد : « من له أذنان » ، ولم يقل : « من له أذن » . . . . فإن رقم ٢ يشير إلى المحبة كما يقول **القديس أغسطينوس** ، فأن صاحب الأذن الواحدة هو ذاك الذى لا يسمع إلا ما هو لنفعه الخاص ، أما صاحب الأذنين فهو ذاك الذى يسمع بفرح ما يمجد الله ويبنى الناس ، إنه محب لله والبشرية !

سادساً : فى لقاء الاثنى عشر مع السيد ، إذ سألوه عن المثل أجاب : « **قد أعطى لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله ، وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شىء ، لكى يبصروا مبصرين ولا ينظروا ، ويسمعوا سامعين ولا يفهموا ، لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم** » ع ١١ ، ١٢ . وقد أثارت هذه الاجابة تساؤلات الكثير من الدارسين :

كيف يكون هذا ؟ ألا يريد السيد من البشرية أن تفهم تعليمه وتتمتع بخلاصه ، وتنال غفران الخطايا ؟

ألم يقل الإنجيلى نفسه فى ذات الأصحاح : « **وبأمثال كثيرة مثل هذه كان يكلمهم حسبما كان يستطيعون أن يسمعوا** » ع ٣٣ ؟ !. . . وكأنه كما يقدم لهم الأمثال بطريقة يسهل عليهم سماعها !

ألم يكن يشتاق السيد إلى أن يدرك الكل أسرار ملكوته إذ قال : « أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال ، نعم أيها الآب لأن هكذا صارت أمامك » مت ١١ : ٢٥ ، ٢٦ ؟ !

أ ــ يقول أحد الدارسين(١١٧) إنه يليق بنا فهم كلمات السيد المسيح بالفكر اللاهوتى الذى كان للكنيسة الأولى ، فان كلمات السيد تميز بين مجموعتين : الذين له مع الإثنى عشر ، والذين هم فى الخارج (ع ١٠ ، ١١) . فان سرّ الملكوت لم يعلن للإثنى عشر وحدهم بل للذين إلتفوا حول السيد فى كنيسته ، أما الذين فى الخارج فهم اليهود رافضوا الإيمان به . فمن يتمتع بالحياة الكنسية ويكون تابعاً للسيد يتعم بقلب منفتح يدرك سرّ ملكوت الله ، أما الذى يبقى فى الخارج فلا يقدر أن يدرك السرّ فى أعماقه بل يحرم نفسه بنفسه من المعرفة الإيمانية الحية ، فيبصروا بأعينهم الجسدية ويسمعوا بأذانهم المادية أما أعماقهم فلا ترى ولا تسمع . . . وهكذا لا يرجعون إلى المخلص ولا يتمتعون بغفران خطاياهم .

ب ــ قدم السيد تعاليمه علانية للجميع ، لكن الأمر يحتاج إلى التمتع باعلان السرّ ، هذا السرّ يعطى لكل نفس تأتى إلى السيد مع الإثنى عشر لتنفرد به وتنعم بعمله الخفى فيها . إن كان ملكوت الله يشبه لؤلؤة كثيرة الثمن ، فان الله لا يبخل أن يعطيها لكل إنسان يتقدم إليه فى جدية يسأله إياها .

كلمة الله تقدم مجاناً لكنها لا تعلن إلا لمن يشتاق إليها طالباً معرفة « سرّ ملكوت الله » ، الأمر الذى نلمسه بقوة فى حياة معلمنا بولس الرسول ، إذ يقول : « نتكلم بحكمة الله فى سرّ ، الحكمة المكتومة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا » ١ كو ٢ : ٧ ، ويدعو الإنجيل « سراً » أف ٦ : ١٩ ...

بنفس الفكر نجد السيد المسيح يقدم حياته مبذولة على الصليب علانية ، لكنه لا يستطيع أحد أن يتفهم سرّ الصليب إلا الراغب فى الإلتقاء معه ليتعرف على قوة قيامته . . . فالصليب تمت أحداثه أمام العالم أما القيامة فيختبرها الراغبون فى التمتع

بعملها فيهم ، هؤلاء الذين يصعدون مع التلاميذ فى علية صهيون يترقبون ظهوره !

حـ ـــ كان اليهود يحسبون الأمم « فى الخارج » إذ لا ينعمون بما تمتع به اليهود من آباء وأنبياء وشريعة مقدسة ومواعيد إلهية...والآن فى هذا المثل يكشف لهم السيد أن الذين فى الخارج هم اليهود الذين مع ما تمتعوا به من هذا الأمور رفضوا الدخول إلى سرّ الملكوت ، فصاروا كما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** ـــ يبصرون السيد المسيح يخرج الشياطين فيقولون به شيطان ، ويبصرون القائمين من الأموات (مثل لعازر) فلا يسجدون له بل يفكرون فى قتله .

٣ ـــ عمله الإلهى لن يختفى

إن كان السيد المسيح قد جاء إلى العالم ليخدم العالم بحبه العملى دون أن يطلب مجداً لذاته ، لكن لا يمكن لمجده أن يختفى . . . لقد وضع لنا خطة العمل ، ألا هى العمل من أجل المجد الداخلى ، بعيداً عن حب الظهور أو طلب الكرامات الزمنية ، لكننا فيما نحن نعمل هكذا بروحه يتمجد فينا علانية ، إذ يقول : « **هل يؤتى بسراج ليوضع تحت مكيال أو تحت السرير ؟ ! أليس ليوضع على المنارة ؟ ! لأنه ليس شىء خفى لا يظهر ولا صار مكتوباً إلا ليعلن** » ع ٢١ ، ٢٢ .

ويلاحظ فى هذا القول الإلهى الآتى :

أولاً : جاء هذا القول تباعاً بعد شرحه مثل الزارع والبذار لتلاميذه ، لعل السيد أراد أن يقول لتلاميذه أن كلماته « سراج منير » يسمعها العامة وفى غير إدراك روحى لا ينتفعون بها إذ يخفونها كما تحت مكيال أو تحت السرير ، أما هم فقد أقامهم منارة للعالم تحمل السراج الإلهى ليضىء فى العالم . يقول **الأب ثيؤفلاكتيوس** : [يحث الرب تلاميذه أن يكونوا نوراً فى حياتهم كما فى أحاديثهم ، قائلاً لهم بأنه كما أن السراج يعطى ضوءاً هكذا الكل يتطلع إلى حياتكم . لذلك يجب أن تكونوا مجتهدين فى ممارسة الحياة الصالحة ، لا تجلسوا فى الزوايا بل كونوا سراجاً . فإن السراج يعطى ضوءاً ليس عندما يوضع تحت سرير بل على منارة هكذا ليوضع هذا النور على المنارة ، أى يقوم على الحياة الصالحة السامية . لا يوضع السراج تحت مكيال أى تحت أشياء تدخل الحلق ، ولا تحت سرير أى الكسل . فانه ليس إنسان يطلب

ملذات فمه ويحب التراخى يمكن أن يضىء على الآخرين] .

ثانياً : إن كانت كلمة الله هى نور يجب أن يشرق على الكل فإننا إن وضعناه تحت مكيال أو تحت السرير نحجب عمله عن الآخرين . ما هو المكيال إلا المقاييس البشرية الزمنية التى تفقد الإنسان إيمانه بالله العامل فوق كل الحدود البشرية ، وما هو السرير إلا الجسد الذى يتراخى متهاوناً بالأبدية . بمعنى آخر لنقبل كلمة الله فينا سراجاً يرتفع بنا فوق كل فكر زمنى وفوق كل شهوات لجسد !

ثالثاً : رأينا فى مقدمة هذا السفر أن السيد المسيح كا يخفى سرّه الحقيقى بطرق متنوعة ، الآن يظهر أن هذا الإخفاء إنما يكون إلى حين ، فإن سرّ المسيح أو سرّ إنجيله فى الحقيقة لم يستطع حتى التلاميذ إدراكه إلا بعد قيامته وإرساله روحه القدوس يذكرهم بكل ما قاله لهم (يو ١٤ : ٢٦) ويعلمهم كل شىء (يو ١٤ : ٢٦) ويعلمهم كل شىء (يو ١٤ : ١٦) لذلك يقول الرسول عن سرّ الله : « أعلنه الله لنا نحن بروحه ، لأن الروح يفحص كل شىء حتى أعماق الله ، لأن مَنْ مِن الناس يعرف أمور الانسان إلا روح الانسان الذى فيه ، هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله » ١ كو ٢ : ١٠ ، ١١ . يقول **القديس ديديموس الضرير** : [يستحيل أن ينال أحد نعمة الله ما لم يكن له الروح القدس ، الذى فيه كل عطايا الله(١١٨)] .

رابعاً : يقول الرب : « **لأنه ليس شىء خفى ولا صار مكتوماً إلا ليعلن . . . بالكيل الذى به تكيلون يُكال لكم ويزاد لكم أيها السامعون ، لأن من له سيعطى ، وأما من ليس له فالذى عنده سيؤخذ منه** » ع **٢٢ ــ ٢٥** .

ما نزرعه هنا إياه نحصد ، فإن زرعنا السمويات ننعم بأمجادها مزاداً عليها ، وإن جمعنا التراب ننال فساداً مضاعفاً . . . فالأبدية ليست إلا إمتداداً لحياة إختارها الانسان لنفسه وعاشها فى أعماق قلبه ، وكما يقول **الشيخ الروحانى** : [كل واحد ميراثه فيه ، وغذاؤه داخله(١١٩)] .

« **من له يعطى فيزداد ، وأما من ليس له فالذى عنده سيؤخذ منه** » ع **٢٥** ، بمعنى آخر من إختار الغنى الروحى يزداد غنى ، ومن أهمل فى حياته الروحية

يزداد فقراً . اليهود فى جحدهم للرب حتى ما لديهم قد سحب منهم ، وأما الذين قبلوا الرب فازدادوا نعمة فوق نعمة .

فى حياتنا الروحية إن رفضنا عمل الله حتى ما نلناه بالطبيعة أو الناموس الطبيعى يُنزع منا ، فيسلك الانسان على مستوى حيوانى وأحيانا أقل من الحيوانى ، أما الذى بالإيمان يجاهد فإنه ينال بركات فائقة بجانب ما تمتع به خلال الطبيعة التى وهبه الله إياها .

٤ ــ العمل الإلهى المستمر

ربما استصعب التلاميذ العمل كيف يقدمون نوراً للعالم ، لذلك أكد لهم السيد أن العمل الكرازى هو عمل إلهى ومستمر ، له فاعليته فى حياة الآخرين حتى فى لحظات الضعف التى يعيشها الخادم ، اذ يقول : « **هكذا ملكوت الله كأن إنساناً يلقى البذار على الأرض ، وينام ويقوم ليلاً ونهاراً والبذار يطلع وينمو وهو لا يعلم كيف ، لأن الأرض من ذاتها تأتى بثمر . . .** » ع ٢٦ ــ ٢٨ .

أولاً : من هو الذى ألقى البذار على الأرض إلا الإبن الذى سلم نفسه للموت كقوله : « ليس أحد يأخذها منى بل أضعها أنا من ذاتى ، لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضاً » يو ١٠ : ١٨ . لقد سلّم جسده كمن نام وقام ، وإذ ببذار الكرازة قد طلعت ونمت وصارت نباتاً فسنبلاً ثم قمحاً ملآن فى السنابل (ع ٢٨) . بموته وقيامته وهب الكنيسة ثماراً لا تتوقف . ونحن أيضاً إن كنا نخدم إنما نقدم ذاك الذى بعمله الإلهى يقيم النفوس بلا توقف حتى يكمل المختارون ويتمتعوا بشركة المجد معه .

أما قوله : « لا يعلم كيف » إنما تشير إلى سرية عمله الخفى فى القلوب التى يقيمها معه بطريقة لا يمكن لنا إدراكها ، فيحسب كمن لا يعلم كيف إذ لا يشرحها لنا ولا يعلنها للبشر .

ثانياً : يسمى البعض هذا المثل « المزارع الصبور »[١٢٠] ، فقد ألقى السيد بالبذار وفى غير قلق يدرك أن ملكوته قادم لا محالة . . . الحصاد يتحقق حتماً ، والأرض لا بد أن تحمل ثمراً . حقاً ليتنا لا نضطرب بل فى يقين الإيمان أن البذار التى

وهبنا إياها فعّالة ، قادرة أن تخرج من الانسان الترابى ثمراً سماوياً ، تقيمه مع السيد المسيح ليجلس معه فى السمويات (أف ٢ : ٦) .

ثالثاً : يرسل السيد المنجل للحصاد . . . هكذا يرفع الرب قلوبنا إلى مجيئه الأخير لنرى الحصاد قد نضج تماماً والملائكة كحاصادين قادمين بالمنجل السماوى يحصدون لحساب ملكوت الله ثماراً مفرحة . هذا ما رآه يوئيل النبى القائل : « أرسلوا المنجل لأن الحصيد قد نضج » يوئيل ٣ : ١٣ ، وما تمتع برؤيته القديس يوحنا : « وخرج ملاك آخر من الهيكل يصرخ بصوت عظيم إلى الجالس على السحابة : أرسل منجلك واحصد ، لأنه قد جاءت الساعة للحصاد إذ قد يبس حصيد الأرض ، فألقى الجالس على السحابة منجله على الأرض فحُصدت الأرض » رؤ ١٤ : ١٥ ، ١٦ .

رابعاً : يقول **البابا غريغوريوس (الكبير)** : [يلقى الانسان بالبذرة فى الأرض عندما يضع النية الصالحة فى قلبه ، وينام إذ يستريح فعلاً خلال رجائه فى العمل الصالح . لكنه يقوم ليلاً ونهاراً ، إذ يتقدم فى النمو مع الصراع ، وإن كان لا يعرف كيف يتحقق ذلك ، إذ لا يستطيع أن يقيس مقدار نموه . ومع ذلك فالفضيلة التى تمتع بها تنمو . إذن عندما ندرك الرغبات الصالحة نكون قد وضعنا البذرة فى الأرض ، وعندما نبدأ فى العمل الصالح تصير البذرة بحق نباتاً . وعندما تنمو إلى كال الأعمال الصالحة نبلغ إلى السنبلة . وإذ نثبت فى الكمال فى ذات العمل تكون السنبلة قد امتلأت قمحاً[١٢١]] .

٥ ــ العمل الإلهى وحبة الخردل

هذا هو المثل الثالث الذى يقدمه لنا السيد المسيح فى هذا الأصحاح ، الأول مثل الزارع الذى يهبنا رجاء فلا نضطرب من أجل البذور التى سقطت ولم تثمر إذ توجد أرض جيدة تثمر مئة وستين وثلاثين ، والثانى مثل الزارع الذى لا يدرك كيف تنمو البذرة فان الله هو العامل حتى وإن كانت الكرازة كبذرة فى وسط الأرض يحيط بها الظلام ، والمثل الثالث هو « حبة الخردل » حتى لا نرتبك إن رأينا الكرازة فى بدايتها صغيرة للغاية كحبة خردل ، فانها تصير كشجرة تملأ المسكونة ، تأوى بين أغصانها طيور السماء وتستظل تحتها حيوانات البرية .

ويلاحظ فى هذا المثل :

أولاً : فى القديم أشير للمالك العظيمة بشجرة فى وسط الأرض يستظل تحتها حيوانات البرية ويسكن فى أغصانها طيور السماء (دا ٤ : ١٠ — ١٢ ، حز ٣١ : ٦) ، يكون المملكة فى إتساعها تضم دولاً وبلداناً تحت ظلها تحميها من كل عدوان خارجى . . . أما الشجرة التى يتحدث عنها السيد هنا فهى مملكة روحية اجتذبت بالصليب الأمم والشعوب ليجدوا فيها موضع راحة ، وقد سبق لنا الحديث عن حبة الخردل وإرتباطها بآلام المسيح وإنجيله[١٢٢] .

ثانياً : إستخدام السيد المسيح « حبة الخردل » بالذات كمثال للملكوته السماوى لسببين رئيسين ، الأول أن هذه الحبة يظهر نفعها بالأكثر حينما تسحق أو تُعصر كما تصير شجرة متى دفنت فى الأرض وكأنها حملت إشارة الى إجتياز الرب الآلام والدفن ، والثانى إنه كان شائعاً فى أمثال اليهود أنها أصغر الحبوب (فى فلسطين) ، فاستخدم نعتهم للكشف عن سرّ ملكوته .

ثالثاً : سبق لنا عرض آراء بعض الآباء فى علاقة حبة الخردل بملكوت السيد المسيح مثل البابا **غريغوريوس (الكبير) والقديسين ذهبى الفم وامبروسيوس وجيروم واغسطينوس وهيلارى أسقف بواتييه** ، لذلك أكتفى هنا بعرض لكلمات **القديس كيرلس الكبير** فى هذا الشأن :

[المقارنة ممتازة ، إذ من المناسب جداً أن يقدم أمامهم ما يحدث بخصوص الكرازة المقدسة الإلهية الخاصة بالإنجيل والتى يدعوها هنا ملكوت السموات ، فمن خلالها ننال حقّ الشركة فى ملكوت المسيح . قُدمت هذه الكرازة فى البداية لأشخاص قليلين وفى نطاق ضيق لكنها إتسعت فى تأثيرها وامتدت إلى كل الأمم . لقد كُرز بها أولاً فى اليهودية وحدها حيث كان التلاميذ الطوباويون أيضا قليلى العدد جداً ، وإذ عصى إسرائيل جاءت الوصية للرسل القديسين : « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم . . . » مت ٢٨ : ١٩ . كما أن حبة الخردل صغيرة جدا فى حجمها بالنسبة لبذور النباتات الأخرى لكنها تنمو عالية جداً أكثر من الأعشاب العادية حتى تصير مأوى لكثير من العصافير ، هكذا ملكوت السموات ونتعرف على ذاك الذى بالطبيعة هو الله حقاً ، قد بدأت موجهة إلى أشخاص قليلين كما لو كانت صغيرة

ومحدودة ، فنمت بسرعة وصارت مأوى للذين هربوا إليها كملجأ لهم هؤلاء الذين حُسبوا كعصافير ، لأن الأمور البشرية تُحسب صغيرة إن قيست بالله .

لقد أُعطى الناموس الموسوى للإسرائيليين ، وإذ لم يستطع سكان الأرض أن يخلصوا خلال ظل الناموس وخدمته المادية صارت الضرورة ملحة أن تنطلق الكرازة بالانجيل واهب الخلاص وأن تنتشر بين كل ما هو تحت السماء .

هذا ما أعلنه لنا حرف الناموس الموسوى خلال علامة ، فقد جاء فيه : « وكلم الرب موسى قائلاً : إصنع لك بوقين من فضة مسحولين تعملهما ، فيكونان لك لمناداة الجماعة ولارتحال المحلات » عد ١٠ : ١ . جاء بعد ذلك : « وبنو هرون الكهنة يضربون بالأبواق فتكون لكم فريضة أبدية فى أجيالكم » عد ١٠ : ٨ . من هذا يمكن أن يفهم عمل الناموس التمهيدى (للإنجيل) والكمال الذى نناله فى المسيح بالحياة الإنجيلية ، فقد أشار النبى إشعياء أيضا إلى هذا الإسم بقوله : « ويكون فى ذلك اليوم أنه يضرب ببوق عظيم » إش ٢٧ : ١٣ . فبالحقيقة قد ضُرب ببوق عظيم خلال صوت الرسل القديسين ، غير متجاهلين (البوق) الأول إنما إحتووه ، إذ كانوا دائما يبرهنون على ما يقولونه بخصوص المسيح من الناموس والأنبياء ، مستخدمين شهادات العصور القديمة .

إذن وُجد بوقان من فضة مسحولة ، حيث تشير الفضة إلى السمو ، لأن كل كلمة الله مجيدة ، لا تحمل فيها شيئاً من ظلمة العالم ، وطرق المعدن أظهر أن البوق المقدس الإلهى ـ أى الكرازة القديمة والجديدة ـ تنمو وتتقدم ، لأن ما يطرق ينسحب إلى قدام ويتسع فى الطول والعرض . فبقيامة المسيح من أجل سكان الأرض تقدم الناموس القديم خلال تفسيره الروحى ، إذ نكرز به نحن الذين نلنا الاستنارة الروحية فى المسيح ، وأيضا تقدمت رسالة الإنجيل وانتشرت حتى احتضنت العالم كله . لقد أعطى الناموس الكهنة أن يستخدموا الأبواق لتعليم الشعب ، أما المسيح فقدم خدام الإعلانات الجديدة نقصد بهم الرسل القديسين للكرازة به والتبشير بوصاياه . أعلنوا سره كمن يستخدم بوقين ، بهما يكرزون عنه ، إذ « كانوا من البدء معاينين وخداماً للكلمة » لو ١ : ٢ ، مؤكدين بكلماتهم الشهادات الحقيقية للناموس والأنبياء .

ليس صعباً أن نرى رسالة الإنجيل قد كُرز بها فى البداية صغيرة فى حجمها وقد امتدت متزايدة جداً كما سبق فأخبرنا الله عنها بصوت إشعياء : « لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب كما تغطى المياه البحر » إش ١١ : ٩ . فإن الكرازة بالخلاص فى كل موضع تفيض كالبحر وعملها لا يُقاوم . هذا ما أعلنه إله الكل فى وضوح بصوت النبى : « وليجر الحق كالمياه والبر كنهر دائم » عا ٥ : ٢٤ . فقد أعطى إسمى الحق والبر لرسالة الإنجيل ، ومنحنا تأكيداً أن هذه الرسالة تجرى فى العالم كالمياه والفيضان ، فلا يقف إنسان أمام مجاريها الجارفة بقوة .

نفس التفسير أيضا لائق جداً إذ يقارن ملكوت الله بخميرة . فإن الخميرة صغيرة فى كميتها لكنها تمسك العجين كله وبسرعة تتفاعل معه وتهبه خواصها . هكذا تعمل فينا كلمة الله بنفس الطريقة ، فانها إذ تُضاف إلينا فى داخلنا تجعلنا قديسين وبلا لوم وتتسرب إلى ذهننا وقلبنا ، وتجعلنا روحيين ، وكما يقول بولس : « لتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجىء ربنا يسوع المسيح » ١ تس ٥ : ٢٣ ... [124]] .

٦ ـــ العمل الإلهى والرياح المضادة

إذ شبه السيد المسيح عمله الإلهى لنشر ملكوته السماوى بالبذار الملقاة فى الأرض ، معلناً إستمرارية عمله غير المدرك ، الآن إذ جاء المساء أراد أن يكشف لتلاميذه عملياً عن هذه الامكانيات خلال إنتهاره للرياح المضادة معلناً سلطانه حتى على البحر .

لقد سبق لنا دراسة تهدئة السيد المسيح للأمواج (مت ٨ : ٢٣ ـــ ٢٧)[125] من خلال كتابات الآباء حيث تظهر الكنيسة كسفينة وسط أمواج هذا العالم تعانى من التجارب والضيقات لكن عريسها فى داخلها فلن تتزعزع . رسالتنا أن نوقظ مسيحنا الذى فى داخلنا فهو وحده يقدر أن يأمر فيطاع . . . هذا وباتحادنا معه وثبوتنا فيه نحمل سلطاناً فنعيش فى ملء النصرة الداخلية .

بجانب ما سبق فقلناه أثناء تفسيرنا لإنجيل متى البشير يمكننا أيضا أن نقول :

أولاً : إعتاد السيد كممثل لنا أن يستريح فى أحد مواضع ثلاثة : إما فى موضع

خلاء تمثل لقاءنا مع الآب فى خلوة ، أو على جبل إشارة إلى إرتفاعنا إلى الحياة العلوية بالمسيح يسوع الجبل الحقيقى الذى تقام عليه صهيون ، أو على وسادة داخل سفينة كما نرى هنا . إن كانت السفينة تشير إلى الكنيسة فالسيد المسيح يستريح فيها خلال النفوس المؤمنة كوسادة مريحة يجد لرأسه موضعاً عليها ، وإن كانت السفينة تشير إلى الصليب فراحته الحقيقية هى نومه على الصليب لأجل خلاصنا !

ثانياً : سمح الرب بالتجربة القاسية إذ « **كانت الأمواج تضرب الى السفينة حتى صارت تمتلىء** » ع ٣٧ . . . ليعلن لهم أن وجوده فى السفينة لا ينزع عنهم التجارب إنما يحفظهم منها ، إن أيقظوه فى داخلهم ، أى أعلنوا إيمانهم به وسألوه بالصلاة الدائمة ، يقول **القديس يوحنا سابا** : [أجر الثبات فى الحروب (التجارب) أعظم من أجر الأعمال الفاضلة التى تكمل بالراحة[١٢٦]] .

ثالثاً : التجربة دخلت بهم إلى خبرة جديدة كشفت لهم شخص المسيا وسلطانه ، إذ « **خافوا خوفاً عظيماً وقالوا بعضهم لبعض : من هو هذا ، فإن الريح إيضا والبحر يطيعانه** » ع ٤١ . بهذه الخبرة صار لنا أن نحمل المسيا فينا ، فنحمل عمله وسلطانه لا لننتهر البحر والريح وإنما لنحيا فوق رياح العالم ونغلب جهنم وكل مخاوفها . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [إنظر فانه يمكنك ليس فقط أن تراه وإنما تمتثل أيضا به ، إن كنا مملوئين غيرة ! ليتنا لا نتأخر فى نوال ذلك ، فإنه مستعد أن يستجيب لشفاه الودعاء وطويلى الأناة أكثر من شفاة الأنبياء ، إذ يقول : « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا ؟ ! . . . فحينئذ أصرح لهم أنى لم أعرفكم قط » مت ٧ : ٢٢ ، ٢٣ . أما شفتا موسى الذى كان وديعاً ولطيفاً للغاية (عد ١٢ : ٣) فكانتا مقبولتين لديه ومحبوبتين ، حتى قيل أنه كان يكلمه وجهاً لوجه وفماً لفم كما يكلم الرجل صاحبه (خر ٣٣ : ١١ ، عد ٧ : ٨) . وأنت إن كنت لا تنتهر الشياطين الآن لكنك ستنتهر نار جهنم ، إن حفظت فمك كفم المسيح . تأمر هذه النار وتقول : أسكتى ، وبثقة عظيمة تضع قدميك فى السموات وتتمتع بالملكوت الذى يهبه الله لنا بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للبشر[١٢٧]] .

رابعاً : يتطلع كثير من الآباء إلى المياه كمسكن للتنين ، لهذا ففى العماد ، ترى الكنيسة الأولى أن السيد المسيح نزل إلى التنين ليحطمه فى عقر داره . فإن كان السيد قد إنطلق بتلاميذه فى السفينة إلى المياه ليجتز إلى العبر (ع ٢٥) إنما يحمل هذا إشارة إلى السيد المسيح المنطلق خلال كنيسته فى هذا العالم لتواجه إبليس التنين العظيم حتى يهبها الغلبة عليه منطلقاً بها إلى الأبدية كعبر حقيقى . يقول **القديس جيروم** : [« فى البحر طريقك » مز ٧٧ : ١٩ ، أى خلال الأمواج ، خلال المياه المرة حيث يسكن التنين . . . أنت فى السماء وقد نزلت إلى الأرض . . . جاء ينبوع الحياه ليحوّل البحر المرّ والميت إلى مياه حلوة[١٢٨]] .

+ + +

الاصحاح الخامس

سلطانه على الأرواح النجسة والموت

إذ واجه السيد الرياح الملموسة وأخضعها ، أعلن سلطانه أيضا على الرياح غير المنظورة أى الأرواح النجسة التى تفسد حياة الانسان وسلامه الداخلى وأخيراً واجه الموت محطماً شوكته .

١ ــ المسيح وساكن القبور	١ ــ ٢٠.
٢ ــ لقاؤه مع يايرس	٢١ ــ ٢٤.
٣ ــ شفاء نازفة الدم	٢٥ ــ ٣٤.
إقامة إبنة يايرس	٣٥ ــ ٤٣.

+ + +

١ ــ المسيح وساكن القبور

فى الأصحاح السابق واجهت الأجساد رياح مضادة ، إذ ظهرت الطبيعة ثائرة على الإنسان ، وقد قام السيد يرد للإنسان سلامه الجسدى ويجعل من الطبيعة صديقاً له ، أما الآن فتواجه النفوس الأرواح الشريرة أو « لجيئون » يحطمها تماماً ، ويذلها ، حتى تجعل من الإنسان ساكناً فى القبور .

يرى بعض الدارسين أن القصة تبدأ من عدد ٦ أما الأعداد الخمسة الأولى فهي أشبه بمقدمة وضعها الإنجيلي ليعلن غاية القصة ألا وهي أن للسيد سلطان فائق على هذه القوى غير المنظورة التي تسيطر على الإنسان فتنزع عنه إنسانيته وتعزله عن البشرية ليسكن في القبور فاقد الحرية ومحطمة لنفسه كما لجسده .

وقد سبق لنا دراسة هذا العمل الإلهي أثناء دراستنا لإنجيل معلمنا متى البشير (مت ٨ : ٢٨ الخ) . . . غير أنه يليق بنا أن نلاحظ هنا :

أولاً : يذكر الإنجيلي متى أنهما مجنونان (مت ٨ : ٢٨ الخ) ، أما الإنجيليان مرقس ولوقا (٨ : ٢٦ الخ) فيذكران شخصاً واحداً . يعلل **القديس أغسطينوس**[١٢٩] هذا بأن الإنجيليين إكتفيا بذكر الشخص المشهور ، والذي كانت المنطقة هناك متألمة لأجله ، بينما يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنهما ذكرا شخصاً واحداً يعاني أكثر من الآخر ، وأن من يشفي شخصاً يشفي الآخر أيضاً ، إذ هدفهما لا سرد القصة كحدث تاريخي وإنما إعلان إمكانية الشفاء .

ثانياً : يرى البعض أن السيد المسيح إذ إنطلق إلى منطقة أممية ، بحلوله تقدس الموضع ، مهيئاً الطريق لتنصير الأمم طارداً عنهم عدو الخير الذي سيطر عليهم زماناً[١٣٠] . ما فعله السيد المسيح مع هذا المسكين بقي يعمله خلال تلاميذه ليطهر كل بقعة من سيطرة عدو الخير ، واهباً ملكوته السماوي لكل نفس .

ثالثاً : تطلع المرتل إلى البشرية وقد سحبتها الخطية من الفردوس الإلهي كما من بيتها ، وانطلقت بها إلى القبور ليعيش الإنسان نفسه مسكناً للروح النجس فيصير في عزلة داخلية عن الشركة مع الله مصدر حياته ، يعاني من الوحدة القاتلة حتى وإن كان في أحضان والديه أو بين أصدقائه وأقربائه . . . صار في حاجة إلى الله نفسه كمخلص له ينقذه من « الروح الشرير » ليرده من جديد إلى البيت الإلهي والفردوس الداخلي ، إذ يقول : « الله مسكن المتوحدين في بيت . مخرج الأسرى إلى فلاح » مز ٦٨ : ٦ .

أقول ما إشتهاه المرتل في الله مخلصه أو ما ترجاه في المسيا القادم إليه قد تحقق في هذا الإنسان الذي سكنه روح نجس حرمه من السكنى في بيته ، وعزله عن حياة الشركة حتى مع أقربائه ليعيش في عزلة داخلية كما في عزلة جسدية وسط القبور ، وقد

جاء السيد المسيح يطرد منه الروح النجس بقوة ليرده إليه فيشاركه بيته السماوى ويكون له موضع فى السيد المسيح ، بهذا يستقر فى حضن الآب !

وصف الإنجيلى هذا المسكين الذى يعانى من العزلة المرة ، قائلاً : « **كان مسكنه فى القبور ، ولم يقدر أحد أن يربطه ولا بسلاسل . . . وكان دائماً ليلاً ونهاراً فى الجبال وفى القبور يصيح ويجرح نفسه بالحجارة** » ع ٣ ــ ٥ . لقد حولته الخطية كما إلى وحش ثائر ليس من يقدر أن يضبطه ، أو كالتنين البحرى الذى قيل عنه : « من هو مثل الوحش ؟ من يستطيع أن يحاربه ؟ ! وأعطى فماً يتكلم بعظائم وتجاديف وأعطى سلطانا على كل قبيلة ولسان وأمه » رؤ ١٣ : ٤ ، ٥ . . . وقد جاء السيد المسيح بسلطان يحطم سلطان هذا الوحش . هذا ما أعلنه ذات المرتل بقول : « المهدى عجيج البحار ، عجيج أمواجها ، وضجيج الأمم » مز ٦٥ : ٧ .

يقول **القديس أمبروسيوس** : [مثل هذه النفوس تبدو كأنها ساكنة فى قبور ، فإن أجساد غير المؤمنين ليست إلا نوعاً من القبور يُدفن فيها الأموات (النفوس الميتة) حيث لا تسكن فيها كلمة الرب . لقد إندفع إلى الأماكن الخالية ، أى الأماكن القفرة من فضائل الروح التى تجنبت الناموس وانفصلت عن الأنبياء فرفضتهم النعمة] .

رابعاً : ساد اليهود الإعتقاد بأن الشياطين تفضل ثلاثة مناطق لسكناها: البرية أو الأماكن الخربة ، المياه فى أعماقها ، القبور . الأولى تشير إلى اشتياقات الشيطان نحو الانسان أن يفقده كل حيوية وينزع عنه كل ثمر روحى ليجعل منه برية قاحلة أو خراب بلا ساكن ، والثانية تشير إلى رغبة العدو أن يدخل بالانسان إلى دوامة الحياة ليلهيه عن أبديته فيكون كمن فى أعماق المياه بلا رجاء ، والثالثة أى القبور فتشير إلى طبيعة الشيطان كمقاتل للانسان يبغى موته كما تعلن عن راحة إبليس فى نتانة الأعمال الميتة وفسادها . لهذا أعلن السيد سلطانه الإلهى وعمله فينا بانطلاقه إلى البرية يصارع العدو وجهاً لوجه ، كما إنطلق إلى المياه بالأردن ليحطم سلطان العدو تحت أقدامنا واهباً إيانا البنوة لله الغالبة للشرير والشر ، وها هو يلتقى بساكن القبور ليخلصه من الروح النجس ويرده إلى بيته .

خامساً : لم يحتمل الروح النجس أن يرى يسوع ، فانه من بعيد ركض ، وصرخ بصوت عظيم ، وقال : « **مالى ولك يا يسوع ابن الله العلى ، أستحلفك بالله أن لا تعذبنى** » ع ٨ . إن قارنا بين هذه الكلمات التى نطق بها الروح النجس الساكن إنساناً أممياً بالكلمات التى نطق بها روح نجس آخر كان ساكناً إنسانا يهودياً ، إذ قال : « آه مالنا ولك يا يسوع الناصرى ! أتيت لتهلكنا ! أنا أعرفك من أنت قدوس الله ! » مر ١ : ٢٤ لأدركنا حالة الارتباك التى سادت مملكة إبليس سواء كان الساقط تحت سلطانها أمميين أو يهوداً . . . فقد أدرك العدو أن مملكته تنهار وسلطانه يزول والعقاب قد اقترب جداً بمجىء « يسوع الناصرى ابن الله » . يقول **القديس كيرلس الكبير** : [تأمل سلطان المسيح غير المنهزم ، فقد ارتعب أمامه الشيطان ، فإن كلمات المسيح بالنسبة له نار ولهيب ، وكما يقول المرتل : « ذابت الجبال قدام الرب » مز ٩٧ : ٥ ، أى ذابت القوات العظيمة المتعجرفة[١٣١]] . ويقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ظنت الشياطين أن عقوبتهم قد اقتربت جداً فارتعبوا كمن سيحل بهم العقاب فوراً[١٣٢]] .

لقد حسبت الشياطين أن طردهم من الانسان عذاباً لهم ، وإذ يجدون راحتهم فى مملكتهم التى يقيمونها فى القلب الفاسد ، وإنهيار هذه المملكة يتبعه العقاب الأبدى أيضاً . . . ولعله بمجىء السيد المسيح أدرك عدو الخير أن النهاية قد إقتربت ، فقد جاء مشتهى العالم كله فى ملء الزمان .

سادساً : أراد السيد المسيح أن يظهر قسوة عدو الخير لذلك سأل الروح النجس : « **ما إسمك ؟ فأجاب قائلاً : إسمى لجيون لأننا كثيرون** » ع ٩ . وكما يقول **الأب ثيؤفلاكتيوس** : [حقاً سأله الرب لا ليعرف شيئاً وإنما لكى يدرك من هم حوله أن كثيرين يسكنونه] .

ما حدث مع هذا المسكين يمثل صورة حية للإنسان حين يخضع لخطية ما أو لشيطان ما ، فالخطية تسلمه إلى أخرى ، والشيطان إلى آخر ليكون مستعبداً للجيون ، وكما يقول **القديس يوحنا سابا** : [الآلام (الخطايا) متشابكة بعضها ببعض ، إن خضعت لألم ما فبالضرورة تصير عبداً لبقية رفقائه[١٣٣]] .

يرى البعض ان كلمة « لجيون » فى الأصل تعنى « جندى »[١٣١] ، وكأنه يقول أننا فرقة عسكرية لا تكف عن الحرب . وقد قيل أنه إسم فرقة رومانية قوامها ستة آلاف جندى . هذا ويلاحظ أن هذا العدد كان يتحدث قبلاً بصيغة المفرد إذ لم يكن يرد أن يكشف عن نفسه ، لكن إذ اعترف بأنه لجيون صار يتحدث بصيغة الجمع .

سابعاً : سألته الشياطين أن يسمح لها بالذهاب إلى قطيع الخنازير ، فمن جانب أدركت الشياطين أن السيد لن يسمح لهم بدخول إنسان آخر إذ رأته جاء يكرم البشرية بتجسده ، ولا طلبت منه الدخول فى حيوانات طاهرة يمكن أن تستخدم كتقدمة فى هيكل الرب ، فاستأذنت أن تدخل الخنازير النجسة ، وقد سمح لها السيد ليعلن للحاضرين قيمة النفس البشرية ، فهى أثمن من ألفين من الخنازير ! وأيضا ليكشف لهم بطريقة ملموسة شر الشياطين وطبيعتهم المحبة للهلاك حتى بالنسبة للحيوانات غير العاقلة ، ويكشف أنها لا تستطيع أن تدخل كائناً ما بدون إذنه !

يعلق إيضاً **القديس أمبروسيوس** على طلب الشياطين هذا بقوله : [بدأت الشياطين تتضرع إليه ليأمرها حتى تدخل فى قطيع الخنازير ، وهنا يجب ملاحظة مراحم الله ، إذ لم يبدأ بدينونة أحد ، لكن كل واحد يعمل لدينونته ، لم يطرد الشياطين إلى قطيع الخنازير ، إنما هم طلبوا ذلك ، لأنهم لم يستطيعوا إحتمال بهاء شعاع النور الإلهى . وكما أن مرضى العيون لا يستطيعون إحتمال التطلع فى ضوء الشمس ، مفضلين الظلام ، هاربين من النور ، هكذا تهرب الشياطين من بهاء النور الأبدى مرتعبة قبل حلول الوقت حيث ينتظرها العذاب . . . ما هو قطيع الخنازير هذا إلا أولئك الذين قيل عنهم : « لا تطرحوا قدسكم للخنازير » مت ٧ : ٦ ؟ ! هؤلاء الذين يشبهون الحيوانات الحقيرة التى بلا نطق ولا فهم ، يدنسون حياتهم بالأعمال النجسة . . . فيقودهم تصرفهم إلى الهاوية إذ لا يقدرون المكافأة ، وباندفاعهم من فوق إلى أسفل الشر يختنقون فى المياه بين أمواج هذه الحياة ويهلكون بسبب الاختناق وسدّ قنوات التنفس . هكذا الذين ينقادون بكل ريح لا يمكن أن تكون لهم شركة محيية مع الروح . إذن الإنسان يجلب التعاسة لنفسه بنفسه ، فإن لم يعش عيشة

الخنازير لا يكون للشيطان سلطان عليه ، وحتى إن نال سلطاناً عليه فلا يكون لهلاكه وإنما لتجربته[١٣٥]] .

ثامناً : من هم هؤلاء الرعاة الذين قيل عنهم : « **وأما رعاة الخنازير فهربوا وأخبروا فى المدينة وفى الضياع فخرجوا ليروا ما جرى ، وجاءوا إلى يسوع فنظروا المجنون الذى كان فيه اللجيون جالساً ولابساً وعاقلاً ، فخافوا . . . فابتدأوا يطلبون إليه أن يمضى من تخومهم** » ع ١٤ : ١٧ ؟

أ ــ هؤلاء الرعاة يمثلون نظرة الكثيرين أنه لا يليق أن نهتم بعضو واحد فى الجماعة إن كان خلاصه وبنيانه يكلف البعض خسارة مادية . . . هؤلاء لا يقدرون قيمة النفس البشرية ، أيا كانت هذه النفس ! اما الله فيهتم بكل نفس ، فهى ثمينة عنده ، يقدم حياة إبنه الحبيب مبذولة لأجلها .

ب ــ هؤلاء الرعاة يمثلون العاملين والخدام الذين يميلون للحياة الراكدة ، حتى وإن كان عملهم رعاية خنازير ، فان تجلى عمل السيد المسيح الواهب التعقل والسلام الداخلى للنفوس خافوا واضطربوا مشتهين أن يمضى من تخومهم ! يرى **القديس أمبروسيوس**[١٣٦] أنهم يمثلون معلمى الفلسفة ورؤساء المجمع اليهودى ، إذ كانت نفوسهم ضعيفة لا تحتمل كلمة الله ولا ثقل حكمته .

تاسعاً : لم يقاومهم السيد بل تركهم ودخل السفينة ، وإذ طلب إليه ذاك الذى كان مجنوناً أن يكون معه لم يدعه بل سأله أن يذهب إلى بيته وأهله يخبرهم كم صنع الرب به ورحمه ، فمضى وابتدأ ينادى فى العشر المدن كم صنع به يسوع ، فتعجب الجميع (ع ١٨ ــ ٢٠) .

إن كان رعاة الخنازير يرمزون للمجمع الذى قبل الحياة الراكدة التى بلا روح عن الكرازة بالانجيل ، فان رب المجد يسوع تركهم ودخل سفينة الكنيسة ، ترك الأمة اليهودية التى فقدت ليحل وسط كنيسة العهد الجديد . أما هذا الرجل فقد أرسله للكرازة يمهد الطريق للعمل الانجيلى بين الأمم ، وبالفعل انطلق إلى العشر مدن التى ترمز للعالم الأممى والوثنى .

العشر مدن Decapolis : عبارة عن تسع مدن شرق الأردن هى : هيبوس ، دمشق ، جدارا ، جيراسا ، فيلادلفيا (ربة عمون أو عمان) ، ديون ، رافانا ، كاناتا ، بيلا ، ومدينة غرب الأردن هى سكيتوبوليس (بيسان) . وتعتبر هذه المدن إغريقية ، سكنها اليونان أثر هجوم الاسكندر الأكبر على الشرق ، وكانت مدن مزدهرة تجارياً لموقعها الجغرافى الطبيعى وسط سوريا ، لكنها كانت مستقلة عن سوريا من الجانبين السياسى والتجارى .

٢ ـــ لقاؤه مع يايرس

إن كان شفاء مجنون كورة الجدريين يكشف عن قبول الأمم لعمل السيد المسيح ، وموقف رعاة الخنازير هناك يعلن عن موقف المجمع اليهودى الرافض للمخلص ، فان الإنجيلى لم يسدل الستار عند هذا الحد ، بل قدم لنا قصة إقامة الصبية ابنة يايرس رئيس المجمع اليهودى متحمة بقصة شفاء نازفة الدم ؛ ليعلن أنه بعد شفاء الأمم (نازفة الدم) يتمتع اليهود بالخلاص فى آخر الأزمنة إذ يقبلون السيد المرفوض منهم قبلاً ، ويقومون كهذه الصبية . وقد سبق لنا عرض أقوال **القديسين هيلارى أسقف بواتيه وأغسطينوس فى هذا الشأن**(١٣٧) . والآن نكتفى بمقتطفات من كلمات **القديس أمبروسيوس** : [سبق أن قلنا أن المسيح ترك المجمع فى شخص الجدريين ، إذ خاصته لم تقبله (يو١ : ١١) ، أما نحن فقبلناه ، قبلنا ذاك الذى كنا ننتظره ، فلم يرفض من كانوا ينتظرونه ، لكن إن عاد الآخرون إليه لا يرفض رجوعهم . لقد كان لرئيس المجمع إبنة وحيدة وكان يطلب شفاء المجمع الذى قد أوشك على الموت لأن المسيح تركه . تُرى من يكون رئيس المجمع هذا سوى الناموس ؟ ! من أجله لم يهمل الرب المجمع نهائياً بل حفظ الشفاء لمن يؤمن منهم . وبينما كان كلمة الله مسرعاً نحو إبنة هذا الرئيس ليخلص بيت إسرائيل تمتعت الكنيسة المقدسة التى إجتمعت من الأمم بالخلاص المُعد للآخرين . جاء كلمة الله لليهود فجذبه الأمم ، أصحاب الناموس لم يؤمنوا به بل آمن به أولاً الآخرون ، الذين هم كتلك المرأة التى أنفقت كل معيشتها على الأطباء ، إذ خسر شعوب الأمم كل مواهبهم الطبيعية وبددوا ميراثهم من الحياة . . . إقتربت منه بالإيمان وبالحكمة عرفت أنها نالت الشفاء . هكذا فعلت شعوب الأمم المقدسة التى آمنت بالرب ، وخجلت من خطيتها فتركتها

وتقدمت بالإيمان . . . واتزرت بالحكمة فأدركت الشفاء ، وتشجعت لتعترف أنها اغتصبت ما هو ليس لها .

لماذا جاءت من ورائه ؟ لأنه مكتوب : « وراء الرب إلهكم تسيرون وإياه تتقون ووصاياه تحفظون » تث ١٣ : ٤ .

وما معنى أن تكون إبنة الرئيس على وشك الموت فى سن الثانية عشر إلا أن يشير هذا الأمر إلى المجمع فانه إذا (صار فاقد) القوة اقتربت الكنيسة ؟ ! ضعف الواحد هو قوة الآخر لأن « بزلتهم صار الخلاص للأمم » رو ١١ : ١١ ، ونهاية الواحد هو بداية للآخر ، لا بداية بالطبيعة إنما بالخلاص ، « لأن المعصية قد حصلت جزئياً لاسرائيل ليدخل ملء الأمم » رو ١١ : ٢٥[١٣٨]] .

هذا وكلمة « يايرس » تعنى « المستنير » ، فان كان يايرس يشير إلى الناموس ، وابنته تشير الى الأمة اليهودية التى سقطت تحت المرض حتى أوشكت على الموت ، فانها لا تستطيع أن تنعم بالقيامة من هذا الموت مالم تتمتع بروح الإستنارة ويقودها الناموس لا إلى الحرف القاتل وإنما إلى ذاك القادر أن يقيم من الأموات .

٣ ــ شفاء نازفة الدم

أولاً : يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن هذه المرأة لم تجسر أن تقترب من المخلص علانية ولا أن تأتى إليه من أمامه لأنها حسب الشريعة تُحسب نجسة ، فجاءت من ورائه وتجاسرت لتلمس هدب ثوبه . يكمل القديس حديثه فيقول أنها شفيت لا من أجل هدب الثوب فى ذاته وإنما من أجل إيمانها[١٣٩] .

يرى **القديس أغسطينوس** فى هدب الثوب رمزاً لمعلمنا بولس الرسول الذى دعا نفسه « آخر الكل » ، فبكرازته إلتقت الشعوب الأممية بالسيد المسيح وتمتعت بالخلاص الإلهى ، هذه الشعوب التى لم تشاهد السيد حسب الجسد لكنها جاءت بالإيمان الذى كرز به معلمنا بولس لتتلامس معه من ورائه وتتمتع بالشفاء .

يعلق **القديس أمبروسيوس** على هذا التلامس بقوله :[إن كنا ندرك عظمة إبن الله يمكننا أن نفهم أننا لا نستطيع إلا أن نلمس هدب ثوبه ، أما أعلى ثوبه فلا نقدر

أن نبلغه . إن أردنا أن نبرأ فلنلمس بالإيمان هدب ثوبه من ورائه ، فان الله لا يحتاج إلى أعين يرى بها إذ ليس له الحواس الجسدية إنما فيه معرفة كل الأشياء . طوبى لمن يلمس ولو هدب ثوب الكلمة إذ من يقدر أن يحويه ؟](140) .

كان كل عبرانى يلتزم بعمل أربعة أهداب لثوبه حسب الوصية (عد ١٥ : ٣٨ ـــ ٤٠) ، ويصنع عليها عصابة من إسمانجونى إشارة إلى أنه من شعب الله المختار . . . فإن كان ذيل الثوب الذى يتلامس مع الأرض به عصابة إسمانجونية أى سماوية ، فان هذا يعنى أنه يليق بالانسان فى كليته أن يكون سماوياً ! هذا بالنسبة للإنسان العبرانى بوجه عام أما السيد المسيح فهو إبن الله السماوى إن تلامسنا معه إنما نلتقى برب السموات نفسه !

ثانياً : يرى **القديس أغسطينوس** أن الأطباء الذين إلتجأت إليهم هذه الامرأة وأنفقت كل معيشتها عليهم هم تعاليم الفلاسفة ، إذ يقول : [تعاليم الفلاسفة ألهبت بالأكثر الجوع للحق دون أن تشبعه . . . أما لمسة هدب ثوبه فهى صرخة القلب المؤمن](141) .

ثالثاً : إن كان الرب قد شفى هذه الامرأة نازفة الدم ، فإن هذا الشفاء كلفه الحب الباذل ، إذ يقول الانجيل : « **التفت يسوع بين الجمع شاعراً فى نفسه بالقوة التى خرجت منه ، وقال : من لمس ثيابى ؟** » ع ٣٠ . لم يكن الأمر مجرد لمسة هدب ثوب لكن « قوة خرجت منه » . . . هذا لا يعنى خسارة أو فقدان إنما إلتهاب حب انطلق نحوها ، كما نشعل فتيلة من شعلة نار ، فالشعلة لا يصيبها ضرراً أو فقداناً ، إنما تقدم ناراً من عندياتها للغير . لقد قدم السيد المسيح « قوة » انطلقت خلال صليبه لتشفى النفوس المريضة ، إنه يقدم عطاءً داخلياً حقيقياً ، وبذلاً فائقاً سحب قلب الكنيسة تماماً ، فيقول الرسول : « الذى بذل نفسه لأجلنا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا » غل ١ : ٤ ، ويقول السيد نفسه : « أنا هو الراعى الصالح ، والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف » يو ١٠ : ١١ .

رابعاً : إذ قالت المرأة للسيد « الحق كله » ، سمعته يقول لها : « يا إبنة » ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [دعاها « إبنة » لأنها خلصت بالإيمان ، فإن

إيماننا بالمسيح يجعلنا أبناء له[١٤٢]] . لقد آمنت بالقادر أن يهب خلاصاً وترجمت إيمانها عملياً بانطلاقها نحو وسط الجماهير لتلتقى به خلال هدب ثوبه . . . أعلنت إيمانها حياً فتمتعت بعمل السيد المسيح فيها .

٤ ــ اقامة ابنة يايرس

إن كان يايرس كرئيس مجمع قد ذهب بنفسه إلى السيد المسيح الذى حسبه المجمع كخارج عن ديانته لا يجوز ليهودى مخلص أن يتعامل معه ، وجاء ليرتمى عند قدمى معلم متجول طالباً منه المعونة ، فقد تمتع يايرس بدخول السيد إلى بيته ومعه ثلاثة من تلاميذه ، وكأن بيته قد صار هيكلاً مقدساً يحل فيه رب السماء نفسه !

لم يدخل السيد إلى الصبية ومعه جموع كثيرة ، لأنه أراد أن يؤكد أن ليس للجميع أن يتمتعوا بقوة القيامة بل للذين يريدونها ويشتاقون إليها . . . إقامة الصبية لم يكن استعراضاً لعمل فائق معجزى انما كشفاً عن السيد المسيح كواهب القيامة يختبره من يلتصق به ويتتلمذ على يديه .

دخل السيد إلى البيت ليجد مراسيم الجنازة قد بدأت حيث يشق الأقرباء ثيابهم ، ويصرخ البعض بمرارة مع ضربات محزنة على الناى ، ويجز البعض شعرهم . . . وسط هذا المنظر الكئيب قال : « **لماذا تضجون وتبكون ؟ لم تمت الصبية لكنها نائمة** » ع **٣٩** . لقد ماتت فى نظر الناس لا يستطيعون أن يردوا لها الحياة ، أما بالنسبة له فهى نائمة إن أراد يوقظها فى الوقت الذى يشاءه . . . على أى الأحوال تركهم السيد يضحكون عليه ، حتى يصير ضحكهم شهادة حق أنها ماتت وأنه أقامها .

أمسك السيد المسيح بيد الصبية (ع٤١) . . . وكما يقول **القديس أمبروسيوس** : [فليمسكنى الكلمة ويدخلنى إلى حجاله ، ليبعد عنى روح الشر ويحوطنى بالروح المحيى ، ليأمر فيُعطى لى فأكل الخبز السماوى الذى هو كلمة الله[١٤٣]] .

وركز كثير من الآباء على العبارة ، « **وقال أن تعطى لتأكل** » ع **٤٣** ، لتأكيد أن إقامتها لم تكن خيالاً بل حقيقة ملموسة . فى هذا يقول القديس جيروم : [عندما كان يقيم أحداً من الأموات يأمر بتقديم طعام له حتى لا يُظن أن القيامة

وهم[١٤٤]] . ويقول **القديس أمبروسيوس** [تمت مراسيم الجنازة لتأكيد الموت ، وقد عادت الروح سريعاً بكلمة الرب وقام الجسد منتعشاً أعطى طعاماً لتصدق شهادة الحياة[١٤٥]] .

أخيراً فقد سبق فرأينا أن **القديس أغسطينوس**[١٤٦] يرى فى حالات الأقامة التى وردت فى الاناجيل المقدسة تشير الى إقامة النفوس من موت الخطية . الصبية إبنة يايرس التى كانت على سريرها تشير إلى النفس الميتة بخطية الفكر الداخلى ولم تمارسها عملياً بل كامنة فى بيتها ، والشاب إبن الأرملة (لو ٧ :١٤ ، ١٥) يمثل النفس التى ماتت بالخطية التى انتقلت من الفكر الى القول أو العمل وظهرت خلال السلوك خارج بيتها ، وأخيراً إقامة لعازر بعد أربعة أيام (يو ١١) تشير إلى إقامة النفس التى ماتت خلال ممارستها للخطية كعادة مستمرة فى حياتها .

\+ \+ \+

الباب الثاني

إنسحاب من الجليل

مر ٦ : ٣١ - مر ٩ : ٥٠

الإصحاح السادس

اتجاهات نحو شخص المسيح

إن كان السيد المسيح قد أعلن سلطانه لا على الرياح الملموسة فحسب وإنما على الأرواح النجسة غير المنظورة والموت أيضاً لكن بقى الإنسان يجهله ، فأقرباؤه تعثروا به ، وهيرودس ظنه المعمدان ، حتى تلاميذه سألوه أن يصرف الجمع ليجدوا ما يأكلونه . . . فدخل بهم فى ضيقة وسط الأمواج فى سكون الليل الرهيب ليعلن ذاته لهم .

١ ــ أقرباؤه يعثرون به	١ ــ ٦ .
٢ ــ إرسـاليته للتلاميذ	٧ ــ ١٣ .
٣ ــ موقف هيرودس منه	١٤ ــ ٢٩ .
٤ ــ التلاميذ والجموع الجائعة	٣٠ ــ ٤٠ .
٥ ــ التلاميذ والأمواج	٤١ ــ ٥٣ .
٦ ــ التعـرف عـليه	٥٤ ــ ٥٦ .

+ + +

١ ــ أقرباؤه يعثرون به

سبق قرأينا أقرباءه يأتون إليه ليمسكوه قائلين : إنه مختل العقل (مر ٣ : ٢١) ، ومع ذلك إذ شفى نازفة الدم وأقام إبنة يايرس من الموت يقول الإنجيلى : « وخرج

من هناك وجاء إلى وطنه وتبعه تلاميذه ، ولما كان السبت إبتدأ يعلم فى المجمع » ع ١ . لقد جاء اليهم بالرغم من معرفته أنهم يحتقرونه ويهاجمونه . . . من جانبه يفتح قلبه بالحب حتى لرافضيه ، وإن كان لا يُلزم رافضيه بقبوله قسـراً !

لقد تعثروا به واستخفوا بأمره لسببين هما أصله العائلى وعمله كنجار أو عامل ، إذ يقول الانجيلى : **كثيرون بهتوا قائلين : من أين لهذا هذه ؟ ! وما هذه الحكمة التى أعطيت له حتى تجرى على يديه قوات مثل هذه ؟ ! أليـس هذا هو النجار إبن مريم وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان ؟ ! أو ليـست أخوته ههنا عندنا ؟ ! فكانوا يعثرون به . فقال لهم يسوع : ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وبين أقربائه وفى بيته »** ع ٢ — ٤ .

يلاحظ فى هذا النص الآتى :

أولاً : لعل الكنيسة الأولى قد تحيرت كيف أن المسيا اليهودى الذى فيه تتحقق الديانة اليهودية والنبوات التى بين أيديهم يرفضه اليهود هكذا بشدة ، لكنها قد وجدت فى هذا الرفض إحدى علامات المسيا الحقيقى ، إذ فيه تتحقق أيضا النبوات ، إذ يقول إشعياء النبى : « ويكون مقدساً وحجر صدمة وصخرة عثرة لبيتى اسرائيل وفخاً وشركاً لسكان إسرائيل فيعثر بها كثيرون ويسقطون فينكسرون ويعلقون فيُلقطون » إش ٨ : ١٤ ، ١٥ . لقد آمنت الكنيسة الأولى أن هذا الإتجاه اليهودى كان جزءاً من عناية الله السرية التى سمح بها الرب فى صهيون (إش ٢٨ : ١٦) لكى خلال تعثر اليهود فى حجر الزاوية يقبل الأمم الخلاص ، إذ بزلتهم صار الخلاص للأمم لاغارتهم (رو ١١ : ١١) . يقول الرسول : « فانهم إصطدموا بحجر الصدمة ، كما هو مكتوب : ها أنا أضع فى صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل من يؤمن به لا يخزى » رو ٩ : ٣٢ ، ٣٣ ، كما يقول آخر : « لهذا يُتضمن أيضاً فى الكتاب : هانذا أضع فى صهيون حجر زاوية مختاراً كريماً والذى يؤمن به لن يخزى . . . فالحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية وحجر صدمة وصخرة عثرة ، الذين يعثرون غير طائعين للكلمة ، الأمر الذى جُعلوا له » ٢ : ٦ — ٨ .

يقول بعض الدارسين(١٤٧) أن إنجيل مار مرقس فى كليته يهتم بابراز هذه الصدمة أو العثرة فى حجر الزاوية ، كاشفاً سرها ألا وهو عمى البشرية وإرتكابهم الخطية ، كما يظهر من تفاسيرهم الشريرة لأعماله المقدسة (مر ٣ : ٢١ ، ٢٢) ، والمشاورات المستمرة لمقاومته وقتله (مر ٢ ، ٣) . . . . هذه كلها إنما كانت تمثل ظلال الصليب الذى ينطلق اليه ليحمله أو بمعنى آخر من أجله جاء إلى العالم .

الآن إذ إقتربت نهاية خدمته فى الجليل وقف خاصته يحجدونه . حقاً لم يستطع أهل الناصرة أن ينكروا أعماله الفائقة وحكمته العلوية لكنهم وهم مندهشون تعثروا كيف يؤمنون بمن يعرفون أصله وعائلته التى فى وسطهم بينما يتوقع الكل مجىء المسيا على السحاب قادماً من السماء ! لقد بهتوا وتساءلوا لكن لا ليتعرفوا على الحق ويؤمنوا به إنما لأجل المقاومة فى ذاتها . أما السبب الثانى للعثرة فهو عمله كنجار ، وفى الأصل اليونانى تعنى كلمة « نجار Tekton » عاملاً فى الحجارة أو الخشب أو المعدن ، وهى كالكلمة العبرية charasch ، إذ كان يعمل النير والمحاريث . فهو فى نظرهم يمارس أعمالاً حقيرة ، ليس برئيس كهنة ولا فريسى أو كاتب الخ ... بمعنى آخر عارفين بأصله وعمله !

ما تعثر فيه اليهود هو موضع إعجابنا فاننا بالحق ندرك محبة الله الفائقة إذ لم يأت كلمة الله إلينا خلال السحاب وإنما خلال الإتضاع ، حَل بيننا ومارس عملنا ليشاركنا حياتنا فنشاركه أمجاده الأبدية . نزل إلينا ليرفعنا إليه !

ثانياً : لعل كلمات أقربائه هنا (ع ٢ — ٤) تؤكد ما قاله **القديس يوحنا الذهبى الفم** حين علق على العبارة : « هذه بداءة الآيات فعلها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه » يو ٢ : ١١ بأن السيد المسيح إذ جاء متجسداً لم يصنع آيات خارقة علنية فى طفولته وصبوته إنما بدأ عمله بتحويل الماء خمراً فى قانا الجليل بعد عماده . بمعنى آخر لم يأت السيد ليسحب عقول أقربائه فى طفولته وصبوته بأعمال خارقة لكنه جاء ليخدم ويسحب النفوس لحبه الباذل خلال أعماله الإلهية الفائقة الحب !

لو أن السيد المسيح قدم أعمالاً فائقة فى طفولته أمام أقربائه حسب الجسد

لذكروها هنا أيضا حين أعلنوا دهشتهم من جهة حكمته والقوات التى تجرى على يديه .

ثالثاً : إذ يدعونه « النجار إبن مريم » يستدل من ذلك أن يوسف النجار كان قد تنيح فى ذلك الحين ، وإلا كانوا قد ذكروا إسمه . أما عن دعوة يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان إخوته ، فقد إستخدم تعبير « اخوة » فى الكتاب المقدس إما للإخوة حسب الدم ، أو بسبب وحدة الجنسية أو بسبب القرابة الشديدة أو الصداقة . فقد جاء التعبير هنا بسبب القرابة الشديدة كما دعا إبراهيم إبن أخيه لوط « أخاه » تك ١٣ : ٨ ، وأيضاً استخدم لابان ذات الكلمة عن زوج ابنته (تك ٢٩ : ١٥) . وقد إعتاد اليهود أن يلقبوا أبناء العم أو العمة أو الخال أو الخالة إخوة ، إذ غالباً ما يعيشون معاً تحت سقف واحد . وفى اللغة الآرامية تستخدم نفس الكلمة « أخ » لتعبر عن كل هذه القرابات . لذلك يرى **القديس جيروم** أن إخوة يسوع هم أولاد القديسة مريم زوجة كلوبا ، أخت القديسة مريم العذراء (يو ١٩ : ٢٥)[١٤٨] .

رابعاً : المأساة التى عاش فيها هؤلاء الأقرباء انهم بسبب نظرتهم المادية فقدوا ما تمتع به الغرباء ، فقدوا تمتعهم بالسيد المسيح ونوال بركة أعماله ، إذ قيل : **ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة غير أنه وضع يديه على مرضى قليلين فشفاهم ، وتعجب من عدم إيمانهم ، وصار يطوف القرى المحيطة يعلم** » ع ٥ ، ٦ .

لقد تعجب السيد فى مرارة لأن عدم إيمانهم حرمهم منه ومن أعماله ، إذ لا يعطى السيد الشفاء إلا لمن يريد ولمن يؤمن ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لأن السيد لم ينظر إلى إظهار نفسه بل إلى ما هو لنفعهم[١٤٩]] . ويقول **القديس غريغوريوس النزينزى** : [لكى يتم الشفاء كانت الحاجة إلى أمرين : إيمان المريض وقوة واهب الشفاء ، فان لم يوجد أحد الأمرين يصير الأمر مستحيلاً[١٥٠]] . ويقول **الأب شيريمون** : [يريد أن يهب شفاءه ليس حسب قياس محدد لقوة جلاله إنما حسب مقاييس الإيمان التى يجدها فى كل واحد ، أو حسبما يعطى هو بنفسه لكل واحد . . . لقد توقفت عطايا الله التى لا تحد إذ قيل : « ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة . . . وتعجب من عدم إيمانهم » مر ٦ : ٥ ، ٦ . وهكذا يظهر أن جود الله فعلاً يتوقف على طاقة الإيمان ، حتى قيل « حسب إيمانكم ليكن لكما » مت

٩ : ٢٩ ، وقيل لآخر : « اذهب وكما أمنت ليكن لك » مت ٨ : ١٣ ، ولآخر : « ليكن لك كما تريدين » مت ١٥ : ٢٨ ، وأيضا : « إيمانك قد شفاك » لو ١٨ : ٤٢[١٥١]].

يعلق الأب ثيوفلاكتيوس على قول الانجيل : «وصار يطوف القرى المحيطة يعلم » ع ٦ بقوله : [لم يكرز الرب فى المدن فقط وإنما فى القرى أيضاً معلماً إيانا ألا نحتقر الأمور الصغيرة ، ولا نطلب الخدمة فى المدن الكبرى على الدوام ، إنما نلقى بذار كلمة الرب فى القرى الفقيرة والمحتقرة[١٥٢]].

٢ — إرساليته للتلاميذ

إن كان أهل وطنه قد رفضوه فإن هذا الرفض لم يوقف محبته نحوهم أو نحو البشرية بوجه عام بل « دعا الاثنى عشر وابتدأ يرسلهم إثنين إثنين ، وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة » ع ٧ .

فى الأصحاح الثالث اختار السيد تلاميذه (٣ : ٣٤) ومعاينتهم أعماله العجيبة (٤ : ٣٥ — ٦ : ٦) ، بعد أن عاشوا معه يشاركونه حياته ، والآن إذ يرسلهم يهبهم سلطاناً على الأرواح النجسة . . . فلا يكفى سماع الكلمة ولا مشاهدة أعماله ولا الوجود معه وملازمته إنما الحاجة أيضا ملحة تمتعهم بسلطان هدم مملكة الشر وإقامة مملكة النور .

يلاحظ فى هذه الإرسالية الآتى :

أولاً : أرسلهم إثنين إثنين ، وذلك كقول الكتاب : « إثنان خير من واحد ، لأن لهما أجرة لتعبهما صالحة ، لأنه إن وقع أحدهما يقيمه رفيقه . وويل لمن هو وحده إن وقع إذ ليس ثانٍ ليقيمه » جا ٤ : ٩ ، ١٠ . ولعل إرسالهما هكذا لكى يشتغل أحدهما بكلمة الوعظ ويكون الآخر مصلياً له فتلتحم الكلمة بالصلاة فيكون لها ثمرها . هذا ورقم إثنين كما رأينا قبلاً يشير إلى المحبة ، إذ هى إرسالية حب مقدمة من الله للبشر . يقول البابا غريغوريوس (الكبير) : [أرسل الرب تلاميذه للكرازة إثنين إثنين ، لوجود وصيتين عن الحب : حب الله وحب قريبنا ، والمحبة لا يمكن أن تقوم بين أقل من إثنين . بهذا أعلن لنا أن من ليس له محبة نحو قريبه يلزمه ألا يقبل عمل الكرازة بأى وسيلة ما[١٥٣]] .

الكنيسة هي بيت المحبة لن تستطيع أن تكرز فى العالم ما لم تحمل روح الحب فى خدامها وكل شعبها . . . خلال هذا الحب يتمجد الله مباركاً كل عمل مهما بدا صغيراً ، وبدون المحبة تفقد الخدمة كل طاقتها وثمارها .

ثانياً : أعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة (ع ٧) . إن كان عدو الخير قد ملك على قلب الإنسان فالحاجة ملحة للسلطان ضد هذا العدو . بمعنى آخر المعركة الحقيقية موقعها القلب وطرفاها الله والشيطان ، ليست ثمة عداوة بين التلاميذ وأى إنسان مهما كان شريراً أو مقاوماً ، إنما العداوة ضد عدو الخير نفسه الذى يخدع القلوب ويحوّلها لحسابه .

ثالثاً : « وأوصاهم أن لا يحملوا شيئاً للطريق غير العصا فقط » ع ٨ . إن كان السيد المسيح وهبهم سلطاناً على الشياطين منحة منه للعمل ، فمقابل هذه العطية الإلهية سألهم أن يعلنوا ثقتهم فيه بعدم الاهتمام باحتياجات هذا العالم ، فتكون كرازتهم لا بالفم وحده وإنما بتجردهم وثقتهم بالله الذى يعولهم ويهتم بهم . يقول **القديس أمبروسيوس** : [يُظهر الأنجيل صفات الكارز بملكوت الله . . . فانه إذ لا يطلب عوناً من موارد هذا العالم ويسلم نفسه للإيمان يدرك أنه كلما ترك طلب خيرات الأرض إزدادت بالنسبة له(١٥٤)] .

لم تكن الوصايا حرفية لكنها تحمل مفاهيم روحية عميقة فعندما أوصى تلاميذه ألا يحملوا عصا (مت ١٠ : ١٠) يتكئون عليها فى الطريق أو يستخدمونها للدفاع عن أنفسهم حتى ضد الكلاب التى تجول فى القرى والحقول أراد أن يعلن أنه عصاهم يتكئون عليه بقلوبهم ويختفون فيه ليسندهم على الدوام . لكنه هنا يسمح لهم بالعصا ربما إشارة الى الصليب ، إذ لا تقوم الكرازة مالم يحمل الكارز عصا الصليب ، مشاركاً سيده فى آلامه وصلبه .

يرى البعض أن السيد المسيح منع تلاميذه من حمل أى شيء حتى العصا من أجل الكمال ، لكنه سمح بها من أجل الضعف كأن يكون الكارز مريضاً أو شيخاً ضعيف الجسم يحتاج إلى عصا يرتكز عليها .

رابعاً : لا يحملوا مزوداً ولا خبزاً ولا نحاساً فى المنطقة (ع ٨) ، ليكون الرب نفسه هو طعامهم وشرابهم وغناهم .

لعل المزود يشير إلى ثقل أتعاب هذه الحياة ، والخبز إلى مباهجها ، أما النحاس فى المنطقة فيشير إلى دفن المواهب ، وكأنه لا يليق بالكارز وقد إهتم كطبيب روحى بخلاص إخوته أن يرتبك بثقل هموم هذه الحياة ، ولا تجتذبه ملذاتها ، كما لا يليق به دفن مواهبه التى تقبلها من يدى خالقه .

يقول **القديس يوحنا سابا** : [كما أن النار لا تثبت فى الماء هكذا معرفة الله لا تثبت فى القلب المشتبك بشهوات العالم[١٥٥]] ، [ليس من رذل العالم بالكمال إلا ذاك الذى تتقد فيه نارك دائماً يارب[١٥٦]] .

هذا ونلاحظ أن الوصيةً بالنسبة للتلاميذ مشدّدة ، فلا يحملوا حتى المزود الذى فيه الضرورات ولا الخبز وهو أساسى فى الطعام ولا نحاساً فى المنطقة اذ إعتاد اليهود أن يحملوا العملات الصغيرة فى منطقة . . . إنه يمنعهم من قليل القليل .

خامساً : أوصاهم أن يكونوا مشدودين بنعال ولا يلبسوا ثوبين (ع ٩) . فقد إعتاد اليهودى أن يلبس خمسة أشياء هى :

أ ــ القميص أو اللباس داخلى .
ب ــ الرداء الخارجى أو عباءة أو شملة ، يرتديها فى النهار ويتغطى بها ليلاً .
جـ ــ المنطقة تربط على القميص والرداء معاً .
د ــ اللباس للرأس ، أى عمامة بيضاء أو زرقاء أو سوداء .
هـ ــ النعل أو الصندل .

يطالبهم السيد بان يشدوا نعالهم ، ولعل هذه الوصية تشير إلى التحرك المستمر والعمل الكرازى غير المنقطع ، فيكون الكارز سائراً بنعليه بغير توقف ، خاصة وأن طريق الكرازة مملوء بالأشواك . ويرى البعض أن شدّ النعال الداخلية للقلب يشير إلى الإستنارة للتعرف على طريق الرب كقول المرتل : « سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى » ، فلا تتسخ أعماقنا بتراب هذا العالم ودنسه .

هكذا يليق بالكارز أن يشد الحذاء الداخلى الحق ، بعد أن يخلع نعليه القديمين ، متخلياً عن جلد الحيوانات الميتة التى منها تصنع النعال ، فيصير كموسى النبى الذى

خلع نعليه فى الأرض المقدسة ليرى العليقة النارية ويقبل دعوة الله للعمل القيادى الروحى (خر ٣) .

ينهينا السيد المسيح عن إرتداء ثوبين ، فإن من لبس المسيح لا يليق به أن يلبس العالم كثوب يرتديه . من اختفى فى الرب مقدسنا لا يعود يلبس محبة الزمنيات .

سادساً : « وقال لهم : حيثما دخلتم بيتاً فأقيموا فيه حتى تخرجوا من هناك » ع ١٠ . أراد بهذه الوصية ألا تشغلهم المجاملات ومحبة الإخوة العاطفية عن جدية العمل الكرازى ، فان كانت البيوت تفتح بالحب من أجل الساكن فيهم فيليق بهم ألا ينحرفوا عن غايتهم الروحية ولا يتكاسلوا عن رسالتهم الأصلية ، ألا وهى البلوغ بكل نفس إلى حضن الآب .

ما هو هذا البيت الذى دخلناه ويلزم أن نقيم فيه حتى نخرج من هناك إلا الحياة الإنجيلية الكنسية ، فانها حياة ملائكية قبلناه كبيت روحى نعيش فيه لنحيا فى السموات ، لا نترك هذه الحياة حتى نخرج من العالم لننعم بالسموات عينها .

سابعاً : « وكل من لا يقبلكم ولا يسمع لكم فأخرجوا من هناك وانفضوا التراب الذى تحت أرجلكم شهادة عليهم » ع ١١ .

نفض التراب إنما يعنى أن الكارز قد احتمل مشاق الطريق الطويل ، وقد صار تراب الطريق نفسه شاهداً على رافضى الكلمة . وربما يعنى أنهم لم يتقدموا إليهم بالكرازة لغرض مادى ، فانه حتى التراب الذى لصق بأرجلهم أثناء قدومهم إليهم ينفضونه على عتبة أبوابهم . . . إنهم يتركون لهم كل شيء شهادة عليهم .

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** فى هذا التصرف « علامة مرعبة » ، تجعل التلاميذ لا يفقدون جراءتهم بل يزدادون شجاعة ، فإنهم يعلنون أنهم ينفضون كل ما هو مادى ، يتركون لهم ترابهم وفكرهم الأرضى ليعيشوا ملتصقين بما هو سماوى[١٥٧] . يقوم هذا الفكر **للقديس يوحنا الذهبى الفم** على ما اعتاده اليهود قديماً حينما يكونون قد انطلقوا خارج فلسطين ففى عودتهم إليها ثانية ينفضون الغبار قبيل دخولهم الأرض المقدسة ليعلنوا أنهم عادوا إلى أرض الموعد لا يحملون دنس العالم الوثنى وترابه بل هم بالحق محبون للقداسة[١٥٨] .

يعلق القديس أمبروسيوس على هذا التصرف فى تفسيره إنجيل لوقا بالقول : [يأمرنا الرب أن نترك من كان إيمانه سقيماً أو كان البيت هرطوقياً فنهرب منه . يجب أن ننفض غبار أرجلنا حتى لا يعوق جفاف الأرض الملتوية النابع عن إيمان سقيم مجدب كالأرض البور الرملية طريقك الروحى . فإن كان من واجب الكارز بالإنجيل أن يأخذ على عاتقه ضعفات المؤمنين الجسدية ويحملها بعيداً ويسحق تحت قدميه أعمالهم البطالة الشبيهة بالغبار ، كما هو مكتوب : من يضعف وأنا لا أضعف » ٢ كو ١١ : ٥١ فإنه يلزم المؤمن أيضاً أن يبتعد عن الكنيسة التى ترفض الإيمان ، المبنية على أساس غير الإيمان الرسولى لئلا ينخدع ويضلله الإيمان السقيم ، هذا ما يؤكده الرسول بالقول : الرجل المبتدع بعد الإنذار مرة ومرتين أعرض عنه » تى ٣ : ١٠] .

ثامناً : تمم التلاميذ الإرسالية بنجاح ، إذ يقول الإنجيلى : « **فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا ، وأخرجوا شياطين كثيرة ، ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم** » ع ١٢ : ١٣ . كان محور كرازتهم « ملكوت السموات » طريقة التوبة الصادقة النابعة عن الايمان بالسيد الذى يملك فى القلب ، أما ثمر هذه الكرازة فهو شفاء النفس والجسد . تشفى النفس باخراج الشياطين ويشفى الجسد بموهبة الشفاء خلال الدهن بالزيت .

ويلاحظ فى كلمات الإنجيلى أن عملية الدهن بالزيت لم تكن عملية فردية قام بها تلميذ دون آخر بل هو عمل جماعى قام به التلاميذ جميعاً أثناء عملهم الكرازى ، فلا بد أن تكون هناك وصية إلهية ألزمتهم بها عند إرسالهم . هذه الوصية كشفها معلمنا يعقوب فى رسالته إذ يقول : « أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة ويدهنوه بزيت . . . » يع ٥ : ١٤ . يقول أحد الدارسين أنه واضح من النص أن الشفاء لم يكن يتم كأثر طبيعى للزيت إنما كان دهن الزيت يمارس كعمل سرى خارق مثله مثل وضع الأيدى . . . ويقول البعض أنه ليس ثمة ما يجعلنا ننكر أن التلاميذ قد مارسوا هذا العمل وربما السيد نفسه[١٥٩] ، لكننا لم نسمع عن السيد أنه مارس هذا العمل . . .

٣ ـــ موقف هيرودس منه

سمع هيرودس انتباس عن السيد المسيح وأعماله العجيبة فظن أن يوحنا المعمدان الذى قتله ثمناً لرقصة فتاة فى يوم ميلاده قد قام . هذا الفكر على ما يظن كان شائعاً عند اليهود ، أن بعض القديسين خاصة الذين يستشهدون يقومون مرة أخرى فى هذا العالم بعد أن يهبهم الله سلطاناً خاصاً بعمل القوات . هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن ظنون هيرودس هذه تكشف عما يجول فى أعماقه ، فان كان قد سلم صوت الحق للسيف وقدم رأس يوحنا لراقصة لكن الصوت بقى يدوى فى أعماقه بلا هدوء ، يلازمه بلا توقف !

على أى الأحوال يكشف لنا الإنجيلى مرقس عن ثلاثة إتجاهات فى النظرة نحو شخص السيد :

أ ـــ نظرة الخائفين كهيرودس ، فقد ظن أن الذى قتله قد قام ، ومع هذا لم يقدم توبة بل كمل طريق شره والتصق بامرأة أخيه فيلبس فى حياته . . . وقد سماه السيد المسيح ثعلباً (لو ١٣ : ٣٢) ، وكان أحد القضاة الذين مثل يسوع أمامهم (لو ٢٣ : ٧ ــ ١٢) .

ب ـــ نظرة الماديين . . . فقد جاء السيد المسيح للخلاص ، وبالرغم من الأعمال الفائقة التى قدمها تشهد له قالوا أنه إيليا (ع ١٥) ، إذ كان هؤلاء الماديون يتوقعون مجىء إيليا قبل المسّيا ليمهد له الطريق ، حيث يأتى المسيا على السحاب علانية ويرد الملك لإسرائيل على مستوى زمنى مادى ، فيه يخضع العالم كله لليهود .

جـ ـــ نظرة اليائسين . . . هؤلاء الذين فى يأسهم عاش إسرائيل قرابة ٣٠٠ عاماً بلا نبى ظنوا فى السيد أنه أحد الأنبياء (ع ١٦) .

هذه النظرات الثلاث لم تبلغ الحق ولا أدركت شخص المسيا . . . فالحاجة إلى الله نفسه الذى يهب الإعلان فى الداخل ويكشف عن الحق السماوى .

إذ استعرض الإنجيلى هذه النظرات قدم لنا قصة إستشهاد القديس يوحنا المعمدان بواسطة هيرودس الملك (ع ١٦ ــ ٢٩) .

هيرودس هذا هو هيرودس أنتيباس بن هيرودس الكبير من زوجته مالثاكى السامرية ، وقد وقف القديس يوحنا المعمدان يصرخ أمام الدعارة العلنية التى مارستها عائلة هيرودس الكبير الذى تزوج عشرة نساء[١٦٠] وكان له أبناء كثيرون ، وتحولت الحياة الزوجية عن قدسيتها إلى مؤامرات وفتن لاغتصاب المُلك ، نذكر على سبيل المثال :

أ ــ تزوج إبنة فيلبس (الذى من مريم البوستين) هيروديا إبنة أخيه أرستوبولس (من مريم المكابية) .

ب ــ تزوج فيلبس الآخر (الذى من كليوباترة أورشليم) بسالومى إبنة أخيه فيلبس السابق ذكره .

جـ ــ تزوج هيرودس أنتيباس (الذى من مالثاكى السامرية) من هيروديا زوجة أخيه فيلبس وهو حىّ ، هذه التى رقصت إبنتها سالومى فى عيد ميلاده وطلبت رأس يوحنا المعمدان لتستريح والدتها من صوته وللتأكد أن هيرودس لن يؤنبه ضميره فيما بعد بسبب هذا الصوت فيطلقها .

فيما يلى رسم مبسط لهذه الزيجات :

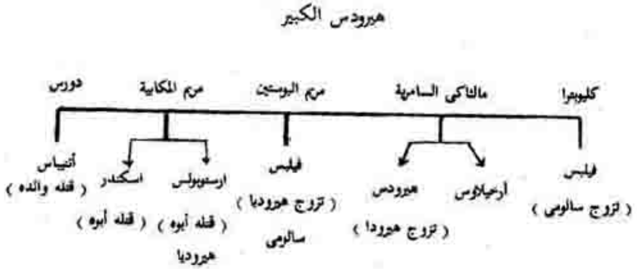

قصة استشهاد القديس يوحنا المعمدان على يدى هيرودس لم تكن مخفية بل عرفها الكثيرون وسجلها لنا المؤرخ اليهودى يوسيفوس[١٦١] ، لكنه لم يسجل أنها ثمن رقصة سالومى إبنة هيروديا إنما سجل ما أشيع فى ذلك الوقت أنه خشى من تحريض القديس يوحنا للشعب اليهودى وإثارته لمشاعر الجماهير ضد الملك . . . أى قتله بتهمة إثارة الفتنة .

فى عيد ميلاده عوض أن يخرج يوحنا من السجن إذ أُسلم بخيانة على ما يبدو من اليهود أنفسهم إهتم باقامة وليمة رقصت فيها سالومى إبنة هيروديا فلطخت يوم ميلاده بسفك دم برىء ، إذ طلبت يوحنا المعمدان على طبق لتسلمه لأمها !

يقول **الأب ثيوفلاكتيوس** : [كان أسيراً بواسطة شهوته حتى قدم مملكته ثمناً لرقصة . . . بينا كان يجب عليه أن يشكر الله إذ جاء به فى مثل هذا اليوم إلى النور (يوم ميلاده) تجاسر بارتكاب هذه الأعمال الشريرة ، وبينا كان ينبغى عليه أن يحرر من هم فى القيود إذا به يضيف إلى القيود قتلاً[١٦٣]] .

يحذرنا **القديس أمبروسيوس** من الولائم الخليعة فيقول : [قُطعت رأس يوحنا سابق المسيح كرغبة راقصة ، فصار مثلاً لاغراءات الرقص بكونها أكثر ضرراً من جنون الغضب الذى يدنس المقدسات[١٦٤]] .

ويرى **العلامة أوريجانوس** فى سجن النبى وقتله إشارة إلى ما فعلته الأمة اليهودية إذ أرادت أن تكتم النبوات وتقيد عملها وظنت أنها قادرة على منع تحقيقها بموت المسيا[١٦٥] .

فى وسط ملذات الوليمة وإغراءات الرقصات الماجنة أقسم هيرودس لصبية أن يقدم لها ولو نصف مملكته ، فصار قاتلاً للقديس يوحنا المعمدان . لهذا يحذرنا **القديس يوحنا الذهبى الفم** من القسم ، قائلاً : [تأمل ما عانته الأسباط بسبب القسم بخصوص سبط بنيامين (قض ٢١ : ٥ ــ ١٠) ، وما عاناه شاول بسبب قسمه (١ صم ١٤ : ٢٤) ، فقد أضر شاول نفسه ، أما هيرودس ففعل ما هو أشر من الأذية إذ صار قاتلاً . تعلمون أيضا ما حدث مع يشوع عندما أقسم بخصوص الجبعونيين (يش ٩) . بالحق ان القسم هو فخ الشيطان . لنفك حباله ولنتحرر منه ، لنحل كل شراكه وننطلق من فخ الشيطان هذا[١٦٦]] .

على أى الأحوال دفع هيرودس دم القديس يوحنا المعمدان ثمناً لإغتصاب إمرأة أخيه ولأجل إراحة ضميرها من جهة عرس أثيم ، أما السيد المسيح فدفع دمه ثمناً ليسترد عروسه من عدو الخير ...

يقارن البعض بين القديس يوحنا المعمدان وهيرودس من جوانب متعددة :

أولاً : كلاهما شخصية عامة ، لكن يوحنا يؤدى عمله من واقع أعماقه الداخلية الملتهبة حباً نحو الآخرين وشوقاً لخلاصهم ، وأما الثانى فيمارس عمله كابن لهيرودس الكبير ورث عنه نصيباً من مملكته يحمل فى قلبه كبرياء وأنانية ، يود أن يتمركز الكل حوله لتمجيده وخدمته .

ثانياً : تعرف الإثنان على السيد المسيح ، الأول بالإيمان وهو فى أحشاء أمه والتقى به فتهلل وفرح حين زارت القديسة مريم أليصابات (لو ١ : ٤٤) ؛ أما الثانى فأرسله إليه بيلاطس عند محاكمته وكان كل همه أن يرى آية لا أن يتمتع به (لو ٢٣ : ٧ — ٩) .

ثالثاً : آمن كلاهما بالقيامة من الأموات ، الأول من أجل القيامة سلم حياته للموت فى شجاعة ، والثانى إيمانه بالقيامة جعله يرتعب خشية أن يكون يوحنا قد قام !

رابعاً : استلم كلاهما رسالة من السيد المسيح ، الأول استلمها خلال تلميذيه اللذين أرسلهما إليه يسألاه « أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟ » مت ١١ : ٣ ، وقد مدحه السيد بقوله : « نعم أقول لكم وأفضل من نبى ، فإن هذا هو الذى كتب عنه : ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيىء طريقك قدامك . الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان » مت ١١ : ٩ — ١١ ، أما الرسالة التى وجهها السيد لهيرودس فهى : « امضوا وقولوا لهذا الثعلب : ها أنا أخرج شياطين وأشفى اليوم وغداً وفى اليوم الثالث أكمل » لو ١٣ : ٣٢ ، إذ تقدم بعض الفريسيين للسيد يطلبون منه أن يخرج من هناك لأن هيرودس يريد أن يقتله .

خامساً : مات كلاهما فى سجنه ، الأول استشهد فى سجنه لإعلانه كلمة الحق ، والثانى أغرته زوجته على الذهاب إلى روما يطلب من الإمبراطور كاليجولا أن يمنحه لقب ملك فغضب عليه ونفاه إلى ليون[١٦٧] ثم إلى أسبانيا[١٦٨] ، وفى منفاه أو سجنه مات .

٤ ـ التلاميذ والجموع الجائعة

بعد أن روى الانجيلى قصة استشهاد يوحنا المعمدان ، ذكر اجتماع الرسل بالسيد المسيح يخبرونه بكل شىء ، كل ما فعلوا وكل ما عملوا ، « **فقال لهم : تعالوا أنتم منفردين إلى موضع خلاء واستريحوا قليلاً ، لأن القادمين والذاهبين كانوا كثيرين ولم تتيسر لهم فرصة للأكل** » ع ٣١ .

إن كان السيد هو الذى إختارهم له تلاميذ ودعاهم ثم أرسلهم فإنه يليق بهم من حين إلى آخر أن يختلوا به يحدثونه بكل شىء يمس الخدمة ليكون هو القائد الحقيقى لهم فى كل تصرفاتهم . . . لقد أخذهم معه على إنفراد فى موضع خلاء ليجدوا فيه راحتهم وطعامهم . هكذا تمتزج حياة الخدمة بالتأمل بغير انقطاع ، كل منهما تدفع الأخرى وتسندها .

والعجيب أنه إذ أنطلق بهم إلى موضع خلاء بحثت عنه الجموع وجرت وراءه . . . وكأنه قد مزج خلوة التلاميذ بالخدمة ، لأن راحتهم الحقيقية هى فى راحة النفوس المتعبة .

يعلق **الأب ثيؤفلاكتيوس** على بحث الجماهير عنه والتفافهم حوله ، قائلاً : [هل تنتظر المسيح يدعوك ؟ ! ارجع إليه وامتثل أمامه !] .

إذ لم يتيسر للتلاميذ فرصة للأكل انطلقوا مع السيد فى موضع خلاء ، وهناك أيضاً لم تتيسر لهم الفرصة ، فقد اجتمعت الجماهير حوله ونسى التلاميذ جوعهم وسألوا من أجل الجمع ، إذ تقدموا للسيد قائلين : « **الموضع خلاء والوقت مضى ، إصرفهم لكى يمضوا إلى الضياع والقرى حوالينا ويبتاعوا لهم خبزاً ، لأن ليس عندهم ما يأكلون** » ع ٣٥ ، ٣٦ . يا للعجب حتى التلاميذ لم يعرفوا بعد

أن الحالّ فى وسـطهم هو « خبز الحياة » القادر أن يشبع العالم كله ! كان يليق بهم أن يذكروا أعماله معهم ، كيف أعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة ليخرجوها ، وأن يدهنوا مرضى بزيت فيشفوهم وأنه فى وسط كرازتهم لم يعوزهم شيئاً . . . حسن أن يطلب التلاميذ من أجل الشعب لكن كان يليق بهم أن يؤمنوا أنه قادر على إشباعهم وأنه لن يصرفهم جائعين !

أما عن معجزة إشباع الخمسة آلاف رجل بسمكتين وخمسة أرغفة فقد سبق لنا الحديث عنها (مت ١٤ : ١٤ ــ ٢١) ، غير أنه يمكننا أن نذكر هنا :

أولاً : تشير الخمسة أرغفة إلى شخص السيد المسيح ، إذ هو الخبز الحىّ النازل من السماء (يو ٦ : ٤١) ، أما رقم خمسة فيشير إلى السيد من حيث أن كلمة « يسوع » فى اليونانية خمسة حروف ، وأن كل لوحة من لوحى الشريعة حملت خمسة وصايا حسب الطقس اليهودى ، والحجاب الذى يغطى قدس الأقداس يقوم على خمسة أعمدة (خر ٢٦ : ٣٧) ، وأن خمسة كهنة أختيروا فى البرية « هرون وناداب وأبيهو وأليعازار وأثامار » خر ٢٨ الخ . . . هكذا يتقدس السيد كخبز حىّ مشبع وككلمة الله ورئيس الكهنة الحقيقى الخ .

فى نفس الوقت كانت الجموع خمسة آلاف رجل ، لأن رقم ١٠٠٠ يشير إلى الروح أو الحياة الروحية أو السماء أو الفكر السماوى ، بينما رقم ٥ يشير أيضا إلى الكنيسة المجتمعة حول المسيح ، فقد شبهها السيد بالخمس عذارى الحكيمات (مت٢٥) .

ثانياً : يرى بعض الدارسين أن القديس مرقس يعرض معجزة إشباع الجموع بطريقة تقترب من العشاء الأخير أو سرّ الأفخارستيا ، وكأن السيد المسيح خلال هذه الوليمة المسيانية يسحب قلوب تلاميذه لا إلى شبع جسدى ولكن إلى وليمته الفصحية لينعموا بجسده ودمه الأقدسين كسرّ حياة أبدية وثبوت فيه ، وبالتالى ينعموا بالوليمة السماوية الأبدية كتمتع بشركة المجد الأبدى .

إشباع الجموع لم يكن مجرد معجزة بين آلاف المعجزات التى صنعها ربنا يسوع ، ولم يكن غايتها مجرد الإعلان عن حبه وحنانه نحو الجماهير الجائعة ، لكن

كان لها مدلول خاص بها وهو أن الحالّ فى وسطهم هو المسيا المنتظر الذى أعلن عنه الناموس والأنبياء كواهب الشبع . ففى القديم قيل عن العصر المسيانى خلال الرمز والنبوة : « أمطر عليهم مناً وبرّ السماء أعطاهم ، أكل الانسان خبز الملائكة ، أرسل عليهم زاداً للشبع » مز ٧٨ : ٢٤ ، ٢٥ . كما قال المرتل عن مسيح الرب : « طعامها أبارك بركة ، مساكينها أشبع خبزاً » مز ١٣٢ : ١٥ . وكانت مائدة خبز الوجوه الذهبية أساسية فى خيمة الاجتماع رمز المسيا مشبع النفوس المقدسة . وفى سفر الملوك الثانى (٤ : ٤٢ — ٤٤) إذ جاء رجل من بعل شليشة بخبز باكورة عشرين رغيفاً من شعير وسويقاً فى جرابه لرجل الله اليشع النبى ، أصدر الله أمره بتقديم هذا الزائد لمئة رجل ليأكلوا ويفيض عنهم . . . هذه الأمور جميعها كانت أشبه بالأصبع الذى يشير نحو المسيا المشبع للنفس والجسد معاً . لكن ما يفعله المسيا هنا يفوق الرمز والظل ليؤكد أنه صاحب المائدة المسيانية الفريدة التى اشتهاها الآباء والانبياء ، والتى تشتهى الملائكة أن تطلع عليها . وما يقدمه السيد هنا علانية أمام الجماهير إنما ليسحب خاصته للمائدة الأفخارستية فينعموا بجسده ودمه المبذولين حياة أبدية لمن يتناول منهما .

ثالثاً : قبل أن يعرض الانجيلى مرقس عمل السيد المسيح الفائق فى إشباعه هذه الجماهير أعلن رعاية السيد للشعب وحنانه بقوله : « **فلما خرج يسوع رأى جمعاً كثيراً فتحنن عليهم إذ كانوا كخراف لا راعى لها فابتدأ يعلمهم كثيراً** » ع ٣٤ .

كأن الانجيلى يعود بنا إلى ما أعلنه حزقيال النبى أن الله نفسه يتسلم رعاية شعبه بعد أن تركه الرعاة بلا رعاية ، إذ يقول : « فلذلك أيها الرعاة اسمعوا كلام الرب » حىّ أنا يقول السيد الرب من حيث أن غنمى صار غنيمة وصارت غنمى مأكلاً لكل وحش الحقل إذ لم يكن راع ولا سأل رعاتى عن غنمى ورعى الرعاة أنفسهم ولم يرعوا غنمى ، فلذلك أيها الرعاة اسمعوا كلام الرب . . . هكذا قال السيد الرب هأنذا اسأل عن غنمى وأفتقدها كما يفتقد الراعى قطيعه يوم يكون فى وسط غنمه المشتتة ، هكذا أفتقد غنمى وأخلصها من جميع الأماكن التى تشتت إليها فى يوم الغيم والضباب » حز ٣٤ : ٧ — ١٢ . فبمجيء المسّيا المنتظر انتهى يوم الغيم والضباب ، وجاء كلمة الله نفسه يفتقد شعبه المشتت ويرده بالحب إليه .

رابعاً : فى دراستنا لانجيل متى رأينا أن السمكتين هنا تشيران الى العهد الجديد والعهد القديم ، يقدمهما لنا كلمة الله الحىّ لإشباع نفوسنا ، كما يشيران إلى الحب (رقم ٢) ، الذى هو « الشركة مع الله الحب الحقيقى » . أما العشب الذى إتكأ عليه الجماهير فهو الجسد الذى كان يتكل عليه اليهود مثل النسب الدموى لابراهيم أبيهم وختان الجسد ، فاننا لا نستطيع أن ننعم بالمائدة المسيانية مالم تخضع هذه الأمور تحتنا ، فلا نستعبد لها بالحرف القاتل . أما اتكاؤهم رفاقاً ، صفوفاً صفوفاً ، مئة مئة ، وخمسين خمسين (ع ٣٩ ، ٤٠) فيشير إلى الكنيسة الواحدة التى وإن اجتمعت على المستوى المحلى صفوفاً صفوفاً ، لكنها تتمتع بمسيح واحد وطعام واحد خلال ذات الفكر الرسولى الواحد . أما اتكاؤهم خمسين خمسين ، فكما تحدثنا كثيراً عن هذا الرقم كرمز للحلّ من الخطية بالروح القدس الذى تمتعت به الكنيسة يوم الخمسين . . . فان الكنيسة فى جوهرها هى جماعة الله المتحررة من خطاياها بروحه القدوس لتحيا ببر المسيح يسوع ربنا .

٥ ــ التلاميذ والأمواج

بالرغم من الأعمال العجيبة التى قدمها السيد المسيح لشعبه تعثر أقرباؤه فيه ولم يعرفوه إذ فى استخفاف قالوا : « أليس هذا هو النجار إبن مريم وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان ؟ ! » ع ٣ . فخلال الضمير المعذب ظن هيرودس يوحنا المعمدان قام من الأموات (ع ١٤) ، وخلال الشوق للمُلك المسيانى المادى حسبه البعض إيليا (ع ١٥) ، وأخيراً خلال الحنين لروح النبوة التى حُرم منها إسرائيل حوالى ٣٠٠ عاماً ظنه البعض أحد الأنبياء (ع١٥) . . . لذلك قدم السيد عملين يكشفان عن حقيقته لمن له البصيرة الروحية الصادقة ، العمل الأول إشباع الجموع بطريقة فريدة تكشف أنه واهب الوليمة المسيانية التى طالما اشتهاها الأنبياء وأعلن عنها الناموس خلال الرمز ، وأما العمل الثانى فهو مشيه على البحر ليلتقى بتلاميذه الخائفين ، إذ يقول الإنجيلى : « وبعدما ودّعهم مضى إلى الجبل ليصلى . ولما صار المساء كانت السفينة وسط البحر وهو على البر وحده ، ورآهم معذبين فى الجذف لأن الريح كانت ضدهم ، ونحو الهزيع الرابع من الليل أتاهم ماشياً على البحر وأراد أن يتجاوزهم ، فلما رأوه ماشياً على البحر ظنوه خيالاً فصرخوا » ع

٤٦ — ٤٩ . ويلاحظ فى هذا العمل الآتى :

أولاً : فى معجزة إشباع الجموع كشف لهم عن ذاته أنه الخالق الذى يرعى قطيعه (حز ٣٤) ويهتم به ، وفى نفس الوقت هو الخبز الحىّ السماوى المشبع لنفوس أولاده ، أما فى بمشيه على البحر فيعلن تحركه المستمر بالحب من أجل شعبه لينطلق بهم حتى وسط البحار ، حاملاً إياهم فيه فلا يغرقون . فى القديم بأمره الإلهى أمر موسى أن يضرب البحر بالعصا كما بالصليب ليجد شعبه لنفسه طريقاً وسط المياه ، فينجو من قبضة ابليس (فرعون وجنوده) ، وأمر يشوع أن ينطلق الكهنة بالتابوت إلى نهر الأردن ليعبر شعبه إلى أرض الموعد . . . وكأن الله ، فى محبته للبشرية ، يود على الدوام أن يعبر بشعبه من قبضة عدو الخير وينطلق بهم لا إلى أرض الموعد المادية وإنما إلى الأحضان الالهية . إن كانت المياه تعوقنا عن الانفلات من يدىّ العدو والتمتع بأرض الموعد السماوية ، فان الله نفسه يحملنا ليعبره بنا ، إذ قيل عنه : « الباسط السموات وحده والماشى على أعالى البحار » أى ٩ : ٨ ، « فى البحر طريقك وسبيلك المياه الكثيرة وآثارك لا تعرف » مز ٧٧ : ١٩ ، « الجاعل فى البحر طريقاً وفى المياه القوية مسلكاً » .

ثانياً : تركهم السيد حتى الهزيع الرابع أى حوالى الساعة الثالثة فجراً ، إذ كان اليهود يقسمون الليل إلى أربعة أقسام كل قسم يسمى هزيع ٦ — ٩ ، ٩ — ١٢ ، ١٢ — ٣ ، ٣ — ٦) . تركهم السيد كل هذه الفترة ليس تجاهلاً منه وإنما لتثبيت إيمانهم فيه ، ليعرفوه أنه هو الماشى على المياه ، الذى يجعل فى البحر طريقاً . تركهم يتدربون على المثابرة وطول الأناة خاصة فى الصلاة . وقد تظاهر أنه يتجاوزهم حتى يصرخوا إليه فيؤكد لهم رعايته ويعلن لهم ذاته .

لقد دخل السيد سفينة البشرية فى الهزيع الرابع ليرد لها سلامها بحلوله فى وسطها ، فالهزيع الأول هو من سقوط الانسان الأول حتى الطوفان ، والهزيع الثانى من تجديد الخليقة بالطوفان إلى موسى ، والثالث من موسى حتى التجسد ، أما الرابع فمن تجسد كلمة الله وحلوله فى وسطنا بتأنسه حتى مجيئه الأخير ، وكأن ما صنعه السيد مع تلاميذه إنما صنعه مع البشرية كلها بظهوره الحقيقى على مياه هذا العالم بتجسده الإلهى ليحل فى وسط كنيسته واهباً إياها سلاماً وسلطاناً على التيارات العنيفة .

لا تخف أيها العزيز إن كان الليل يحيط بظلامه الدامس حولك ، ففى المزيج الأحمر حينما يبدو كل شيء مستحيلاً أمامك يظهر رب المجد مشرقاً بنوره فى داخلك . لذلك يقول **القديس يوحنا سابا** : [الظلام يسبق النور ، هكذا ينبغى أن نصبر على التجارب حتى تشرق فى نفوسنا معرفة الحق(١٦٩)] . ويقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [انه لم ينزع الظلمة ولا أعلن ذاته لهم فى الحال بل كما سبق فقلت أنه كان يدربهم على احتمال هذه المخاوف ويعلمهم أن يكونوا مستعدين للألم(١٧٠)] .

ثالثاً : يقول الإنجيل : **«أتاهم ماشياً على البحر وأراد أن يتجاوزهم» ع ٤٨** . . . إن كان قد سبق فألزمهم أن يدخلوا السفينة (ع ٤٥) لكى يجتازوا الضيقة ويصرخوا إليه ، الآن حتى فى مجيئه إليهم يريد أن يتجاوزهم حتى يطلبوه فيجدوه ، ويصرخوا إليه فيسمعوا صوته الحلو : **«أنا هو ، لا تخافوا» ع ٥٠** . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لم يعلن المسيح نفسه قبل أن يصرخوا إليه حتى إذا ما ازداد رعبهم يزداد ترحيبهم بقدومه إليهم(١٧١)] . وكأن غاية الضيقة دخولنا إلى حياة الصلاة بالصراخ إلى الله والشركة معه . يحدثنا **القديس يوحنا سابا** على فاعلية الصلاة ، قائلاً : [بالصلاة يختلط العقل بالله ، بها يفتح كنوز الله ويقسم ذخائره . بها يستحق نظر مجد الله ويكون فى غمام نور عظمته داخل بلدة الروحانيين . بها يكون الإنسان مسكناً لله . بها تتحد النفس بالمسيح ، وبها تنظر اشراق مجد عظمته . بها تتقد فى النفس نار محبة المسيح ويحترق القلب بالشهوة فى الله ، تلك الشهوة التى تحرق جميع شهوات الأعضاء . بها تبتهج النفس بالحب وتخرج من رتبتها ، وينقلع العالم من قلبها(١٧٢)] .

ثالثاً : سمعوا صوته : « أنا هو لا تخافوا » فنزع الخوف عنهم . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [إذ عرفوه بصوته فارقهم خوفهم(١٧٣)] . ما أحوجنا أن نتعرف عليه وسط الضيقات المرة بسماعنا صوت وصيته الإلهية فينا ، فيتجلى فى داخلنا وينزع خوفنا عنا .

٦ ــ التعرف عليه

إذ خرجوا من السفينة يقول « **للوقت عرفوه** » ع **٥٤** . . . فجاؤا إليه بمرضى كثيرين حملوهم إلى الأسواق ليلتقوا معه ويلمسوا ولو هدب ثوبه ، « **وكل من لمسه شُفى** » ع **٥٦** . بمعنى آخر ، إذ يتجلى رب المجد فينا ينزع عنا الأمواج الداخلية لتحيا أعماقنا ملكوتاً له ، يسكنه الرب وتشارك قديسيه وملائكته تسابيحهم السماوية غير المنطوق بها . إنها تتلامس معه وتكون كمن قد برىء من مرضه القديم لتحيا فى كمال الصحة بتمتعها بالحياة الفائقة الجديدة ، وتحصينها من كل غريب يفقدها مجدها أو حريتها أو سلامها . لهذا يقول **القديس يوحنا سابا** : [إن كنت غريباً عن كل إضطراب خارجى تسمع داخلك الروح ينطق بالممجدات(١٧٤) ، [إن نفسك هى أورشليم المفرحة للمسيح فلماذا لا يزال يتردد فى أسواقها البابليون ؟](١٧٥) .

الإصحاح السابع

الحياة الداخلية

جاء السيد المسيح إلى العالم لكى يدخل بنا إلى إنساننا الداخلى ، فلا نهتم بالشكليات الخارجية والمظاهر إنما نطلب تجديد إنساننا العميق ، لهذا وبخ المهتمين بالوصايا فى شكلها دون روحها .

١ ــ السيد المسيح والغسلات	١ ــ ٢٣.
٢ ــ شفاء إبنة المرأة الفينيقية	٢٤ ــ ٣٠.
٣ ــ شفاء أصم أعقد	٣١ ــ ٣٧.

+ + +

١ ــ السيد المسيح والغسلات

لام الفريسيون تلاميذ السيد المسيح لأنهم رأوا بعضاً منهم يأكل بأيد غير مغسولة ، وقد شرح الإنجيلى كيف كان اليهود يهتمون بغسل الكؤوس والأباريق وآنية النحاس والأسرة وكل ما يأتى من السوق . . . متمسكين بتقليد الشيوخ .

لم ينتقد السيد المسيح الغسل فى ذاته لكنه انتقد الانشغال به على حساب الغسل الداخلى ، والاهتمام بتقاليد حرفية على حساب الوصية فى أعماقها ، إذ أجابهم « **وقال لهم : حسناً تنبأ إشعياء عنكم أنتم المرائين كما هو مكتوب : هذا الشعب يكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً ، وباطلاً يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس ، لأنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد**

الناس : غسل الأباريق والكؤوس وأموراً أخر كثيرة مثل هذه تفعلون . ثم قال لهم : حسناً رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم » ع ٦ ــ ٩

ويلاحظ فى حديث السيد المسيح الآتى :

أولاً : يقدم السيد المسيح لكل إنسان ما يحتاج إليه ، فعندما جاءته الجموع البسيطة تحمل المرضى إلى الأسواق مشتاقة أن يلمسوه فيُشفون ، وهبهم سؤال قلبهم ، وكل من لمسه شُفى (٦ : ٥٦) ؛ أما جماعة المتعلمين أى الفريسيون فقد جاءوا لا لينالوا شيئاً بل ليتصيدوا أخطاء فقدم لهم أيضاً ما يحتاجون إليه ، إذ كشف لهم جرحهم العميق ليطلبوا طبيباً قادراً على شفاء جراحات نفوسهم .

ثانياً : هاجم السيد المسيح تمسك اليهود بالشكليات القاتلة تحت ستار الحفاظ على التقليد ، إذ كانوا أشبه بمن يكرمون الرب بشفاهم أما قلوبهم فمبتعدة عن الله . وقد سبق لنا فى دراستنا « الأرثوكسية والتقليد » التمييز بين التقليد الحرفى القاتل الذى يناقض الوصية ويعثر النفس فى انطلاقها فى الروحيات نحو السمويات وبين ما حمله التقليد من تراث روحى أصيل أو تدبير تعبدى جميل كالليتورجيات اليهودية بما حملته من تسابيح ومزامير الخ . . . الأمور التى لم يعارضها السيد ولا تلاميذه ، بل كانوا يذهبون إلى الهيكل ويشتركون مع اليهود فى عبادتهم وإن كان بمفهوم مسيحى جديد .

لكى نعرف لماذا إنتقد السيد المسيح هذه الغسلات اليهودية يلزمنا أن نوضح ما قاله بعض الدارسين أنها لم تكن بهدف صحى وإنما إجراءات طقسية حرفية ، فعندما يغسل اليهودى يديه للتطهير يأتى بماء فى آناء حجرى طاهر طقسياً ، ثم يرفع الشخص يديه إلى أعلى ويصب عليهما كمية من الماء ، ثم يعود فيخفضهما إلى أسفل ويصب كمية أخرى من الماء من على المعصمين لتنزل إلى الأصابع فيطهّر طقسياً . وكان اليهودى يعتقد انه مالم يفعل ذلك وبدقة يمتلكه روح نجس إسمه شيبتا ، ثم يصاب بالفقر والهلاك . ومن شدة تمسك اليهود بهذا الطقس قيل أنه حينما رفض أحد المعلمين ممارسته دفن عند موته فى مقابر الهراطقة ، وعندما سُجن أحد الربيين فى سجن رومانى كان يستخدم الماء المحدود فى تطهير يديه مفضلاً ذلك عن الشرب حتى مات من العطش . . . وقد قدمت المشناه[١٧٦] أنواعاً كثيرة من طقوس الغسلات اليهودية .

بلا شك نقد الفريسيين لتلاميذ السيد المسيح بخصوص عدم غسلهم الأيادى قبل الأكل كان مجرد مثل يقدمونه ، إذ كان الفريسيون فى ريائهم لا يطيقون التلاميذ المتحررين من هذا الرياء . الإنسان الحرفى لا يطيق الفكر الروحى بل يقاومه ، محولاً حياته إلى مناقشات غبية وعقيمة !

ثالثاً : إتهمه الفريسيون بأن تلاميذه يكسرون لا وصية الله بل تقاليد الشيوخ ، أما هو فكشف لهم خلال الناموس والأنبياء أنهم يسلكون بالرياء ، ويكسرون الوصية ، ويحتاجون بالحق إلى طبيب قادر أن يخلصهم من دائهم . فقد قدم لهم مثلاً خطيراً لإنحرافهم إذ يسمحون للشخص أن يمتنع عن إعالة والديه بحجة أن ما يقدمه لهما قد سلمه قرباناً لله . بهذا يكون قد كسر وصية الله الخاصة باكرام الوالدين يسنده فى ذلك تقليد الشيوخ الخاطىء لكى يزداد إيراد الهيكل ويكون للقادة نصيباً مادياً أعظم . . . كأن هذا التقليد جاء لا ليخدم الوصية الإلهية ويسندها بل يقاومها ويحطمها .

إذ يظنون فى أنفسهم أنهم حارسو الناموس أكد لهم أنهم يبطلون كلام الله وناموسه خلال تقليدهم الخاطىء . وإذ يفتخرون أنهم يحفظون النبوات قدم لهم نبوة إشعياء النبى عنهم : « هذا الشعب يكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى » (ع ٦ . إش ٢٩ : ١٣ الترجمة السبعينية) .

إذ كشف للفريسيين والكتبة جراحاتهم الداخلية « **دعا كل الجمع وقال لهم : اسمعوا منى كلكم وافهموا . ليس شيىء من خارج الانسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه ، لكن الأشياء التى تخرج منه هى التى تنجس الإنسان ، إن كان لأحد أذنان للسمع فليسمع** » ع ١٤ — ١٦ . كشف لهم السيد المسيح مفهوم النجاسة الحقيقية ، هذا المفهوم الذى لم يكن ممكناً لليهودى أن يتقبله مالم تصر له الأذن الروحية القادرة أن تدرك الروحيات مرتفعة فوق الحرف . فقد عاش اليهودى يهتم ألا يتنجس بمأكولات محرمة (لا ١١) ولا يلمس ثياباً دنسة أو متاعاً دنس أو يسكن بيتاً نجساً الخ . . . كان فى ذهن اليهودى قائمة طويلة مرعبة لما ينجسه ، وقد جاء السيد يكشف عن جذور النجاسة التى تمس الحياة الداخلية لا المظاهر الخارجية . « **لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة : زنى فسق قتل سرقة**

طمع خبث مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل ، جميع هذه الشرور من الداخل وتنجس الانسان ، ع ٢١ ــ ٢٣ . هذه القائمة للرذائل يقدمها لنا العهد الجديد دائماً للتحذير ، كالقائمة التى فى رو ١ : ٢٩ ــ ٣١ ، وأيضا التى فى غلا ٥ : ١٩ ــ ١٣ .

هذه القائمة لا تحتاج إلى توضيح ، غير أن كلمة « طمع » هنا فى اليونانية تعنى « يريد أكثر » ، أى لا يشبع ، وكلمة « خبث » تعنى « الاعمال الشريرة » وهى سمة من يفرح فى مصائب الآخرين ، لذلك يدعى إبليس بالخبيث ، « والمكر » يعنى « يوقع فى الفخ » ، وأخيراً يقصد بالجهل الحماقة الروحية .

رابعاً : يرى البعض فى أكل التلاميذ الطعام بأيد غير مغسولة إشارة إلى بسط أيديهم للعمل الكرازى بين الأمم الذين تطلع إليهم اليهود كشعوب دنسة غير مقدسة .

خامساً : ان كان السيد قد انتقد هؤلاء الفريسيين فى إهتمامه بالشكل دون الجوهر الداخلى لهذا لاق بنا نحن كمسيحيين أن نهتم بالأعماق الداخلية ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [يلزم أن يكون إهتمامنا بسلوكنا عظيماً ، لماذا ؟ لأنه يجب ألا يكون اجتماعنا المستمر هنا مجرد إجتماع تدخل اليه ، وإنما يلزم أن نحمل بعض الثمار على الدوام . فإن أتيتم وخرجتم بلا ثمر يكون دخولكم بلا نفع . . . إن كنتم تشتركون فى الترنم بمزمورين أو ثلاثة وتمارسون الصلوات كيفما كان فهل تظنون أن هذا كاف لخلاصكم ؟](١٧٧) .

سادساً : يرى بعض الدارسين أن هذا التعليم الذى قدمه السيد المسيح للفريسيين والكتبة كما للجموع إنما يمثل مقدمة لائقة للقصة التالية الخاصة بشفاء إبنة الفينيقية ، إذ أراد السيد أن يؤكد أنه لا يوجد شعب طاهر وشعب نجس ، انما الحاجة الى القلب الطاهر الداخلى .

٢ ــ شفاء المرأة الفينيقية

لم يسترح السيد لهؤلاء الذين يعيشون حسب الشكل الخارجى ، الذين بلا روح وبلا أعماق داخلية ، لذلك « **قام من هناك ومضى إلى تخوم صور وصيدا** » ع

٢٤ ، أى ترك خاصته وذهب إلى منطقة الأمم ، وكأنه يعلن أن خاصته قد فقدته بشكلياتها بينما يتمتع به الغرباء خلال شعورهم بالحاجة إليه .

يقول الإنجيل : « **ودخل بيتاً وهو يريد أن لا يعلم أحد ، فلم يقدر أن يختفى** » ع ٢٤ . لماذا دخل سراً ولم يرد أن يعلم به أحد ؟ ربما لأنه لم يحن بعد وقت الكرازة بين الأمم ، إنما جاء هذه الدفعة كعربون فقط ، وكرمز لتركه خاصته وإنطلاقه للأمم . ويرى بعض الدارسين أن السيد وقد رأى الفريسيين يلومون تلاميذه لأنهم يأكلون بأيد غير مغسولة ، فكم بالأكثر عندما يجدون المعلم نفسه يدخل إلى شعب فى نظرهم دنساً ، وينعتونه بأنهم « كلاب » ؟ !

لم يقدر السيد أن يختفى لأن إمرأة كنعانية « **كان بإبنتها روح نجس سمعت به فأتت وخرت عند قدميه** » ع ٢٥ ، وكأن السيد قد أراد أن يعلن لتلاميذه كيف أغلق اليهود ضد أنفسهم أبواب محبته بالرغم مما قدمه لهم ، بينما جاء الأمم إليه خاضعين ومؤمنين بالرغم من دخوله إليهم سراً . ولكى يكشف لهم بالأكثر إيمان الأمم به تمنع فى البداية عن العطاء ، قائلا لها : « **دعى البنين أولاً يشبعون لأنه ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب** » ع ٢٧ ، فجاءت إجابة المرأة تشهد أن البنين طرحوا خبزهم بينما من حسبهم اليهود كلاباً استحقوا خبز البنين باتضاعهم وإيمانهم .

حمل هذا الحوار عتاباً من السيد موجهاً لليهود ، فمن جانب أنه جاء ليقدم لهم خبز البنين لكنهم رفضوا الخبز السماوى ، ومن جانب آخر إحتقروا الأمم حاسبين إياهم دنسين كالكلاب مع أنهم بالإيمان يتمتعون بما لا يتمتع به البنون .

كشف هذا الحوار عن حكمة الكنعانية فانها لم تهاجم دعوة الأمم ككلاب وإنما فى حكمة قالت بأنه وإن حُسبت هكذا فهى تطمع فى التمتع بالفتات الساقط من مائدة أربابها ، فأعلنت أن أبناء هذا العالم أحكم من اليهود الجاحدين ...

يرى بعض الدارسين أن كلمة « كلاب » هنا فى اليونانية تعنى « pups » ، نوعاً من الكلاب تستخدم كدمية لطيفة وليست كلاب الحراسة الشرسة ، الأمر الذى يخفف من المعنى . هذا وان لهجة الحديث ونبرات صوته بلا شك كانت

جذابة فتحت الباب للكنعانية لتكمل الحوار ، فإن كثير من العبارات التى تبدو قاسية فى تسجيلها كتابة إذ تُقدم بطريقة لطيفة تخفف من حدتها . على أى الأحوال لم يكن سهلاً على اليهود قبول الكرازة بين الأمم ، لكن السيد المسيح هنا يفتح الباب لهم ، حتى يمكن للرسولين بولس وبرنابا أن يقولا مجاهرة : « كان يجب ان تكلموا أنتم أولاً بكلمة الله ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه إلى الأمم » أع ١٣ : ٤٦ . مرة أخرى يقول الرسول بولس : « دمكم على رؤوسكم ، أنا برىء ، من الآن أذهب إلى الأمم » أع ١٨ : ٦ .

٣ ـــ شفاء أصم أعقد

يبدو أن السيد المسيح لم يرد أن يبقى كثيراً بين الأمم حتى لا يتعثر فيه اليهود ككاسر للناموس إذ يرونه فى شركة مع الأمم الدنسين ، لذلك يقول الانجيلى : « ثم **خرج أيضاً من تخوم صور وصيدا وجاء إلى بحر الجليل فى وسط حدود المدن العشر » ع ٣١ .**

هناك جاءوا إليه بأصم أعقد ، فوضع أصبعه فى أذنيه وتفل ولمس لسانه ، ورفع نظره نحو السماء ثم قال له : انفتح ، فانفتحت أذناه وانحل رباط لسانه ...

كان هذا الأصم الأعقد عند حدود المدن العشر يحتاج إلى السيد المسيح نفسه لكى يهبه إمكانية السماع لكلمة الله والنطق بها . إن كانت المدن العشر تشير إلى الوصايا العشر أو الناموس ، فإن هذا الناموس كشف ما إتسم به الإنسان كعاجز عن السماع لصوت الله والتكلم بأعماله ، لهذا جاء السيد يضع أصبعه فى أذنيه أى يرسل روحه القدوس الذى يُسمى أصبع الله (خر ٨ : ١٩) ليفتح الأذن الداخلية فتسمع الصوت الإلهى عاملاً فيها .

أما كونه قد تفل ولمس لسانه إنما ليشير إلى عطية الحكمة الإلهية التى وهبها السيد للبشرية لكى تنطق بأعمال الله وحكمته . أما تطلع السيد إلى السماء بأنات فلكى يعلن أن ما يقدمه هو عطايا سماوية يرفضها الجسدانيون .

يختم الإنجيلى هذه المعجزة بقوله : « **وبهتوا إلى الغاية ، قائلين : إنه عمل كل شىء حسناً ، جعل الصم يسمعون والخرس يتكلمون » ع ٣٧ .** لعله بهذه

العبارة يعود بنا إلى بداية الخليقة حيث رأى الله كل شيء حسناً ، فالذى كان يعمل فى البدء لأجل الإنسان هو بعينه قد جاء ليجدد الخليقة ويرد للإنسان بهجته وسلامه . ويرى بعض الدارسين[١٧٨] أن هذه العبارة « عمل كل شيء حسناً » إنما تعنى : « كيف تحققت هكذا فيه النبوات حسناً ! ! » .

+ + +

الاصحاح الثامن

المسيح المشبع

جاءت الأصحاحات ٨ ــ ١٠ تحمل أسئلة كثيرة ، منها أسئلة قدمها السيد نفسه ، وبعضها التلاميذ ، وأحيانا الشعب أو المقاومون له . . . كلها كشفت بالأكثر عن شخص السيد المسيح العامل لحساب البشرية موضوع حبه .

فى هذا الأصحاح كشفت الأسئلة عن شخصه كمصدر شبع حقيقى للنفس .

١ ــ سؤال حول الخبز	١ ــ ١٠.
٢ ــ سؤال حول الآية	١١ ــ ١٢.
٣ ــ حوار حول الخمير	١٣ ــ ٢١.
٤ ــ سؤال حول البصيرة	٢٢ ــ ٢٦.
٥ ــ سؤال حول شخص المسيح	٢٧ ــ ٣٠.
٦ ــ إعلانه عن الصليب	٣١ ــ ٣٣.
٧ ــ إعلانه عن شركة الصليب	٣٤ ــ ٣٨.

\+ + +

١ ــ سؤال حول الخبز

سبق فبارك الرب الخبز والسمكتين لإشباع خمسة آلاف رجل ما عدا الرجال والنساء (٦ : ٣٤ ــ ٤٤) ، إذ تحنن الرب عليهم عندما رآهم كخراف بلا راعى

وقد أطال الحديث معهم فى موضع خلاء وأراد التلاميذ أن يصرفهم السيد ليبتاعوا خبزاً . . . فلم يرد أن يصرفهم جائعين . وها قد سنحت فرصة أخرى فيها بقت الجموع ثلاثة أيام مع السيد وليس لهم ما يأكلونه ، وقد رفض السيد أيضاً أن يصرفهم صائمين لئلا يخوروا فى الطريق ، لأن قوما منهم جاءوا من بعيد (ع ٣) . فى شفائه المرضى وإخراج الشياطين لم يقدر الانجيليون أن يحصروا عدد الأشفية والآيات التى صنعها ، حتى قال الإنجيلى يوحنا : « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » يو ٢١ : ٢٥ . أما فى أمر إشباع الجموع فعلى ما يظن لم يمارسه سوى مرتين حتى لا يلتف الجمع حوله من أجل الخبز المادى فتنحرف نظرتهم إلى الزمنيات عوض الشبع الروحى . أما عدم تجاهله هذا الإشباع إنما ليكشف أنه أيضا يهتم بالجسد ولكن ليس على حساب الروحيات .

سبق لنا دراسة هاتين المعجزتين خاصة ما حملتاه من جوانب رمزية (راجع تفسير مت ١٤ : ١٤ — ٢١ ، ١٥ : ٣٢ — ٣٨) ، لذا أكتفى هنا بابراز النقاط التالية :

أولا : لا نستطيع تجاهل التشابه الشديد بين معجزتى إشباع الجموع الواردتين فى الأصحاحين ٦ ، ٨ وما لازمهما من ظروف متقاربة للغاية[١٧٩] :

أ — إشباع ٥٠٠٠ رجل (٦ : ٣٥ — ٤٤) ،	أ — إشباع الـ ٤٠٠٠ (٨ : ١ — ٩)
ب — عبور البحيرة (٦ : ٤٥ — ٥٢) .	ب — عبور البحيرة (٨ : ١٠)
جـ — عبورهم الى جنيسارت (٦ : ٥٣ — ٥٦)	جـ — عبورهم إلى دلمانوثة (٨ : ١٠)
د — حواره بعدها مع الفريسيين عن الأيدى الدنسة (٧ : ١—٢٣)	د — حواره بعدها مع الفريسيين عن الآية من السماء (٨ : ١١).
هـ — حواره مع الفينيقية عن خبز البنين (٧ : ٢٤ — ٣٠)	هـ — حواره مع التلاميذ عن خمير الفريسيين (٨ : ١٣—٢١)
و — شفاء الأصم الأعقد (٧ : ٣١ : ٣٧)	و — شفاء الأعمى (٨ : ٢٢ — ٢٦)

هذا التشابه الشديد فى الظروف المحيطة بالمعجزتين يربط بينهما رباطاً وثيقاً كما رأينا فى دراستنا لإنجيل معلمنا متى البشير(١٨٠) بكون الأولى تعلن عن شخص المسيا مشبع اليهود أو أصحاب الناموس ، والثانية عن ذات المسيا المشبع أيضاً للأمم ، وأن المعجزتين يحملان ذات المعنى والمفهوم . أما تشابه الأحداث الملازمة لهما واللاحقة لهما فلا يمكن أن يكون محض صدفة ، إنما تعنى مفهوماً روحياً يمس حياتنا ، يمكننا أن نلخصه فى الآتى :

أ ـــ فى المعجزتين إذ شبعت الجموع دخل السيد المسيح السفينة ومعه تلاميذه ليعبروا البحيرة إلى الشاطىء الآخر . . . كأن غاية اشباعه لنفوسنا أن تتذوق العبور أو الخروج بالمسيح يسوع خلال صليبه المحيى (السفينة) لينطلق قلبنا من برية هذا العالم مجتازاً أمواجه وتياراته ليدخل إلى الحياة الأخرى ويتمتع بالأبدية ، هذا الخروج لن يتحقق خارج السيد المسيح رأس الكنيسة وقائدها .

ب ـــ إذ شبعت الجموع قام الفريسيون فى المرتين يحاورونه تارة عن الأيدى الدنسة وأخرى يطلبون آية من السماء . . . وكأنه بينما ينشغل السيد المسيح باشباعنا داخلياً والانطلاق بنا إلى أحضان أبيه خلال ثبوتنا فيه ، يبذل عدو الخير كل جهده لإثارتنا فى مناقشات غبية تفسر نقاوة القلب الداخلى . يريد العدو أن يسحبنا من الشبع الداخلى إلى الغسلات المظهرية أو الآيات المثيرة للخارج .

جـ ـــ بعد المعجزة الأولى تحدث مع الفينيقية عن خبز البنين الذى كان يود أن يتمسك به أصحاب الناموس كبنين لكنهم رفضوه فقُدم للأمم الغرباء ، وبعد المعجزة الثانية حدث تلاميذه عن خمير الفريسيين محذراً أياهم لئلا يأكلوا منه . . . طالباً أن ينعموا به هو شخصياً الخبز الواحد النازل من السماء !

د ـــ بعد المعجزة الأولى شفى السيد المسيح الرجل الأصم الأعقد ، أما بعد الثانية فشفى الأعمى . . . وكان السيد مشبع النفوس قد جاء ليفتح أذاننا الروحية لسماع كلمته ولساننا تمجيده وأعيننا لمعاينة بهاء مجده .

ثانيا : ما هو الخبز الذى قدمه السيد للجموع بعد أن مكثوا معه ثلاثة أيام ولم يكن لهم ما يأكلونه (ع ٢) إلا جسده المقدس القائم من بين الأموات فى اليوم الثالث ؟ ! فمن يقبل معه آلامه ويحمل صليبه ويدفن معه يكون كصائم عن العالم بلا

طعام يسلمه الرب جسده طعاماً حياً ، الجسد القائم من الأموات !

يرى بعض الآباء أن هذا الخبز يشير الى كلمة الله أو كلمة الكرازة بالإنجيل التى قدمت للبشرية الجائعة ، فيقول القديس أغسطينوس : [ما تأكلونه أنتم آكل منه أنا أيضاً ، وما تعيشون عليه أعيش أنا أيضا عليه ، اذ لنا فى السماء مخزن مشترك منه تأتى كلمة الله . . . أنتم تعلمون أن وليمة الله غالباً ما نسمع عنها أنها خاصة بالقلب لا بالبطن[١٨١]] . ويقول البابا غريغوريوس (الكبير) : [لم يرد أن يصرفهم صائمين لئلا يخوروا فى الطريق ، إذ يليق بمن يستمع للكرازة أن يجد كلمة تعزية لئلا بسبب جوعهم وحرمانهم من طعام الحق يسقطون تحت ثقل متاعب الحياة[١٨٢]] .

إن كان هذا الخبز يشير الى كلمة الكرازة ، فإن بعض الدارسين يرون فى رقم ٧ (سبع خبزات) إشارة إلى السبعين رسولاً الذين قاموا بالكرازة بين الأمم ، وإلى السبعة شمامسة (أع ٦ : ٣)[١٨٣] ، غير أن كثير من الآباء يرون فى رقم ٧ إشارة إلى أعمال الروح القدس فى كنيسة المسيح ، وكأن هذا الخبز الذى هو كلمة الكرازة هو عطية الروح القدس للمؤمنين فى كنيسة المسيح . بمعنى آخر الروح القدس العامل فى الكنيسة خاصة خلال الأسرار السبعة يقدم لنا كلمة الله حية وفعّالة وعملية فى حياتنا لتدخل بنا إلى الكمال .

يقول القديس أغسطينوس : [السبع خبزات تعنى أعمال الروح القدس السبعة ، والأربعة آلاف رجل هى الكنيسة المؤسسة على الأناجيل الأربعة ، والسبعة سلال من الفضلات هى كمال الكنيسة ، فانه بهذا الرقم يُرمز للكمال دائماً[١٨٤]] . ويقول الأب ثيؤفلاكتيوس : [رقم ٧ يشير إلى الروح القدس الذى يكمل كل شيء ، إذ تكمل حياتنا خلال السبعة أيام[١٨٥]] .

ويرى القديس أمبروسيوس[١٨٦] أن هذا الطعام يشير إلى القوة التى يمنحها لمؤمنيه ، فإن كان فى وصيته يطالبنا بالمثابرة والجهاد لكنه هو الذى يهبنا القوة حتى لا نخور فى الطريق . إنه يبعث بقوته للجميع . يوزع للكل ولا يتجاهل أحداً ، فإن امتنع إنسان عن بسط يديه لينال قوة الروح الداخلى خار فى طريق جهاده .

ثالثاً : أحصى عدد الرجال لكنه لم يحرم النساء ولا الأطفال من الطعام ، وكما يقول القديس أغسطينوس : [دع هؤلاء يأكلون ، ليأكل الأطفال فينمون ولا يصيرون بعد أطفالاً ، ولينصلح من هم مدللون كالنساء فيصيرون محصنين[١٨٧]] . هذا ويرى البعض أن العدد الوارد هنا (٤٠٠٠) يشمل الكل وليس الرجال فقط كما في المعجزة السابقة .

رابعاً : بالنسبة للسلال السبع التي جمعها التلاميذ وقد امتلأت من الفضلات علامة البركة المسيانية ، فهي تشير الى الكنائس السبع (رؤ ١ : ١٢ — ٢٠) وقد حلّ في وسطها ابن الإنسان ينيرها ويشبعها خلال كلمة الإنجيل عاملاً بروحه القدوس فيها .

هذا ويلاحظ ان كلمة « سلال » هنا جاء باليونانية « Spyris » بينما في المعجزة الأولى استخدمت الكلمة اليونانية « kophinos » والتي ترجمت « قفة » . فان كانت القصة التي بين أيدينا تشير إلى شبع الأمم بالمسيا المخلص بينما القصة السابقة تشير الى شبع اليهود به ، فان كلمة Spyris تعني سلة عادية أو سلة سمك يستخدمها الكل أما كلمة kophinoi فهي تمثل نوعاً من السلال خاص بالشعب اليهودي يستخدمه فقراؤهم في روما[١٨٨] . لنفس السبب في المعجزة التي بين أيدينا عدد السلال سبع إشارة الى كمال الكرازة في العالم كله ، أما في المعجزة السابقة فعددهم ١٢ إشارة إلى الإثنى عشر سبطاً .

٢ — سؤال حول الآية

« فخرج الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه ، فتنهد بروحه ، وقال : لماذا يطلب هذا الجيل آية ؟ الحق أقول لكم لن تُعطى هذا الجيل آية » ع ١١ ، ١٢ .

بعد إشباع الخمسة آلاف رجل على يدى التلاميذ عوض أن ينشغل الفريسيون بهذا العمل الفائق ليروا فيه تحقيقاً للنبوات ، إذ جاء المسيا ووهب تلاميذه أن يقدموا بركته للجماهير فتشبع ، رأوا في أيديهم أنها دنسة لأنها لم تتطهر بالماء قبل الأكل حسب تقاليد اليهود . الأيدي التي تمتعت بعطية الله لتقدم ما يشبع الجماهير وتجمع

بالبركة فضلات كثيرة كانت فى أعينهم دنسة . والآن إذ أكد الرب لهم أنه المسيا مشتهى الأمم ومتمم النبوات باشباعه أربعة آلاف أخرى عوض أن يعيدوا النظر فيما فعلوه ازدادوا جهالة ، إذ طلبوا منه آية من السماء لكى يجربوه . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لم يطلبوا آية لكى يؤمنوا وإنما لكى يمسكوه ، فلو كان المقاومون مستعدين لقبول الإيمان لصنع لهم آية[١٨٩]] .

لقد أراد السيد المسيح أن يدخل بهم إلى السماء عينها ، مقدماً نفسه المن الحقيقى النازل من السماءالواهب حياة أبدية (يو ٦) ، لكنهم لم يطلبوا الشبع بل طلبوا علامة منظورة فى الطبيعة للجدال والمقاومة . وهم فى هذا لم يستطيعوا أن يميزوا بين مجىء السيد المسيح الأول لتقديم الخلاص للعالم كله خلال محبته الفائقة ، وبين مجيئه الثانى ليدين العالم . فعلامة مجيئه الأول هى بسط يديه بالحب واللطف نحو كل نفس خاصة على الصليب ، أما علامة مجيئه الثانى للدينونة فهى تزعزع قوات السماء ، والشمس والقمر لا يعطيان ضوءهما الخ ...

لقد تنهد السيد بروحه ، وقال : لماذا يطلب هذا الجيل آية ؟ ، وكأنه فى مرارة يرى فى هذا الجيل الذى كان يجب أن يكون كارزاً بالإنجيل ومعلماً للعالم عن الخلاص بالصليب قد تحول عن رسالته إلى تجربة الرب كآبائهم الذين جربوا الرب . يقول موسى النبى : « ودعا إسم الموضع مسّة ومريبة من أجل مخاصمة بنى إسرائيل ومن أجل تجربتهم للرب ، قائلين : أفى وسطنا الرب أم لا ؟ ! » خر ١٧ : ٧ . ويقول المرتل : « فلا تقسوا قلوبكم كما فى مريبة مثل يوم مسة فى البرية ، حيث جربنى آباؤكم ، اختبرونى ، أبصروا أيضاً فعلى ، أربعين سنة مقت ذلك الجيل » مز ٩٥ : ٨ — ١٠ .

٣ — حوار حول الخمير

« ثم تركهم ودخل أيضاً السفينة ومضى إلى العبر ، ونسوا أن يأخذوا خبزاً ولم يكن معهم فى السفينة إلا رغيف واحد ، وأوصاهم قائلاً : أنظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين وخمير هيرودس » ع ١٣ — ١٥ .

أولاً : كشف لنا الإنجيلى عن شوق التلاميذ لتبعيته ، فمع أنهم جمعوا سبع سلال من الكسر لكنهم إذ رأوه يدخل السفينة نسوا أن يأخذوا معهم خبزاً ، إذ شغلهم السيد الرب عن الإهتمام حتى بالضروريات كالخبز . محبتهم للرب سحبت قلوبهم عن كل ما هو أرضى . لذلك يقول **القديس يوحنا سابا** : [من ذاق حلاوة ثمار شجرة الحياة ويريد أن يجرى نحو ثمار (محبة) العالم النتنة ؟ ![190]] ، كما يقول : [الذين لم يجربوا لذة محبة الله هم مساكين وتعساء ، فالله يعطى محبيه طيباً وبه يسكرهم ويلذذهم[191]] .

ثانياً : قال الإنجيلى « ولم يكن معهم فى السفينة إلا رغيف واحد » لكى يعلن أنه حتى التلاميذ لم يكونوا بعد قد إنفتحت أعينهم خلال معجزة إشباع الجموع ليدركوا أن فى وسطهم « خبز الحياة » يو ٦ : ٥١ الذى يشبع الكنيسة كلها ويهبها وحدانية الروح ، كقول الرسول : « فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا نشترك فى الخبز الواحد » ١ كو ١٠ : ١٧ . . . كان التلاميذ فى حاجة إلى تعاليم السيد المسيح لينزع عنهم خمير الفريسيين وخمير هيرودس فتنفتح أعينهم لمعاينة الرغيف الواحد السرى ، يسوع المسيح ربنا .

ثالثاً : إذ كان التلاميذ لا يزالون غير قادرين على إدراك مفهوم الطعام الروحى والتعرف على السيد المسيح خبز الحياة ، لذلك عندما سألهم أن يتحرزوا من خمير الفريسيين وخمير هيرودس ارتبكوا قدم لهم سبعة أسئلة تكشف عن جراحاتهم وتدخل بهم إلى الفهم الروحى ، بالرغم من أنه لم يقدم لهم الإجابة ، وهى :

أ ــ **لماذا تفكرون أن ليس عندكم خبز ؟ ع ١٧** . . . ليكشف أنه العارف بأفكارهم التى لم تكن بعد قادرة أن تنطلق فوق المادة .

ب ــ **ألا تشعرون بعد ولا تفهمون ؟ ع ١٧** . . . ليثيرهم للدخول إلى الأعماق وإدراك من هو الذى فى وسطهم ، وما هى غاية أعماله .

جـ ــ **أحتى الآن قلوبكم غليظة ؟ ع ١٧** . . . ليعلن عن حاجتهم الى تجديد القلب تماماً ليحمله فى داخله ويدرك أسرار ملكوته .

د ، هـ ــ **ألكم أعين ولا تبصرون ، ولكم آذان ولا تسمعون ؟ ع**

١٨. . . فانه يذكرهم بما قاله أرميا النبى عن الشعب قديماً : « الذين لهم أعين ولا يبصرون ، ولهم آذان ولا يسمعون » أر ٥ : ٢١ ، فاذا لهم الحواس الجسدية دون الروحية لا ينعمون بالإدراكات السماوية . وكأنه يدفعهم لطلب إمكانيات العهد الجديد للتمتع خلال الإنسان الجديد بالإدراكات السماوية .

و ، ز — ولا تذكرون ، حين كسرت الأرغفة الخمسة للخمسة الآلاف كم قفة مملؤة كسراً رفعتم ؟ قالوا إثنى عشرة . وحين السبعة للأربعة الآلاف كم سل كسر مملؤاً رفعتم ؟ قالوا سبعة . فقال لهم كيف لا تفهمون ؟ إنه يثيرهم لتذكار أعماله التى تمت بين أيديهم التى تعلن — خلال العهد القديم — أسرار ملكوت الله ، وتذكرهم بالرموز والنبوات التى تتحقق الآن قدامهم . وأيضا يسألهم أن يمعنوا النظر فى معجزتى إشباع الجموع ليفهموا أنه « خبز السماء » المشبع للنفوس .

رابعاً : يفسر لنا الإنجيليان متى (١٦ : ١٢) ، ولوقا (١٢ : ١) خمير الفريسيين والصدوقيين أنه رياؤهم ، إذ تتطلع اليهود إلى الخمير كرمز للقوة المفسدة (١ كو ٥ : ٦ — ٨ ، غلاه : ٩) ، أما خمير هيرودس فيعنى مكره ، إذ دعاه السيد المسيح ثعلباً . وقد إشترك الفريسيون مع هيرودس وأتباعه فى مقاومته للسيد المسيح تحت ستار الحق من أجل حفاظهم على مراكزهم الإجتماعية ومكاسبهم الظاهرة . . . وكأن السيد يحذر أتباعه من الرياء والمكر حتى يمكنهم إدراك الحق ببصيرة روحية سماوية .

سبق لنا الحديث عن خمير الرياء فى دراستنا لإنجيل متى[١٩٢] ، لذا أكتفى هنا بعرض مقتطفات **للقديس كيرلس الكبير** : [الرياء أمر مكروه لدى الله ، وممقوت من الناس ، لا يجلب مكافأة ، ولا يصلح قط فى خلاص النفس بل بالحرى يهلكها . إن كان أحد يهرب بالرياء لئلا يُكتشف أمره فإلى حين ، لكنه لا يدم طويلاً إذ ينفضح الأمر ويجلب له عاراً ، فيكون كالنساء قبيحات المنظر عندما تُنزع عنهن الزينة الخارجية القائمة على وسائل صناعية . الرياء إذن غريب عن القديسين ! ليس شيء يُقال أو يُعمل يختفى عن عينى اللاهوت ، إذ قيل : « ليس مكتوم لن يُستعلن ولا خفى لا يُعرف » لو ١٢ : ٢ . فإن كانت كلماتنا وأعمالنا تظهر فى يوم الدينونة يكون الرياء تعباً باطلاً . يليق بنا بالحرى أن نتزكى كعابدين حقيقيين

تخدم الله بملامح صادقةوصريحة[١٩٣]] .

٤ ـــ سؤال حول البصيرة

بعد أن أشبع الجموع بخمس خبزات وقليل من صغار السمك معلناً انه هو سرّ شبع الكنيسة الحقيقى ، يشبعها بسكناه فيها ، وبعمل وصيته داخلها ، وموهبة روحه القدوس ، نجده الآن يفتح عينى أعمى فى بيت صيدا ليؤكد أنه هو « سرّ الإستنارة الحقيقى » .

يقول الإنجيل : **وجاء إلى بيت صيدا ، فقدموا له أعمى وطلبوا إليه أن يلمسه ، فأخذ بيد الأعمى وأخرجه إلى خارج القرية وتفل فى عينيه ووضع يديه عليه وسأله هل أبصر شيئاً . فتطلع وقال : أبصر الناس كأشجار يمشون . ثم وضع يديه أيضا على عينيه ، وجعله يتطلع فعاد صحيحاً وأبصر كل إنسان جلياً ، فأرسله إلى بيته قائلاً : لا تدخل القرية ، ولا تقل لأحد فى القرية » ع ٢٢ ــ ٢٦ .**

أولا : عرفت بيت صيدا بعدم إيمانها حتى صارت ممثلة روحياً فى شخص هذا الأعمى ، الأمر الذى كشفه حديث السيد عنها : « ... ويل لك يا بيت صيدا ، لأنه لو صُنعت فى صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً فى المسوح والرماد » مت ١١ : ٢١ . هذا وأن « بيت صيدا » تعنى « بيت الوادى » ، فترمز للعالم وادى الدموع ، أصاب البشرية بالعمى الروحى وأفقدها الإستنارة الداخلية .

من هم الذين قدموا الأعمى إلا آباء وأنبياء العهد القديم الذين قدموا للسيد المسيح العالم وقد أصابه العمى ، قدموه خلال النبوات والرموز لينعم العالم به كمخلص ويقبل عمله فيه واهباً إياه روح الإستنارة . وقد اشترك مع رجال العهد القديم التلاميذ والرسل الذين كرزوا فى العالم الأممى وقدموه للسيد ليفتح بصيرته .

ثانياً : « فأخذ بيد الأعمى وأخرجه إلى خارج قريته » ع ٢٣ .

اذ يمسك السيد المسيح بأيدينا ، فان أول عمل يقوم به فى حياتنا هو أن ينطلق بنا إلى خارج قريتنا . يحملنا بصليبه إلى خارج « الأنا » فلا نحيا بعد لحساب ذواتنا

بل لحساب ذاك الذى أحبنا ومات لأجلنا ، نحيا بالصليب غير متقوقعين حول الذات بل ننطلق بالحب لنستقبل الله وخليقته فى أعماقنا بقلب متسع يضم الكل فيه . لعل هذا هو ما قصده الرسول بولس حين قال : « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ » غلا ٢ : ٢٠ ، وأيضا : « كما أنا أيضا أرضى الجميع فى كل شيء غير طالب مايوافق نفسى بل الكثيرين لكى يخلصوا » ١ كو ١٠ : ٣٣ .

ولعل خروج الأعمى بيد السيد المسيح إلى خارج قريته يمثل دعوة الهية لخروجنا معه إلى خارج أورشليم نحمل عار الصليب (عب ١٣ : ١٣) .

ثالثا : عند شفاء الأعمى إستخدم السيد التفل فى عينيه ووضع يديه عليه ، بالعمل الأول أشار إلى الحكمة الخارجة من فيه ، وبالثانى أشار إلى حاجته لليد الإلهية أو الإمكانيات الربانية للعمل ، وكأن إستنارة البصيرة الداخلية لا تقوم على الحكمة مجردة عن العمل ، ولا على العمل المجرد عن المعرفة أو الحكمة الإلهية . استنارتنا الداخلية تقوم على التمتع بالشركة العملية مع الله فى المسيح يسوع ، فننعم بمعرفته ونسلك بروحه . بمعنى آخر إيماننا ليس فكراً عقلانياً نعتنقه ولا سلوكاً أخلاقياً نمارسه إنما هو حياة متكاملة تنبعث عن الإيمان الحىّ العامل بالمحبة ، لا فصل فيها بين إيمان وأعمال !

رابعاً : سأله السيد المسيح إن كان يبصر شيئاً ، لا لكى يكشف للسيد عما يراه ، إذ يعرف الرب كل شيء إنما ليحثه على الإيمان ، كما سبق فسأل الله آدم : أين أنت ؟ لا ليعرف موضعه إنما ليحثه على التوبة .

من أجل ضعف إيمانه لم تكن رؤيته كاملة ، فإحتاج إلى سؤال الرب ليعينه ، وقد أجاب أنه يرى الناس كأشجار يمشون (ع ٢٤) . إنه يرى لكن ليس بروح التمييز ، لذلك وضع الرب يديه عليه مرة أخرى ووهبه هذه العطية ليرى كل انسان جلياً .

لعل رؤيته للناس كأشجار تعنى ما أصابه من إحباط ويأس ، فقد حسب الكل أشجاراً عالية تتحرك نحو السماء لتقدم ثمراً إلهياً أما هو ففى عينى نفسه يبدو عاجزاً فى وسطهم يحتاج إلى من يسنده ويملأه رجاءاً ، فيصير مغروساً فى بيت الرب ، شجرة زيتون خضراء مثمرة (مز ٥٢ : ٨) .

خامساً : إذ أبصر الناس جلياً أرسله إلى بيته ، وكأنه أراد له أن يعود فيتأمل قلبه ليكتشف في داخله ملكوت السموات . وكما يقول **القديس يوحنا سابا** : [طوبى لمن كنزه داخله ، ومن خارجه لا يتغذى ! طوبى لمن شمسه تشرق داخله ، ولا يدع الآخرين يبصرونها ! طوبى لمن سمعه مسدود عن نغمات اللهو ولكنه ينصت لسماع الحركات النورانية التي للسمائيين ! طوبى لمن استنشاقه عبير الروح القدس وتمتزج رائحة جسده بذلك ! طوبى لمن اصطبغت نفسه بحلاوة الله وأيضا عظامه إقتنت منه دسماً !(١٩١)] .

سادساً : أخيراً سأله السيد أن يصمت معلناً له أن ما فعله كان من أجل المحبة وليس عن حب للمديح أو طلب مجد من الناس .

٥ ـــ سؤال حول شخص المسيح

إن كان قد سأل الأعمى عما يراه ليحثه على طلب المزيد والتمتع باستنارة عينيه بصورة أكمل ، الآن في الطريق بين قرى قيصرية فيلبس سأل تلاميذه ليهبهم إستنارة إيمانية ليدركوا شخصه هو ، فينعموا به ، ويروه بعيني الإيمان المستنيرتين .

« سأل تلاميذه ، قائلاً لهم : من يقول الناس إني أنا ؟ فأجابوا : يوحنا المعمدان ، وآخرون إيليا ، وآخرون واحد من الأنبياء . فقال لهم : وأنتم من تقولون إني أنا ؟ فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح . فإنتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه » ع ٢٧ : ٣٠ .

لقد سألهم لكي يكشف لهم عن شخصه ويدفعهم للإعتراف به بعد إدراكهم له بإعلان إلهي ، فيمجدوه أكثر من العامة . يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [لقد قادهم إلى مشاعر أسمى وأفكار أعلى بخصوص شخصه حتى لا يكونوا كبقية الجموع(١٩٥)» . لذلك يعلق **القديس جيروم** على قول السيد « وأنتم من تقولون إني أنا » بقوله أن التلاميذ لم يعودوا بعد من الناس لكنهم صاروا به آلهة ، [كأنه يقول لهم أنهم كبشر قد فكروا في أمور بشرية وأنتم كآلهة من تقولون إني أنا ؟ !(١٩٦)] .

لقد رأينا في دراستنا للأصحاح السادس (١٤ ـــ ١٦) أن هيرودس قال عنه أنه يوحنا المعمدان خلال ضميره المعذب ، وآخرون قالوا أنه إيليا خلال شوقهم

لمجيء الملكوت المسياني كملكوت زمني مادى ، وآخرون قالوا أنه أحد الأنبياء بسبب مرارة أنفسهم لغياب الأنبياء عنهم ثلاثة قرون . . . جاءت هذه الأقوال خلال مشاعر بشرية بحتة ، أما بطرس فأدرك سره خلال إعلان إلهى ، قائلًا : « أنت هو المسيح إبن الله الحىّ » مت ١٦ : ١٦ ، ١٧ .

فيما يلى مقتطفات من تعليق **القديس أمبروسيوس** عن هذا الموقف :

[يمكننا إعتبار شهادة الجموع له بلا نفع ، فقد ظنه البعض إيليا قد قام مؤمنين بمجيئه ، وآخرون آمنوا بقيامة يوحنا عالمين أن رأسه قد قطعت ، وآخرون أنه واحد من الأنبياء القدامى .

البحث فى ذلك (أى فى شخص المسيح) أمر يفوق قدرتنا ، لكنه يتناسب مع فكر شخص كبولس وحكمته ، هذا الذى يكفيه أن يعرف المسيح وإياه مصلوباً (١ كو ٢ : ٢) ، لأنه أية معرفة يشتاق إليها أكثر من أنه المسيح ؟ ففى هذا الإسم « المسيح » يتجلى اللاهوت ويُعلن التجسد وأيضا الآلام .

لقد عرفه بقية التلاميذ ، لكن بطرس وحده قال : « مسيح الله » لو ٩ : ٢٠ ، إذ يشمل هذا الإسم كل شىء ، ويعّبر عن طبيعته ، ويحوى كل الفضائل .

هل نثير تساؤلات حول كيفية ميلاد الرب بينما يقول بولس أنه لا يعرف شيئاً إلا المسيح وإياه مصلوباً ، ويعترف بطرس أنه مسيح الله ؟ ! نحن بعيون الضعف البشرى نبحث هكذا : متى وكيف وماهى عظمته ، أما بولس فيرى فى هذه التساؤلات هدماً لا بناء ، لذا لا يريد أن يعرف إلا يسوع المسيح .

عرف بطرس أن فى « ابن الله » يكمن كل شىء ، فقد دفع الآب كل شىء فى يده (يو ٣ : ٣٥) . . . لذا فيه الأزلية والعظمة التى للآب .

إنى قبلت الإيمان بأنه المسيح ابن الله (مت ١٦ : ١٦) فلا يجوز لى أن أعرف كيف وُلد ، لكن لا يجوز لى أيضاً أن أجهل حقيقة ميلاده .

لتؤمن إذن كما آمن بطرس فتطوّب أنت أيضاً وتتأهل لسماع الكلمات : « إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات » مت ١٦ : ١٧ . فاللحم والدم لا يقبلان إلا الأرضيات ، أما من ينطق بأسرار الروح فلا يعتمد على تعاليم

اللحم والدم بل على الإعلان الإلهى .

ليتك لاتعتمد على اللحم والدم لتأخذ منهما أوامرك فتصير أنت نفسك لحماً ودماً ، وإنما من يلتصق بالرب يكون معه روحاً واحداً (١ كو ٦ : ١٧) . يقول الله : لا يدين روحى فى الجسد بعد لأن كل تصورات قلبه شريرة (تك ٦ : ٣) .

ليسمح الرب ألا يكون السامعون لحماً ودماً ، بل يكونوا متغربين عن شهوة اللحم والدم ، فيردد كل واحد منهم : « لا أخاف ، ماذا يصنعه بى الإنسان (اى اللحم والدم) ؟] « مز ٥٦ : ٥ .

من يغلب الجسد يصير من أعمدة الكنيسة ؛ إن لم يستطع أن يبلغ إلى بطرس فانه يتمثل به ويتمتع بعطايا الله إذ هى كثيرة ، يرد لنا لا ماتركناه بل ماهو له .

يحق لنا أن نتساءل : لماذا لم ير فيه الجموع إلا إيليا أو أرميا أو يوحنا المعمدان ؟

ربما رأت فيه إيليا لأنه أختطف إلى السماء ؛ لكن المسيح ليس كإيليا إذ لم يختطف إليها بل جاء منها . الأول أختطف إلى السماء ، أما الثانى فلا يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله (فى ٢ : ٦) . الأول انتقم بالنار التى طلبها (١ مل ١٨ : ٣٨) والثانى أحب خلاص المسيئين إليه لا هلاكهم .

لماذا إعتقدوا أنه أرميا ؟ ربما لأنه تقدس من الرحم (أر ١ : ٤) ، لكن المسيح ليس كأرميا . الأول تقدس أما الثانى فهو يقّدس ، الأول بدأ بميلاده أما الثانى فهو قدوس القديسين .

لماذا ظنه الشعب يوحنا ؟ ربما لأن يوحنا عرف الرب وهو فى بطن أمه ، لكن المسيح ليس يوحنا . يوحنا سجد وهو بعد فى الرحم ، والثانى هو المسجود له . الأول عمّد بالماء وأما المسيح فبالروح . الأول نادى بالتوبة والثانى غفر الخطايا[١٩٧] .

أخيرا فقد « انتهرهم كى لا يقولوا لأحد عنه » ع ٣٠ ، أما علة إنتهاره لهم ، فهو لكى يتم المكتوب عنه ويتحقق صلبه ، فلو عرفوا رب المجد لما صلبوه » . ويقدم لنا القديس أمبروسيوس تعليلاً آخر وهو أنه أراد الكرازة به بكونه المسيح بعد صلبه وقيامته ، فيعرفوه المسيح المصلوب عنهم القائم من الأموات ، إذ يقول : [منع

التلاميذ من الكرازة به كإبن الله ليبشروا به بعد ذلك مصلوباً . هذه هى روعة الايمان أن نفهم حقيقة صليب المسيح ! . . . فصليب المسيح وحده نافع لى ، لأن « به صلب العالم لى وأنا للعالم » غل ٦ : ١٤ . إن كان العالم قد صلب لى فأعرف أنه قد مات فلا أحبه ، أعرف الفساد الذى يسرى فى العالم فأتجنبه كرائحة نتنة ، أهرب منه كما من الطاعون وأخرج منه قبل أن يؤذينى(١٩٨)] .

٦ ــ إعلانه عن الصليب

يرى بعض الدارسين أن إنجيل معلمنا مرقس يمكن تقسيمه إلى جزئين رئيسيين متكاملين ، القسم الأول يبدأ بالسفر حتى ماقبل سؤال السيد المسيح تلاميذه عما يقول الناس عنه ، والثانى يبدأ بهذا السؤال حتى نهاية السفر . القسم الأول يعلن عن شخص السيد المسيح العامل والمعلم الذى يخدم البشرية بالحب والحنان وقد رافقه ظل الصليب ، أما القسم الثانى فتبدأ المرحلة العملية لحمل الصليب ، يبدأها بالكشف عن ذاته بالقدر الذى يسندهم حتى يتم الصليب فيتمجد بحبه العملى وعندئذ يكشف لهم بهاء مجده خلال قيامته وظهوراته وصعوده خاصة بإرسال روحه القدوس الذى يخبرهم بكل شيء .

الحديث السابق ، حديث خاص بين السيد وتلاميذه كان مقدمة لإعلان صليبه ، إذ يقول الإنجيل :

« وإبتدأ يعلمهم أن إبن الانسان ينبغى أن يتألم كثيراً ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل ، وبعد ثلاثة أيام يقوم . وقال القول علانية ، فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره . فإلتفت وأبصر تلاميذه ، فانتهر بطرس قائلاً : إذهب عنى يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس » ع ٣١ : ٣٣ .

إن كان بطرس الرسول إستطاع بإعلان إلهى أن يتعرف على « يسوع » أنه المسيح ، وهو فى الطريق فى قرى قيصرية فيلبس (ع ٢٧) حيث مركز عبادة البعل والعبادات الوثنية الإغريقية مع السلطة الرومانية . . . لكن مع هذا لم يكن ممكناً لبطرس أن يتفهم المسيح كفادٍ يُصلب عن البشرية ويقوم ليقيمها معه ، إذ كان الفكر اليهودى يرفض هذا تماماً ، لهذا أسرع السيد المسيح يصحح المفهوم .

يمكننا تلخيص الإعتقاد اليهودى بخصوص مجىء المسيا فى النقاط التالية :

أ . يسبق مجىء المسيح حلول ضيقة شديدة على العالم يسبب له خراباً كما تحل الحروب فى العالم والإضطرابات وسفك للدماء . . . هذه كلها أشبه بالمخاض الذى يحل بالمرأة عندما تلد طفلاً .

ب . وسط هذا الخراب الذى يمس حياة الإنسان والحيوان والطير حتى الأسماك يظهر إيليا النبى ليهيىء الطريق للمسيح . ويعتبر مجىء إيليا أمراً أساسياً ، حتى ان اليهود فى إحتفالهم للفصح كانوا يتركون كرسياً خالياً يسمونه « كرسى إيليا » ، اذ يتوقعون دخوله فى أحد أعياد الفصح فجأة .

ج . يظهر المسيا نفسه ، ليس مولوداً من بشر ، لكنه يأتى رجلاً جباراً يقدم من السماء فى كمال الرجولة والنضوج ليخلص شعبه .

د . بمجيئه يهيج الملوك ضده ويقومون بثورة عليه ، ويدبرون حرباً ينهزمون فيها ويظهر فيها المسيح كأعظم غالب فى البشرية يبيد أعدائه .

هـ . إذ تُعلن غلبته على الأمم يقوم بتجديد أورشليم وتطهيرها ، أو تنزل أورشليم جديدة بأعمدة جديدة ؛ فيها يجتمع اليهود من كل العالم كسادة للبشرية ، إذ تنحنى البقية الباقية من الأمم لهم فى مذلة ، ويعيش اليهود بفرح شديد ، حتى أن موتاهم يقومون ليشاركوهم هذا الفرح الجديد . بهذا يرى اليهود بفكرهم المادى المتعصب أنه يحل السلام والبر الأبديان فى العالم .

هذا الفكر اليهودى لن يقبل مطلقاً سرّ الصليب ولا إنفتاح باب الإيمان للأمم . . . لهذا إنتهر بطرس سيده عندما تحدث عن الألم والصليب .

يعلق **القديس أمبروسيوس** على كلمات السيد المسيح لتلاميذه بخصوص آلامه وصلبه وقيامته ، قائلاً : [لقد عرف مقدار الجهد الذى يحتاج إليه التلاميذ ليؤمنوا بآلامه وقيامته ، لذلك استحسن أن يقوم بنفسه بتأكيد آلامه وقيامته لهم ليكون ذلك بداية وسبباً لميلاد الإيمان فيهم(١٩٩)] .

ويلاحظ هنا أن الانجيلى يخبرنا بأن السيد علّم تلاميذه إلتزامه أن يتألم كثيراً ويرفض ويقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم ، لكنه لم يقل لنا تفاصيل الحديث ، كيف أكدّ لهم السيد الحاجة إلى الألم والصلب والقيامة . . . هل حدثهم عن رموز العهد

القديم ونبواته أم قدم لهم الفهم اللاهوتي لعمله الخلاصي ؟ !

على أى الأحوال كشف لهم السيد المسيح أنه لم يكن ممكناً أن يتحقق الصلاح بموت أحد إلا إبن الانسان ، القادر أن يقتل الموت نفسه ويقوم . يقول **القديس أمبروسيوس** : [لم يبلغ أحد إلى العظمة التى تؤهله لرفع خطايا العالم كله ، لا أخنوخ ولا إبراهيم ولا إسحق الذى قدم نفسه للموت لكنه لا يقدر أن يغفر الخطايا . من هو ذاك الذى بموته تموت كل الخطايا ؟ ! لا يمكن لأحد من الشعب ولا من القيادات أن يقوم بهذا ، إنما إختار الآب الإبن ، إبن الله الذى هو فوق الجميع ، أن يقدم نفسه عن الجميع . وكان هو نفسه يجب أن يموت إذ هو أقوى من الموت وقادر أن يخلص الآخرين الذى قام من بين الأموات بلا عون ، غلب الموت دون مساندة من إنسان أو خليقة ، قام غالباً الموت نازعاً عبودية الشهوات إذ لم يعرف قيود الموت] .

٧ — إعلانه عن شركة الصليب

إنتهر السيد المسيح بطرس لأنه لم يقبل صلب السيد ، بل ودعاه هو وإخوته لشركة الصليب معه ، إذ قال لهم : « **من أراد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى . فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكه ، ومن يهلك نفسه من أجلى ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها . لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ ! أو ماذا يعطى الانسان فداءً عن نفسه ؟ ! لأن من إستحى بى وبكلامى فى هذا الجيل الفاسق الخاطىء فإن إبن الانسان يستحى به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين** » ع ٣٤ — ٣٨ .

أولا : سألهم أن يحملوا معه الصليب بانكار ذواتهم . . . وإنكار الذات إنما يعنى ان لا يتعاطف الانسان مع ذاته ، فلا يرتبك لمستقبله ولا يخشى المرض أو الضيق أو الموت ، إنما يكون جاحداً لنفسه عنيفاً مع الأنا ، غير مترف فى ملذات جسده . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** [لم يقل « يحتزل الإنسان ذاته » بل ما هو أكثر « ينكر ذاته » ، كما لو كان ليس هناك ما يربطه بذاته ، فانه يواجه الخطر ويتطلع إليه

كما لو أن الذى يواجهه آخر غيره ، هذا بالحقيقة هو اعتزال الإنسان ذاته . . . أما إنكار الانسان ذاته فقد أظهره بقوله « يحمل صليبه » ، ويعنى به أنه يقبل حتى الموت المشين] .

إننا ننكر أنفسنا متى تجنبنا ما هو قديم فينا مجاهدين لننال على الدوام ما هو جديد حتى نبلغ إلى قياس قامة ملء المسيح (أف ٤ : ١٣) .

يقول **القديس أغسطينوس** : [إن كان الإنسان يحبه لذاته يصير مفقوداً ، فبالتأكيد بإنكاره ذاته يوجد ! . . . ليسحب الإنسان من ذاته لا لأمور زمنية وإنما لكى يلتصق بالله[٢٠٠]] .

ثانياً : إذ حث تلاميذه على إنكار الذات وحمل الصليب قدم لهم المكافأة ، فمن يعترف به بحياته وحمله الصليب يتقبل عند مجىء السيد المسيح الأخير شركة أمجاده ، أما من يستحى بصليبه هنا ويرفض وصيته فى هذا العالم فسيستحى منه إبن الإنسان فى يوم مجده العظيم ، ويحسبه كمن هو غير معروف لديه ، وكما يقول القديس جيروم : [الله لا يعرف الشرير ، إنما يعرف البار[٢٠١]] .

وقد قال السيد المسيح فى وصفه لمجيئه الأخير : « **متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين** » ، وكما يقول **القديس أمبروسيوس** : [ليظهر أن عظمة الآب ومجده هما ذات عظمة الإبن ومجده . . . تأتى الملائكة فى خضوع أما هو فيأتى ممجداً ! هم يأتون كتابعين أما هو فيجلس على عرشه ! هم يقفون وهو يجلس ! إن إستعرنا لغة المعاملات اليومية من الحياة البشرية نقول أنه القاضى وهم العاملون فى المحكمة] .

+ + +

الإصحاح التاسع

الملكوت العملى

إذ يقدم لنا الإنجيلى مرقس شخص المسيح كخادم عامل لحساب البشرية ، فإنه إذ يقترب من أحداث الصليب يكشف لنا عن ملكوته العملى الذى لأجله يعمل لينعم به على مؤمنيه :

١ ــ الوعد برؤية ملكوت الله ١.

٢ ــ الملكوت والتجلى ٢ ــ ١٣.

٣ ــ الملكوت ومقاومة إبليس ١٤ ــ ٢٩.

٤ ــ الملكوت والصليب ٣٠ ــ ٣٢.

٥ ــ الملكوت والإتضاع ٣٣ ــ ٣٧.

٦ ــ الملكوت وإتساع القلب ٣٨ ــ ٥٠.

+ + +

١ ــ الوعد برؤية ملكوت الله

«وقال لهم : الحق أقول لكم أن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة » ع ١ .

جاء هذا الوعد كتتمة لحديث السيد المسيح عن حمل الصليب وإهتمام الانسان بخلاص نفسه والتمتع بمجد ملكوت الله عند مجيء إبن الانسان . . . والآن يتساءل

البعض : كيف تحقق هذا الوعد ؟ هل وُجد من معاصرى السيد المسيح من لم يذق الموت حتى يرى ملكوت الله آتيا بقوة ؟

أولا : يرى البعض أن هذا الوعد قد تحقق بتمتع ثلاثة من التلاميذ بتجلى السيد المسيح ، خاصة وأن الحديث عن التجلى جاء بعد الوعد مباشرة . فالتجلى فى حقيقته هو تمتع بمجد السيد المسيح وبهائه الإلهى بالقدر الذى إحتمل التلاميذ رؤيته . يقول **القديس أمبروسيوس** : [عاين بطرس ويوحنا ويعقوب مجد القيامة فلم يعرفوا الموت(٢٠٢)] .

ثانياً : يرى البعض أن « ملكوت الله » الذى أتى بقوة إنما الكرازة بالانجيل وسط الأمم ، فقد دعيت كنيسة العهد الجديد « ملكوت الله » . وقد شاهد بعض التلاميذ هذا المجد العظيم وهم بعد فى الجسد ، إذ تمتعوا بيوم الخمسين حين حَل الروح القدس فى العلية ، ونظروا الهيكل القديم قد تحطم بينما انطلقت الكرازة إلى كثير من عواصم العالم الوثنى . . . رأوا ملكوت الله معلناً فى حياة الناس ضد مجد العالم الزائل .

ثالثاً : يرى آخرون أن هذا الوعد الإلهى قائم على الدوام يتمتع به المؤمنون فى كل جيل حين تدخل نفوسهم إلى بهاء مجد الله الداخلى ، ويُعلن الملكوت فيهم دون أن يذوقوا موت الخطية أو يغلبهم إبليس (الموت) . يقول **القديس يوحنا سابا** : [طوبى للنفس التى جمعت نفسها من الطياشة الخارجة عنها ، ودخلت داخلها ونظرت ربنا وهو متكىء على كرسيه الذى هو العقل ، وقبلت منه وصية جديدة أعنى الحب الروحى الذى هو كمال الناموس(٢٠٣)] .

يقدم لنا **القديس أمبروسيوس** ذات المعنى حين يعلن أن الإنسان فى ضعفه يحتاج لا أن يتمتع بوعد أبدى فحسب وإنما يذوق عربون هذا الوعد هنا فى الحياة الحاضرة . فما وعد به السيد هنا إنما يقدمه لكل انسان يكون قائماً معه أى يتمتع بحضرة الرب والشركة معه ، فلا يذوق موت الروح بل ينعم بقوة الملكوت الإلهى فى حياته الحاضرة هنا كعربون للملكوت الأبدى ، فمن كلماته :

[بينما يرتفع الرب بالروح يشير إليها بمكافأة الفضيلة ، وبينما يلوح لنا عن الفائدة

التى نجنيها من إحتقار أمور هذا العالم يؤازر ضعفنا البشرى بتقديم مكافأة حتى فى هذه الحياة .

بالتأكيد شاق عليك جداً أن تحمل الصليب وتعرض حياتك للأخطار وجسدك للموت وتتخلى عن ذاتك لتنال ما لا تملكه هنا . صعب على البشر أن يعيشوا على الرجاء وحده ، فيتعرضوا للمخاطر من أجل التطلع إلى بركات الحياة المقبلة ، متخلين عن الخيرات الحاضرة ، لذلك إذ لم يشأ الرب الحنون الطيب أن يسقط أحد تحت نير اليأس أو القلق . . . يسند الضعف بالخيرات الحاضرة ، ويسند القوة بالخيرات المقبلة . . . (بمعنى يعيننا هنا بعربون الملكوت الداخلى ، ويكافئنا فى الابدية بكمال مجد الملكوت) .

إن كنا نريد ألا نهاب الموت فلنقف حيث المسيح ليقول لنا نحن أيضاً : الحق أقول لكم أن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت . . . فمن نالوا الشركة مع المسيح لا يذوقون الموت . سيموت الجسد لكن تبقى الروح حية .

ما معنى يذوق الموت ؟ يوجد أناس يذوقون خبز الدموع (مز ١٢٦ : ٢) وآخرون يأكلون من سموم التنين ، أما نحن فلنا الخبز الحقيقى الذى نزل من السماء (يو ١٦ : ٥١) . من يحفظ كلام الله لا يذوق هذا الخبز (الموت) ! . . .

من هو الإنسان الذى لا يذوق الموت إن كانت لا قيامة إلا بعد الموت ؟ . . . يوجد أناس اموات وهم يعيشون هنا ، كما يوجد أحياء حتى وإن ماتوا ، إذ قيل « وان مات يتكلم بعد » ١ فى ٥ : ٦ . كما قيل : ليبتلعهم الموت ولينحدروا إلى الهاوية (مز ٥٥ : ١٦) . الذين ينحدرون أحياء فى الهاوية هم الخطاة الذين تحدرهم الخطية إلى الهاوية ، أما الأحياء الذين لا تنتهى حياتهم: « إله إسحق وإله يعقوب ، ليس الله إله أموات بل إله أحياء » مت ٢٢ : ٣٢ . لم يمت بطرس إذ أبواب الجحيم لن تقوى عليه ، ولا مات يعقوب ويوحنا إبنا الرعد اللذان عاينا المجد الأسنى فلم تستطع أمور هذا العالم أن تخضعهما بل سحقاها تحت أقدامهما . لتكن أنت أيضا كبطرس الخادم الأمين المسالم فتفتح أبواب الكنيسة وتهرب من أبواب الموت . كن كابنى الرعد ، كيف ؟ عندما لا تتأمل الأرضيات بل تسند رأسك على صدر

المسيح ، عندما لا تتأثر بأمور هذه الحياة بل بالعكس تسيطر عليها بقوة الروح التى لك . لتتزلزل الأرض أمامك ولا تمسك بك . لتسيطر على الجسد بقوة الروح ، فتقمعه وتستعبده . ستكون إبن الرعد إن كنت إبن الكنيسة ، يقول لك المسيح من فوق خشبة الصليب : « هوذا أمك »[٢٠٤]] .

٢ ـــ الملكوت والتجلى

إذ وعد السيد المسيح تلاميذه أن بعضاً من القيام معه يعاينوا ملكوت الله آتياً بقوة لم يحدد أسماء الذين يتمتعون بهذه الرؤيا ، حتى لا يثير الحسد أو الغيرة بينهم . والآن نراه يأخذ بطرس ويعقوب ويوحنا ويصعد بهم إلى جبل عالٍ منفردين وحدهم (ع ٢) ليعلن لهم بهاء لاهوته . . . وقد سبق لنا الحديث بشىء من الإفاضة عن أحداث التجلى مع تعليقات كثير من الآباء ، وذلك أثناء دراستنا لإنجيل معلمنا متى (١٧ : ١ ـــ ٨) ، والآن أكتفى ببعض تعليقات بسيطة ومختصرة :

أولا : يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن ما كتبه الإنجيليون عن التجلى إنما قدر ما تستطيع اللغة أن تعبر ، إذ كان المنظر أعظم من أن تسجله ألفاظ بشرية ، إذ يقول : [لو أنه أضاء كالشمس لما سقط التلاميذ ، إذ هم يرون الشمس كل يوم ولا يسقطون ، لكنه أضاء بأكثر بهاء من الشمس . . . فلم يحتملوا بهاءه لذلك سقطوا على الأرض[٢٠٥]] .

ثانياً : يقول الإنجيلى : **« وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم إلى جبل عالٍ منفردين وحدهم »** ع ٢ . سبق فرأينا أن إنقضاء هذه الأيام الستة قبل التمتع بالتجلى تشير إلى كمال جهادنا على الأرض لننال كمال المكافأة بالدخول إلى شركة المجد الالهى[٢٠٦] . ويرى **القديس أمبروسيوس** أن هذه الأيام الستة تشير إلى ستة آلاف سنة لنعبر إلى القيامة العامة ، بينما يرى **العلامة أوريجانوس** **فى هذه الأيام الستة تشير إلى راحتنا الحقيقية فى الرب بعبورنا ستة أيام الخليقة ودخولنا الى اليوم السابع أو السبت الروحى .**

ما أجمل كلمات القديس أمبروسيوس وهو يدعونا للتمتع بالتجلى الداخلى : **[من يرتفع فوق العالم ، فوق أزمنة الدهر ، ويثبت فى الأعالى يتطلع إلى ثمار**

الأبدية التى للقيامة العتيدة . إذن فلنتخطى أعمال الحياة حتى نستطيع أن نرى الله وجهاً لوجه[٢٠٧]] .

أما هؤلاء الثلاثة الذين تمتعوا بمحبة الرب والإرتفاع معه على جبل عالي للتمتع ببهائه فهم بطرس ويعقوب ويوحنا ، وكما سبق فقلنا يشيرون إلى الإيمان العامل بالمحبة ، بدون الإيمان الحى العامل بالمحبة لن تستطيع معاينة مجده . وقد لاحظ القديس أمبروسيوس أن هذه العطية قدمت لهم بعد الحديث الشخصى الذى تم بين السيد وتلاميذه ، فاعترفوا على لسان بطرس الرسول أنه المسيح ، وكأن هذا التجلى جاء مكافأة لهذا الاعتراف . يقول القديس أمبروسيوس : [سيتمتع ببركات القيامة هؤلاء الذين سبقوا فاعترفوا بالمسيح ، فلا يقوم الأشرار فى مجمع الصديقين (مز ١ : ٥) بل يعاقبون بالدينونة التى سقطوا تحتها[٢٠٨]] . ويرى ذات القديس أن اختيار ثلاثة هو إنفتاح لباب مراحم الله والتمتع بأمجاده للجنس البشرى دون تمييز بين يهودى وأممى ، إذ يمثل الثلاثة أبناء نوح الثلاثة الذين جاء الجنس البشرى كله من نسلهم . هذا الفكر أيضا نادى به القديس هيلارى أسقف بواتييه .

ويرى القديس أمبروسيوس فى إختيار ثلاثة من تلاميذه إشارة إلى الحاجة للإيمان بالثالوث القدوس ، اذ يقول : [لا يستطيع أحد أن يعاين مجد القيامة إن لم يؤمن بسر التثليث بإيمان ثابت صادق] . ولعل إختيار ثلاثة تلاميذ يشير إلى حاجتنا إلى الحياة المقامة فى المسيح يسوع القائم فى اليوم الثالث ، بهذه الحياة الجديدة نرتفع على جبل تابور لنعلوا فوق الموت متمتعين ببهاء القيامة العاملة فى داخلنا .

ثالثاً : فى نص منسوب **للقديس يوحنا الذهبى الفم** قيل أن ملامح السيد المسيح عند تجليه بقيت كما هى لكن أُعلن بهاء مجده . لقد بقى السيد المسيح بجسده ، لكن الجسد حمل طبيعة جديدة مملوءة بهاءً ومجداً ، هكذا نحن أيضا فى القيامة العامة نحمل ذات الجسد الذى شاركنا جهادنا ، له ذات الملامح لكنه يتسم بسمة المجد الفائق الذى يهبه له الله ليناسب الحياة السمائية الأبدية .

رابعاً : ماذا يعنى بقوله : « **وتغيرت هيئته قدامهم** » ع ٢ إلا أن المجد الذى أُعلن بتجليه ليس بالأمر الجديد عليه ولا سمة خارجية قُدمت له ، إنما هو مجرد إعلان لمجد خفى فيه ظهر فى هذه اللحظات قدامهم . . . وكأن التغير أمر لا يخص طبيعة

السيد إنما يخص أعين التلاميذ التى انفتحت لتعاين ما تستطيع معاينته .

ما أحوجنا أن ننفرد بالسيد المسيح فى أعماقنا الداخلية ليفتح عن عيوننا الروحية ونرى ذاك المصلوب الذى قيل عنه : « كعرق من أرض يابسة لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه » إش ٥٣ :٢ انه أبرع جمالاً من بنى البشر (مز ٤٥) . هذا الذى قيل عنه « محتقر ومخذول من الناس » إش ٥٣ : ٣ مشتهى كل الأمم (حج ٢ : ٧) . فى هذا يقول **القديس أمبروسيوس** : [تحمل كافة هذه الأمور فى طياتها أسراراً ومعانٍ صحيحة ، فإنه حسب قدرتك يصغر الكلمة أو يكبر بالنسبة لك ، فإن لم تصعد إلى القمة بحذر فائق لن يُعلن لك « الحكمة » ولا تنكشف أمامك معرفة الأسرار ولا تظهر لك أمجاد كلمة الله وجماله ، إنما يظهر لك كلمة الله كما فى الجسد لا منظر له ولا جمال (إش ٥٣ : ٢) يظهر لك كانسان أضناه الألم ، يحتمله لأجل ضعفنا . يظهر لك مثل كلمة غلفتها ملابس الحرف ولا ترقى إلى قوة الروح[٢٠٩]] .

خامساً : يقول الإنجيل : « وصارت ثيابه تلمع بيضاء جداً كالثلج لا يقدر قصّار على الأرض أن يبيض مثل ذلك » ع ٣ .

ما هذه الثياب التى تلتصق بالسيد فتلمع ببهاء إلا كنيسته كما يقول **القديس أغسطينوس**[٢١٠] . هذه هى سمة المؤمنين الحقيقيين ، البهاء الفائق ، إذ يقول **البابا غريغوريوس (الكبير)** : [لأن فى علو بهاء السموات العليا ، الذين يضيئون بحياة البر يلتصقون به ، إذ قصد بثيابه الأبرار الذين يجعلهم ملاصقين له[٢١١]] .

يقدم لنا **القديس أمبروسيوس** تفسيراً آخر لهذه الثياب البهية ، إذ يقول : [ربما كانت ثياب الكلمة هى العظات عن الكتب المقدسة ، فهى بمثابة رداء الفكر الإلهى . فكما ظهر لبطرس ويعقوب ويوحنا بمظهر مختلف وكانت ثيابه تلمع بيضاء ، هكذا تتضح الآن أمامك معانى الكتب الإلهية وتصبح الكلمة الإلهية كالثلج لا يقدر قصار على الأرض أن يبيض مثل ذلك[٢١٢]] . كأنه إذ ترتفع أفكارنا مع ربنا يسوع المسيح لنوجد معه ، ويعلن حلوله فينا تتجلى كلماته فينا ببهاء سماوى لا يعبر عنه . هذا البهاء ليس من صنع قصّار على الأرض إنما من صنع القصّار السماوى ، أى

الروح القدس غافر الخطية ، الذى يغسلنا بدم الإبن الوحيد فنبيض أكثر من الثلج (مز ٥٠) .

سادساً : **كان ظهور موسى وإيليا معه يحمل معان كثيرة سبق لنا عرضها**[٢١٣] .
يقدم لنا **القديس يوحنا الذهبى الفم**[٢١٤] تعليلاً لظهورهما وهو إذ قالت الجموع عنه أنه إيليا أو واحد من الأنبياء أراد أن يظهر موسى النبى وإيليا معه أمام التلاميذ ليدركوا الفارق بينه وبين خدامه . أيضا إذ أُتهم ككاسر للناموس ومجدف ينتحل مجد الآب أحضر موسى مستلم الناموس وإيليا الغيور على مجد الله ليعلن إفتراء المتهمين له .

لعله أيضا أراد بظهورهما قبل الصلب أن يعلن لتلاميذه أنه يجب ألا يخافوا من الصليب فقد قبله بإرادته وإلا ما تمت أحداثه . . . فانه أعظم من موسى الذى أنقذ الشعب من يد فرعون ، ومن إيليا الذى أرسل ناراً من السماء أحرقت قائدى الخمسين ورجالهما .

سابعاً : إشتهى بطرس أن يقيم ثلاثة مظال مادية للحماية ، فجاءت سحابة صغيرة تظللهم ، ليدرك أنه فى القيامة لا نحتاج إلى مظال مصنوعة بأيد بشرية ولا إلى منازل مادية وإنما يظللنا مجد الله نفسه الذى لا يسبب ظلالاً مظلمة بل بالعكس يهب بهاءً ومجداً . يقول **القديس أمبروسيوس** [مصدر هذا الظل روح الله الذى لا يظلم قلوب البشر بل يكشف لها عن الخفيات . هذا ما نجده فى موضع آخر حيث يقول الملاك : « وقوة العلى تظللك » . . . لم توجد السحابة بسبب رطوبة الجبال المدخنة (مز ١٠٣ : ٣٢) ولا بخار الهواء المتكثف ، ولا غطت السماء بظلمة مرهبة وإنما كانت سحابة نيرة لا تبللنا بالأمطار والسيول ولا تغمرنا بطوفان وإنما نداها الذى يرسله كلمة الله يغمر قلوب البشر بالإيمان[٢١٥]] .

ثامناً : « **فجاء صوت من السحابة قائلاً : هذا هو إبنى الحبيب ، له اسمعوا . فنظروا حولهم بغتة ولم يروا أحداً غير يسوع وحده معهم** » ع ٧ ، ٨ .

ماذا يريد صوت الآب : « هذا هو إبنى الحبيب ، له اسمعوا » إلا أن نقبل كلمة الله المتجسد فى حياتنا ، نسمع له ، ونثبت فيه فنصير نحن أنفسنا ابناء الآب المحبوبين له . . . غاية الآب أن يرانا ممجدين فى إبنه ، وكما يقول **القديس**

أمبروسيوس : [إذ نعاين مجد الله بوجوه مكشوفة نتغير نحن أنفسنا إلى تلك الصورة عينها (٢ كو ٣ : ٨)[٢١٦]] .

وللقديس **أمبروسيوس** أيضا تعليق جميل على العبارة الإنجيلية التى بين أيدينا ، إذ يقول : [لما كان الصوت وُجد يسوع وحده فبعد أن كانوا ثلاثة وُجد يسوع وحده . رأوا فى البداية ثلاثة أما فى النهاية فرأوا واحداً . بالإيمان الكامل يصير الكل واحداً كما طلب يسوع من الآب : « ليكون الجميع واحداً » يو ١٧ : ٢١ . ليس موسى وإيليا وحدهما واحداً فى المسيح وإنما نحن أيضا واحد فى جسد المسيح الواحد (رو ١٢ : ٥) . . . ولعل هذا أيضا يشير إلى أن الناموس (موسى) والأنبياء (إيليا) مصدرهما الكلمة . . . لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن (رو ١٠ : ٤)[٢١٧]] .

إذن غاية التجلى أن يلتقى المؤمنون جميعاً كأعضاء فى الجسد الواحد خلال الثبوت فى المسيح والتمتع بالعضوية فى جسده الواحد ، فنحسب بحق أبناء الله المحبوبين والممجدين فيه .

تاسعاً : « وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم أن لا يحدثوا أحداً بما أبصروا إلا متى قام إبن الانسان من الأموات » ع ٩ . يعلل **القديس هيلارى أسقف بواتييه** هذه الوصية الإلهية بقوله : [أمرهم فيما يخص ما رأوه حتى يمتلئوا بالروح القدس ويشهدوا للروحيات] . هذه الوصية بلا شك أربكتهم ، فقد عرفوا أنه المسيح وشهدوا له بذلك ، وبحسب الفكر اليهودى المسيح لا يموت ، فماذا عنى بقوله : « متى قام إبن الانسان من الأموات » ؟

لم يشكوا فى أنه المسيح لكنهم بدأوا يتشككون فيما تسلموه عن الكتبة والفريسيين بخصوص المسيح ، لهذا سألوا : **« لماذا يقول الكتبة أن إيليا ينبغى أن يأتى أولا ؟ » ع ١١** . لعلهم بهذا السؤال يعبرون عن الفكر اليهودى إذ كان مشغولاً بإيليا كمهيىء للطريق للمسيح الذى لا يموت . كانوا يعتقدون أن إيليا لا يزال يعمل لأجل إسرائيل فى السماء وأنه يظهر قبل مجيء المسيح بثلاثة أيام ، فى اليوم الأول يقف على أحد الجبال العالية ويرفع مرثاة على الأرض الخراب ويعلن أن سلاماً يحل بالأرض ، وفى اليوم الثانى يعلن أن خيراً يحل بها ، وفى اليوم الثالث أن خلاصاً يحل بها ، عندئذ

يأتى المسيح ليخلص اسرائيل . . . فلا مجال للموت ولا للقيامة !

سحبهم السيد المسيح من فكرهم المادى من نحو مجىء إيليا والمسيح ، مؤكداً أن كل ما اشتهاه الآباء والأنبياء يتحقق فى أيامهم وأن إيليا قد جاء ، ولكن ليس حسب الفكر الحرفى المادى ، وأن المسيّا أيضا جاء لكنه لا يملك زمنياً إنما خلال الألم والصليب . يقول السيد : « **إن إيليا يأتى أولاً ويرد كل شىء ، وكيف هو مكتوب عن إبن الإنسان أنه يتألم كثيراً ويُرذل . لكن أقول لكم أن إيليا أيضا قد أتى وعملوا به كل ما أرادوا كما هو مكتوب عنهم** » ع ١٢ ، ١٣ .

كأنه يقول : لقد وضعوا كل رجائهم فى مجىء إيليا فالمسيح ، وقد جاء إيليا وعوض السماع له قتلوه ، وجاء المسيح وعوض الإيمان به يقتلونه . بمعنى آخر يطالبهم السيد المسيح بمراجعة أنفسهم لإدراك الأمور بفهم روحى وإيمان جديد .

لقد جاء إيليا ، إذ يقول الملاك بخصوص القديس يوحنا المعمدان « ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته » لو ١ : ١٧ . وكما يقول **العلامة أوريجانوس** إنه يوحنا الذى يحمل سمات إيليا لا شخصه . يقول **الأب ثيوفلاكتيوس** : [مرة أخرى إنتهر يوحنا الرذيلة ، كان غيوراً ومتوحداً كإيليا ، أما هم فلم يسمعوا له بكونه كإيليا بل قتلوه بطريقة شريرة وقطعوا رأسه] . يقول **القديس أمبروسيوس** :[عاش إيليا فى البرية وهكذا يوحنا . كانت الغربان تعول الأول ، أما الثانى ففى البرية داس كل إغراء للملاهى وأحب الفقر وأبغض الترف . الواحد لم يسع لكسب رضاء آخاب الملك والثانى إزدرى برضاء هيرودس الملك . رداء الأول شق مياه الاردن « ٢ مل ٢ : ١٤ » ، والثانى جعل من هذه المياه مغسلاً يهب خلاصاً . الأول يظهر مع الرب فى المجد والثانى يحيا مع الرب على الأرض . الأول يسبق مجىء الرب الثانى ، والثانى يسبق مجىء الرب الأول . الأول أسقط الأمطار على أرض جفت لمدة ثلاث سنوات ، والثانى غسل تراب أجسادنا فى مياه الإيمان خلال ثلاث سنوات . تسألوننى : ماهى هذه السنوات الثلاث ؟ فاجيبكم بما قيل « هوذا ثلاث سنين آتى أطلب ثمراً فى هذه التينه ولم أجد » لو ١٣ : ٧ . . . السنة الأولى هى عهد الآباء حيث بلغ الحصاد مدى لم يتحقق بعد ذلك ، والسنة الثانية هى عهد موسى

والأنبياء ، ثم السنة الثالثة لمجيء إلهنا ومخلصنا « ليكرز بسنة الرب المقبولة » لو ٤ : ١٩ [(٢١٨)] .

٣ ـ الملكوت ومقاومة إبليس

بينما صعد السيد المسيح بثلاثة من تلاميذه إلى جبل عالٍ يعلن لهم ملكوته آتياً بقوة مجد بعضاً من التلاميذ يقفون فى عجز أمام إخراج روح نجس أخرس ، حتى جاء السيد يكشف لهم عن الحاجة إلى الصوم والصلاة كطريق للصراع ضد إبليس والغلبة عليه بالرب واهب النصرة . وكأن الملكوت ليس مجرد رؤيا يتمتع بها التلاميذ على جبل تابور لكنه أيضاً ثمرة جهاد روحى ضد عدو الخير بالرب الغالب .

ويلاحظ فى هذا العمل الآتى :

أولا : بينما كان بطرس على الجبل يشتهى البقاء هناك (ع ٥) ينعم بمجد السيد المسيح ويتمتع بالرؤيا السماوية إذا بالسيد ينزل به مع التلميذين الآخرين ليروا جمعاً كثيراً حول التلاميذ وكتبة يحاورونهم (ع ١٤) . . . . أما علة الحوار فهو عجز التلاميذ عن إخراج روح نجس أخرس من إنسان معذب منذ صباه (ع ٢١) .

ما أجمل أن ينفرد المؤمن بسيده لينعم بالتأملات الروحية والتعزيات السماوية فى مخدعه كما على جبل تابور ، حتى يشتهى لو بقى عمره كله متأملاً بلا انقطاع ، ورؤيا سماوية بلا توقف . لكننا مادمنا فى الجسد يلزمنا ان ننزل إلى الميدان للعمل أيضا من أجل كل نفس معذبة ؛ فلا عجب إن رأينا حتى كبار النساك والمتوحدين يهتمون بخلاص النفوس . يقول **القديس المتوحد يوحنا سابا** :[مرذول قدام الله من يبغض الخاطى (٢١٩)] .

الخدمة الروحية هى جزء لا يتجزأ من حياة المؤمن ، أيا كان عمله فى الكنيسة أو وضعه ، سواء كان كاهناً أو راهباً أو واحداً من أفراد الشعب ؛ وإن إختلفت الوسائل فى ممارسة هذه الخدمة الروحية !

ثانيا : يقول الإنجيلى : **« رأى جمعاً كثيراً حولهم وكتبة يحاورونهم »** ع ١٤ . هذا الوصف الانجيلى لا يمثل لحظة معنية من الزمن انما يسجل لنا صورة لا تنقطع ، فعلى الدوام يتطلع السيد المسيح ليرى جمعاً كثيراً حول تلاميذه يشتاقون بالبساطة أن

يتمتعوا بعطية المسيح لهم ، كما يرى أيضا كنيسة مقاومين يحاورونهم ، فلا يقف السيد مكتوف الأيدى إنما يهب كنيسته على الدوام أن تشبع الجمع من عطايا سيدها ، وأن تقف بثبات أمام مقاوميها .

ليتنا لا نضطرب إذ نشعر بالمسئولية الملقاة على عاتق الكنيسة من جهة جموع البشرية المتعطشة والجائعة تطلب إرتواءً وشبعاً ، ومن جهة المقاومين للحق بكل طريقة ، فان عريس الكنيسة حال فى وسطها يشبع الجائعين ويبكم المقاومين . لهذا يترنم المرتل قائلا : « الله فى وسطها فلن تتزعزع » مز ٤٦ : ٥ ، كما يوصينا السيد نفسه ، « فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون ، لأنكم تُعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به ، لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم » مت ١٠ : ١٩ ، ٢٠ .

ثالثا : وبخ السيد المسيح تلاميذه لعجزهم عن إخراج الروح النجس ، قائلًا : « **أيها الجيل غير المؤمن ، إلى متى أكون معكم ؟ إلى متى أحتملكم ؟** » ع ١٩ . وبخهم على عدم إيمانهم وقام هو نفسه بالعمل . هو المسئول عن الكنيسة بكونها عروسه يوبخ خدامها على كل تقصير فى إيمانهم أو عملهم ويقوم هو بالعمل . . .

* لنعرض على ربنا يسوع كل أعمالنا لكى وإن وبخنا على ضعفاتنا لكنه يكمل كل نقص فينا .

رابعاً : إذ وبخ تلاميذه طلب تقديم الإبن المُصاب بروح شرير ، وإذ رأى السيد « **للوقت صرعه الروح فوقع على الأرض يتمرغ ويُزبد** » ع ٢٠ . . . لماذا سمح للشيطان أن يصرعه ؟ لا يحتمل السيد أن يرى إنساناً يتعذب ، لكنه قد سمح لهذا المسكين أن يتألم إلى حين ، لكى يدفع أباه للإيمان كما قال **الذهبى الفم** ، فقد قال الأب : « **إن كنت تستطيع شيئاً فتحنن علينا وأعنا** » ع ٢٢ . أجاب السيد بأن مفتاح الشفاء فى أيدي الانسان إن آمن ، إذ قال له : «**إن كنت تستطيع أن تؤمن ، كل شيء مستطاع للمؤمن** » ع ٢٣ . فى إيمان مصحوب بإتضاع صرخ الأب بدموع : « **أومن ياسيد فأعن عدم إيمانى** » ع ٢٤ . كأن

السيد المسيح سمح للابن أن يتألم قليلًا ليبرز ايمان أبيه ويدفعه بالأكثر إلى الإتضاع طالباً أن يعين الرب عدم إيمانه ، وليعلن أيضا سلطان الإنسان بالإيمان .[٢٢٠]

ولعل السيد المسيح سمح أيضاً بذلك لكي يكشف عن قساوة إبليس وجنوده ، وكا يقول **الأب ثيؤفلاكتيوس** : [سمح للإبن أن يهيج لكي نعرف شر إبليس الذى يود قتله لو لم ينقذه الرب] ؛ ولذات السبب سأل السيد والد الشخص : « **كم من الزمان منذ أصابه هذا ؟ . فقال : منذ صباه ، وكثيراً ما ألقاه فى النار وفى الماء ليهلكه** » ع ٢١ ، ٢٢ . فان عدو الخير لا يرحم طفلًا ولا شيخاً ، ولا رجل ولا امرأة بل يشتاق أن يدفع بالكل إلى نار الشهوات أو يسحبهم إلى تيارات مياه العالم ليهلكهم . يحاربنا على الدوام بالمتناقضات ، بالنار والماء ، إن هربنا من فخ يقيم آخر . على اى الأحوال إن كان الشيطان يدفعنا للنار والماء المهلكين . فان ربنا يسوع يقدم لنا روحه القدوس النارى خلال مياه المعمودية ليقتل النار الشريرة بنار إلهيه ويفسد مياه العدو بالأردن المقدس !

خامسا : عجيبة هى محبة السيد المسيح ، ففى وسط أعماله الفائقة يبرز فضائل الآخرين مهما بدت قليلة أو تافهة . . . فان كان قد شفى الولد ، لكنه أبرز حب أبيه له ، وإيمانه ، وأيضا اتضاعه . أقول ليت لنا قلب هذا الأب نحو كل نفس معذبة فلا نستريح حتى نقدمها بروح الإيمان المتضع والمملوء حباً لذاك القادر أن يخلصها . يقول **الأب ثيؤفلاكتيوس** : [من يربط نفسه بقريبه برباط الحب يكون له ملجأ ، ويكون فى سلام مع أخيه] .

سادسا : هذا الأب الذى يئن بدموع ويصرخ لإنقاذ إبنه يمثل نفس كل مؤمن إلتقى مع الرب وعرف خلاصه العجيب فلا يحتمل عذاب النفوس الجاحدة التى سقطت تحت أسر عدو الخير منذ الصبا ، إذ جاءت إلى العالم منذ البداية تحمل الخطية الجدية فتقول مع المرتل : بالاثام حبل بىّ وبالخطايا ولدتنى أمى . ولعل هذا الابن أيضا يشير إلى الأمم الذين عاشوا منذ طفولتهم تحت سلطان عدو الخير خلال الرجاسات الوثنية .

سابعاً : يعلق البابا غريغوريوس (الكبير) على عبارة : «فصار كميت حتى قال كثيرون أنه مات » ع ٢٦ بقوله : [من يتحرر من سلطان الروح الشرير يحسب كميت ، لأنه كان خاضعاً للشهوات الجسدية والآن يميت فى داخله هذه الحياة الجسدانية ويظهر للعالم كميت . الذين لا يعرفون كيف يعيشون حسب الروح يظنون أن من لا يسلك بالشهوات الجسدية ميت تماماً (٢٢١)] . هذه هى نظرة العالم إلى يومنا هذا نحو الروحيين إذ يحسبونهم محرومين من متعة الحياة ، أمواتاً !

ثامناً : اذ دخل السيد المسيح بيتاً سأله تلاميذه على إنفراد : لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه ؟ فقال لهم : « هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشىء إلا بالصلاة والصوم » ع ٢٩ . يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [لقد خشوا لئلا يكونوا قد فقدوا العطية التى وُهبت لهم ، إذ كانوا قد نالوا سلطاناً على الأرواح النجسة] .

حقاً لقد تمتع التلاميذ بالسلطان لكن يلزمهم إضرام الموهبة المجانية بالحياة التقوية بالصلاة مع الصوم للتمتع بشركة عميقة مع الله فى إبنه .

يحدثنا القديس يوحنا سابا عن فاعلية الصلاة ، قائلاً : [مفاتيح الخزائن موضوعة فى أيديكم لكى تأخذوا وتعطوا ، حتى تحيوا آخرين أيضاً (٢٢٢)] ، [قدّس فراشك بالصلاة ورفرفة الروح القدس عليك فتفوح رائحة أعضائك مثل الطيب (٢٢٣)] . كما يحدثنا أيضاً عن الصوم باعتدال : [لاتملأ بطنك كثيراً لئلا يعذبك الزنا ، ولا تضعف جسدك لئلا يفرح بك مبغضوك . إمسك طقس الإعتدال ، وها أنت تسلك فى الطريق الملوكى ، وبغير خوف يكون مسيرك (٢٢٤)] .

٤ ــ الملكوت والصليب

كانت أحداث الصليب تقترب لذلك ففى أكثر من مرة كان السيد يختلى بتلاميذه ليؤكد لهم ضرورة تسليمه وقتله وقيامته . . . حقاً فى المرة السابقة إنتهره بطرس (٨ : ٣٢) ، أما فى هذه المرة فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه (ع ٣٢) ، إذ لم يكن ممكناً للفكر البشرى أن يتقبل قيام ملكوت الله قائماً على خشبة العار (الصليب) !

الصليب الذى لم يحتمل التلاميذ السماع عنه ، إذ ذاقوه وأدركوا فاعليته فيهم أحبوه وحملوه مع عريسهم المصلوب بفرح وسرور .

يقول **القديس أغسطينوس** : [لايوجد مشهد أعظم وأعجب من منظر ربنا يسوع المسيح إبن الله . . . لقد غلب العالم كله كما نرى أيها الأحياء . . . لقد قهر . . . لا بقوة عسكرية بل بجهالة الصليب ! . . . لقد رُفع جسده على الصليب ، فخضعت له الأرواح [225]] . ويقول **القديس مار افرام السريانى** : [بالشجرة التى قتلنا بها (الشيطان) أنقذنا الرب ! [226]] .

٥ ــ الملكوت والاتضاع

إن كان السيد قد رسم لنا طريق خلاصنا بصليبه الذى جاء مخالفاً تماماً لما ظنه البشر ، ففى محبته يشتاق ان يحملنا معه فى طريقه الخلاصى خلال الاتضاع . . .

لقد ظن العالم أن الكرامة الزمنية والسلطة هما طريق الملكوت ، لكن الصليب يعلن الإتضاع سمة ملكوت الله ، لذلك إذ كان التلاميذ يتحاجون فى الطريق فى من هو الأعظم (ع ٢٤) ، نادى السيد المسيح الإثنى عشر وقال لهم : **« اذا أراد أحد أن يكون أولًا فيكون آخر الكل وخادماً للكل » . فأخذ ولداً وأقامه فى وسطهم ثم احتضنه ، وقال لهم : « من قبل واحداً من أولاد مثل هذا باسمى يقبلنى ، فليس يقبلنى أنا بل الذى أرسلنى » ع ٣٥ ــ ٣٧ .**

لقد وضع السيد المسيح يده على جرحنا البشرى القديم ، ألا وهو حب الانسان للكرامة الزمنية والتسلط . فضح جرحنا مقدماً لنا نفسه مثالًا ودواءً ! فقد بدأ أولًا باعلان الجرح عندما سألهم عما كانوا يتكلمون فيه ليعلن لهم أنه كلمة الله العارف الخفايا والناظر للكل ، فاحص القلوب والكلى . واذ كشف الجرح أعطى الدواء بتعليمه عن مفهوم الرئاسة الروحية خلال الاتضاع الممتزج حباً . . . ثم قدم لهم مثلًا عملياً باحتضانه ولداً ليقبلوا هم البشرية بروح الحب كطفل يحتضنوه ويغسلوا قدميه ، فيصيروا خداماً لا أصحاب سلطة . أما المثل العملى للآخرين فقد وضح بقوله أنه من يقبله لا يقبله هو بل الذى أرسله ، مع أنه واحد مع الآب ! فى حب ممتزج بالطاعة يقدم الإبن الآب وإن كانا لا ينفصلان قط !

فيما يلى بعض مقتطفات للآباء بخصوص الخدمة الحقة وروح الاتضاع :

+ ناقش التلاميذ فى الطريق من يكون رئيساً ، أما المسيح نفسه فنزل ليعلمنا الإتضاع . فإن الرئاسات تجلب التعب أما الإتضاع فيهب راحة !

القديس جيروم (٢٢٧)

+ يريدنا ألا نغتصب الرئاسات لأنفسنا بل نبلغ العلويات السامية بالاتضاع . . . بالعظمة الإتضاع ، إذ تريح لنفسها سكنى الآب والإبن والروح القدس .

الأب ثيؤفلاكتيوس (٢٢٨)

+ حثهم على الاتضاع والبساطة بنفس المنظر ، لأن هذا الولد طاهر من الحسد والمجد الباطل ورغبة الترآس .

القديس يوحنا الذهبى الفم (٢٢٩)

+ الاتضاع رفع موسى ، أما المتكبرون فابتلعتهم الأرض .
+ لايسكن الله فى محب الرئاسة ، ولا تسكن أنت معه .
+ الاتضاع هو أرض حاملة للفضائل ، فإن نُزع الاتضاع هلكت كل الفضائل .
+ آباؤنا الجبابرة مهدوا لنا الطريق إذ لبسوا الإتضاع الذى هو رداء المسيح ، وبه رفضوا الشيطان وربطوه بقيود الظلمة .
+ إلبس الإتضاع كل حين وهو يجعلك مسكنا لله .

القديس يوحنا سابا (٢٣٠)

٦ ـــ الملكوت وإتساع القلب

إذ حدثنا عن الملكوت الإلهى كيف نخدمه بالإتضاع خلال الصليب ، خشى لئلا يفهم ذلك بطريقة سلبية لذلك كشف ربنا يسوع المسيح هنا عن إلتزام أبناء الملكوت للعمل بقلب متسع . فان كان السيد المسيح نفسه جاء إلى الصليب فى إتساع قلب للبشرية لاق بأبنائه أن يحملوا ذات سمته .

قال له يوحنا : « **يامعلم رأينا واحداً يخرج شياطين باسمك وهو ليس يتبعنا فمنعناه ، لأنه ليس يتبعنا** » ع ٣٨ . لعل القديس يوحنا لم يمنعه عن غيرة منه أو حسد ، لكنه اشتاق أن تكون لهذا الانسان تبعية للسيد المسيح ولقاء معه ، ولا

يكون مستغلاً لإسم السيد المسيح فى إخراج الشياطين . لكن السيد قال له : « لاتمنعوه ، لأنه ليس أحد يصنع قوة بإسمى ويستطيع سريعاً أن يقول علىّ شراً ، لأن من ليس علينا فهو معنا ، لأن من سقاكم كأس ماء بارد باسمى لأنكم للمسيح فالحق أقول لكم أنه لا يضيع أجره » ع ٣٩ ــ ٤١ .

هذا الحديث يكشف أن ذاك الذى كان يخرج الشياطين لم يكن ضد المسيح لا بفمه ولا بقلبه ، بل كان يعمل لحساب المسيح بإيمان صادق وإن لم تكن قد أتيحت له الفرصة للتبعية الظاهرة . إيماننا لا يقوم على أساس تعصبى وتحكم فى الآخرين ، بل إتساع القلب للكل والوحدة مادام الكل يعمل خلال إيمان مستقيم . وحدتنا الكنسية المسكونية لا تقوم على تجمعات وإنما على وحدة الإيمان الحىّ .

هذا ونلاحظ أن السيد قد تحفظ فى كلماته إذ يوجد أيضا من يصنع قوات باسم المسيح لكنه يضمر شراً فى قلبه كالهراطقة مسببى الإنقسامات والأشرار فى حياتهم العملية . يقول السيد نفسه « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ ! فحينئذ أصرح لهم : انى لا أعرفكم قط . إذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » مت ٧ : ٢٢ ، ٢٣ .

بهذا القلب المنضح والمتسع بالحب يلزم أن نسلك دون ان نعثر الآخرين ، وفى نفس الوقت دون أن نتعثر بسبب الآخرين . . . أى ليكن قلبنا متسعاً بالحب لا على حساب خلاص إخوتنا الأصاغر ولا على حساب خلاص انفسنا .

فمن جهة تحذيرنا من عثرة الصغار يقول : « من أعثر أحد الصغار المؤمنين بى فخير له لو طوّق عنقه بحجر رحىً وطرح فى البحر » ع ٤٢ . . . بمعنى آخر يليق بنا أن تكون قلوبنا متسعة فنحتمل ضعفات الآخرين كصغار نترفق بهم ولا نعثرهم فى الايمان . ويقدم لنا البابا غريغوريوس (الكبير) تفسيراً لهذه العبارة بقوله أن حجر الرحى يُشير الى العلمانى الذى يرتبك بأمور هذه الحياة فيدور حول نفسه كما حول حجر رحى فى ملل وتعب بلا هدف ولا راحة ، أما الطرح فى أعماق البحر فيعنى أشر أنواع العقوبة ، وكأنه خير لذاك الذى يرتدى ثوب العمل الكرازى أو الخدمة ويعثر الصغار أن يترك وظيفته ويصير علمانياً فانه حتى وإن نال أشر أنواع العقوبة فسيكون له أفضل من إعثاره الآخرين وهو خادم ، لأنه بدون شك إن سقط

بمفرده تكون آلامه فى جهنم أكثر احتمالًا (٢٣١) .

بقدر ما يتسع قلبنا بالحب لا نعثر صغار نفوس يلزمنا بحكمة أيضا أن نهرب من النفوس المعثرة لنا ، لكن دون إدانة لهم ، اذ يقول : « **وإن أعثرتك يدك فاقطعها ، خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضى إلى جهنم إلى النار التى لا تُطفأ حيث دودهم لا يموت والنار لا تُطفأ** » ع **٤٣** ، **٤٤** . وما يقوله عن السيد يكرره بخصوص الرجل والعين أيضا . وقد سبق لنا تفسير مفهوم اليد والرجل والعين روحياً (٢٣٢) ، لذا نكتفى بعبارة **القديس يوحنا الذهبى الفم** [لا يتحدث هنا عن إعضائنا الجسدية بل عن اصدقائنا الملازمين لنا جداً ، واللذين يحسبون ضروريين لنا كأعضاء لنا ، فانه ليس شىء يضرنا مثل الجماعة الفاسدة (الصداقات الشريرة) (٢٣٣)] .

أخيراً يختم حديثه عن فاعلية المسيحى باتساع قلبه نحو الكل ، مشبهاً إياه بالملح الذى يصلح الآخرين من الفساد ، قائلًا : «**لأن كل واحد يُملح بنار وكل ذبيحة تُملح بملح . الملح جيد ، ولكن إذا صار الملح بلا ملوحة فبماذا تصلحونه ، ليكن فى أنفسكم ملح وسالموا بعضكم بعضاً** » ع **٤٩** ، **٥٠** . كأنه يقول أن الملح يفقد كيانه إن فقد ملوحته التى بها يصلح الطعام ، هكذا المسيحى يفقد كيانه كمسيحى إن فقد حبه للغير ومسالمته للآخرين . الحب ليس سمة أساسية فى حياتنا بل هو بعينه حياتنا بدونه نفقد وجودنا المسيحى .

ماذا يعنى بقوله « كل واحد يُملح بنارٍ » ؟ فى العهد القديم كانت الذبائح يلزم أن تُملح قبل تقديمها على المذبح لتحرق ، هكذا إن كانت حياتنا ذبيحة حب فالله لن يقبلها ما لم تكن مملحة بملح الحب الأخوى .

الباب الثالث

خدمته في بيرية

ص ١٠

الاصحاح العاشر

الطريق الصعب

جاء السيد المسيح خادماً للبشرية موضع حبه غير أن كثيرين تعثروا فيه لأنه جاء يقدم الصليب طريقاً ضيقاً لبلوغ مجد الملكوت . فى هذا الأصحاح يقدم لنا الإنجيلى أمثلة حية لصعوبة الطريق الذى قدمه السيد :

١ ـــ منع التطليق لغير العلة	١ ـــ ١٢ .
٢ ـــ قبول الأطفال بالحب	١٣ ـــ ١٦ .
٣ ـــ الغنى والتبعية للمسيح	١٧ ـــ ٢٧ .
٤ ـــ الترك والتبعية للمسيح	٢٨ ـــ ٣٤ .
٥ ـــ ترك حب الرئاسات	٣٥ ـــ ٤٥ .
٦ ـــ الحاجة إلى تفتيح الأعين	٤٦ ـــ ٥٢ .

\+ \+ \+

١ ـــ منع التطليق لغير العلة

حتى الأصحاح السابق كان الإنجيلى مرقس يحدثنا عما نطق به السيد وما عمله واحتمله فى الجليل ، ومع بداية هذا الأصحاح بدأ حديثه عن السيد فى اليهودية إذ عبر الأردن من جهة الشرق ، وقد دُعيت هذه المنطقة باليهودية تمييزاً لها عن السامرية والجليل والمدن الخمس وغيرها . . . وهناك فى اليهودية وجد مقاومات كثيرة كما أعلن عن صعوبة الطريق الضيق الذى يسلكه ، والذى يحمل مؤمنيه إليه لينطلق بهم إلى مجد ملكوته .

أحد مظاهر ضيق هذا الطريق الملوكى هو تقديم الوصية الصعبة ، إذ لم يأت السيد لكى يرضى الناس حسب أهوائهم وإنما لكى يرفعهم إلى مستوى لائق كأبناء لله ، لهم الوصية التى تبدو أحيانا مستحيلة . . . أحد بنود هذه الوصية مفهوم الحياة الزوجية كحياة وحدة فائقة لاتفصلها إلا علة الزنا .

يقول الإنجيل : « **فتقدم الفريسيون وسألوه : هل يحل للرجل أن يطلق امرأته ؟ ! ليجربوه ، فأجاب وقال لهم : بماذا أوصاكم موسى ؟ فقالوا : موسى أذن أن يكتب كتاب طلاق فتطلق . فأجاب يسوع ، وقال لهم : من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية ولكن من بدء الخليقة ذكراً وأنثى خلقهما الله . . .** » ع ٢ — ٦ .

كثيراً ما كان الفريسيون يترددون عليه لا للتعرف على حقيقة أمره أو التمتع بالحق وإنما لأنهم خشوا إن تركوه أن يلتف الكل حوله ، فكانوا يترددون فى الغالب كجماعات يقدمون الأسئلة المتوالية بقصد إرباكه أمام الجموع . والآن إذ أدركوا فى تصرفاته المملوّه حباً وحناناً أنه لايسمح بالطلاق خاصة وأنه سبق واعلن ذلك (مت ٥ : ٣١ ، ٣٢) ، لذا قدموا هذا السؤال لكى يتصيدوا له خطأ ، إن وافق بالطلاق أو رفضه . لكن السيد وهو يرفض الطريق السهل ، طريق الطلاق ، ليدخل بمؤمنيه فى طريق الوصية الصعبة أجابهم بحكمة من جهة الآتى :

أولا : أراد أن ينزع من قلبهم وفكرهم إباحة الطلاق ، فجاءت إجابته غير مباشرة حتى لا يسقط فى شباكهم ، إذ كرّم الناموس وموسى بقوله : بماذا أوصاكم موسى ؟ . . . وكأنه لا يتجاهل ما قد سبق فأعلنه خلال نبيه موسى ، وإنما يكشف أعماق الناموس ليدخل بهم إلى روح الناموس لا حرفه .

ثانيا : حين قدم لهم السؤال تركهم يجاوبون ليرد عليهم من اجابتهم عينها ، فقد قالوا : موسى أذن أن يكتب كتاب طلاق فتطلق . . . فكأن موسى لم يأذن بالطلاق إنما أذن أن يكتب كتاب طلاق فتطلق ، وهنا يوجد فارق بين التعبيرين ، فإن الإذن بالطلاق يجعل منه أمراً سهلًا ، أما كونه يأذن بكتابه كتاب طلاق أولًا ، فيعنى أن الرجل قبل أن يطلق امرأته يلزمه أن يذهب إلى أحد الكتبة ليكتب له كتاب الطلاق ، وكان يلزم أن يكون هؤلاء الكتبة من العقلاء يباحثونه الأمر ،

ويهدئون من غضبه ما إستطاعوا ويلجأون إلى كبار عشيرته أو سبطه إن احتاج الأمر فيلطفون من الموقف محاولين مصالحة الرجل مع إمرأته .

حقاً لقد خشي الله عليهم وهم في طفولة حياتهم الروحية لئلا يقتل الرجل إمرأته أو ينحرف إلى العبادات الوثنية التي تبيح له بالطلاق . . . فسمح له بالطلاق ، ولكن بعد ترو . لهذا يكمل السيد المسيح حديثه بقوله : « من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية » . . . وكأن الوصية الموسوية ليست أمراً بالطلاق لكنه سماح به في حدود لأجل قساوة قلوبهم التي لم يكن يلزم أن تكون هكذا .

ولكي يؤكد لهم السيد ذلك ردهم إلى الناموس الطبيعي الذي أقامه الله في بدء الخليقة ، قائلاً : « **ولكن من بدء الخليقة ذكراً وأنثى خلقهما الله . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الإثنان جسداً واحداً . إذاً ليس بعد إثنين بل جسد واحد . فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان** » ع ٦ — ٩ . وكأنه في بدء الخليقة قبل السقوط لاق بالإنسان أن يقبل زوجته ليكون معها جسداً واحداً ، أما وقد فسدت طبيعة الانسان ، ودخلت إليه قساوة القلب ، فلم يعد هذا الناموس يناسبه إذ حسبه حرماناً وطريقاً صعباً ، فسمح له الله بكتابة كتاب الطلاق لتهدئته . . . والآن جاء السيد المسيح لا ليقدم وصايا جديدة إنما بالأكثر طبيعة جديدة فيها تنتزع قساوة القلب ، ويُرد الانسان إلى الحياة الأولى النقية ، فيتقبل الوصية التي ظنها صعبة كالإمتناع عن الطلاق ، وصية إلهية سهلة تليق بإنسانه الجديد ، لأنها تحمل صورة الزواج الروحي القائم بين السيد المسيح والكنيسة عروسه الواحدة الوحيدة ! في هذا يقول الرسول بولس : « من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الإثنان جسداً واحداً ؛ هذا السّر عظيم ، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة » أف ٥ : ٣١ ، ٣٢ .

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [لو أن الله أراد أن تُنزع إمرأة لتُجلب أخرى لخلق (لآدم) نساء كثيرات . الله لم يربط الرجل بامرأة واحدة فحسب وانما أمره أيضا أن يعتزل والديه ويلتصق بامرأته ، قائلاً : « من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته » . يظهر من هذا التعبير إستحالة تحطيم الزواج (بالتطليق) ، إذ يقول « يلتصق »] .

يقول القديس أمبروسيوس لمن يرغب فى تطليق زوجته : [خف الله وأصغ لناموس الرب : « الذى جمعه الله لا يفرقه إنسان » مت ١٩ : ٦ . إنك لا تهدم وصية سمائية فحسب إنما تهدم عمل الله [١٣٤]] .

إن كان الزواج المسيحى هو ثمرة عمل الله (مت ١٩ : ٦) فبالأولى الزواج الروحى بين النفس وعريسها ، هذا الذى يقوم به روح الله القدوس ويتممه فى استحقاقات الدم ، فلا يليق بنا أن نحطمه خلال انكار الإيمان علانية بسببٍ ضيق أو اضطهاد ولا خلال سلوكنا برفض الوصية ، وإلا نكون قد مارسنا طلاقاً ممقوتاً .

٢ ــ قبول الأطفال بالحب

إن كان الفريسيون قد جاءوا إلى السيد المسيح يسألونه بخصوص الطلاق بقصد سوء ، قد يكشفوا للجموع أنه يصعّب الطريق ويكسر الناموس ، فان الجموع على العكس أدركت محبته وتلامست مع بساطته ، فجاءت إليه بالأطفال تسأله أن يضع يديه عليهم ويباركهم .

« وقدموا إليه أولاداً لكى يلمسهم ، وأما التلاميذ فانتهروا الذين قدموهم . فلما رأى يسوع ذلك إغتاظ ، وقال لهم : دعوا الأولاد يأتون إلىّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله . الحق أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله . فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم » ع ١٣ ــ ١٦ .

يقول القديس كيرلس الكبير : [لقد إنتهرهم التلاميذ الطوباويون ليس لأنهم كانوا يحسدون الأطفال بل حسبوا فى هذا تقديم إحترام له كمعلم لهم ، ومنع التعب غير اللازم ، ولأجل إهتمامهم الشديد بحفظ النظام[١٣٥]] . بنفس المعنى **يقول القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لقد منعهم التلاميذ عن إحضار أولادهم ، إذ حسبوا هذا لا يليق بكرامة المسيح . . . لكن مخلصنا وقد أراد أن يعلم تلاميذه فكر الإتضاع والوطء بالقدمين على الكبرياء الزمنى احتضن الأولاد ونسب إليهم ملكوت الله] . **ويقول القديس أمبروسيوس** [لم يفعل التلاميذ ذلك بقساوة قلب أو سوء نية من نحو الأطفال بل كانت لهم غيرة كخدام ساهرين خشية أن تزحمه الجموع ، ففى موضع آخر قالوا : « يا معلم الجموع يضيقون عليك » لو ٨ : ٤٥ [١٣٦]] .

لقد أراد التلاميذ للسيد المسيح الطريق السهل المكرّم ، رافضين مضايقة الأطفال الصغار ومتاعبهم ، أما السيد فقدم لهم طريقه الصعب البسيط ، يلتزم به التلاميذ والرسل كما الشعب أيضاً ، فانه إذ يحتضن الأطفال وهم فى ذلك الحين يمثلون طبقة محتقرة بلا حقوق يكشف أن المعلم لا يطلب كرامة ومجداً لنفسه إنما يطلب نفساً تلتصق بالرب حتى وإن كانت نفس طفل أو عبد أو لص ! . . . إنه طريق الحب للجميع لا طلب الكرامة . ولا يقف الأمر عند هذا الحد باحتضان الأطفال ، إنما جعل من الطفل مثلاً مالم نبلغه لن ندخل الملكوت . هكذا كرّم السيد الطفولة إذ صار نفسه طفلاً بتجسده ، والآن يطالب التلاميذ ــ قادة الكنيسة ــ أن يبلغوا مع الشعب إلى الطفولة ليكون لهم نصيب فى الملكوت معهم .

+ حقاً ذهن الطفل نقى من آلام الخطية ، لهذا يليق بنا أن نمارس بكامل حريتنا ما يفعله الأطفال بالطبيعة .

القديس يوحنا الذهبى الفم

+ لم يقل « لهؤلاء » ، بل قال « لمثل هؤلاء ملكوت الله » ، أى للذين لهم فى نيتهم كما فى تصرفاتهم ما للأطفال بالطبيعة من بساطة وعدم الأذية . فالطفل لا يبغض ولا يحمل نية شريرة ، حتى إن ضربته والدته لا يعتزل عنها وان ألبسته ثياباً رخيصة يراها أفضل من الثوب الملكى ، هكذا من يسلك فى طرق الكنيسة أمه الصالحة لا يكرم شيئاً أكثر منها ، حتى ملذاته بكونها ملكة الكل ، لذلك يقول الرب : « من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله »

الأب ليوفلاكتيوس بطريرك بلغاريا

+ لا يقصد بالطفولة هنا تفضيل سن عن آخر ، وإلا صار النمو (فى العمر) هدماً ، وما كنت أشتهى بلوغ سن النضوج مادام يسلبنى تعبى فى ملكوت السموات ، ولما سمح الله لنا بالنمو مادام هذا النمو ينمى الرذائل لا الفضيلة ، ولما اختار الرب تلاميذه ناضجين بل أطفالاً . لكن الأطفال لا يعرفون أسراراً ولا خداعاً ولا رد الإساءة بالإساءة ولا يطلبون الغنى ولا يمتلكهم حب الكرامة .

الجهل بالأمور (كالطفل الذى لا يفهم شيئاً) لا يهب الفضيلة بل يسىء

إليها ، هكذا لا تتمجد عفتنا عن عجز (كالطفل العاجز عن الشهوة) . . . الفضيلة ليست عجزاً عن ممارسة الخطية ، إنما هى رفض له ومثابرة فى الجهاد لكى نرجع إلى طبيعتنا وطفولتنا .

إذن لا يشير الرب إلى الطفولة هنا كسن معين وانما كحب للامتثال ببساطة الطفولة ...

+ لنهرب إذن من الكبرياء ولنقتدِ ببساطة الأطفال ، فالحق يتعارض مع الكبرياء بينما توافقه البساطة وترفعه باتضاعها ...

القديس أمبروسيوس[٢٣٧]

+ لا يريدنا المسيح أن نكون بلا فهم بل يريدنا أن نفهم كل ما هو نافع وضرورى لخلاصنا بطريقة كاملة . فإنه حتى الحكمة تعد أنها ستعطى « البسطاء ذكاءً والشاب بدء معرفة وتدبيراً » (انظر أم ١ : ٤) . وقد وجدت الحكمة فى سفر الأمثال أشبه بمن ترفع صوتها عالياً ، وتقول : « لكم أيها الناس أنادى وصوتى إلى بنى البشر ، أيها البسطاء تعلموا الذكاء ، ويا جهال ضعوا قلباً فيكم » (انظر أم ٨ : ٤) ...

لكن كيف يكون الإنسان بسيطاً وحكيماً فى نفس الوقت ؟ هذا ما يوضحه لنا المخلص فى موضع آخر بقوله : « كونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام » مت ١٠ : ١٦ ، وبنفس الطريقة يكتب الطوباوى بولس : « أيها الإخوة لا تكونوا أولاداً فى أذهانكم بل كونوا أولاداً فى الشر وأما فى الأذهان فكونوا كاملين » ١ كو ١٤ : ٢٠ .

يلزمنا أن نفحص ما معنى أن نكون أولاداً فى الشر ، وكيف يصير الرجل هكذا بينما يكون فى الذهن رجلاً ناضجاً . الطفل معرفته قليلة جداً وأحيانا معدومة تماماً لذا فهو برىء من جهة الفساد الشر ،ونحن أيضا من واجبنا أن نسعى لكى نمتثل بهم فى هذا الأمر بانتزاع عادات الشر عنا تماماً ، فيُنظر الينا كرجال ليس لهم حتى معرفة بالطرق التى تقود للغش ، ليس لنا إدراك للمكر أو الخداع ، بل نكون بسطاء وأبرياء نمارس اللطف والاتضاع الذى لا يقدّر ، ونكون مستعدين

لاحتمال السخط والضغينة . بهذا نؤكد أننا نحمل سمات من هم لا يزالون أولاداً .

بينما تكون شخصيتنا هكذا بسيطة وبريئة يليق بنا أن نكون كاملين فى الذهن يتأسس فهمنا بثبات ووضوح على من هو بالطبيعة والحق خالق المسكونة ، الله الرب ...

كمال الذهن الرئيسى يقوم على الإيمان فلا يكون فهمنا فاسداً ، وأما الأمر الثانى والمجاور لهذا الكمال الرئيسى والقريب منه ملازم له فهو المعرفة الواضحة للطريق السلوكى الذى يفرح الله الذى تعلمناه بالانجيل ، الطريق الكامل الذى بلا لوم (هنا يميز القديس بين السالكين طريق الرب الإنجيلى وبين النبلاء فى السلوك خلال الفلسفات التى يمكن أن تخدع) . من يسلك هذا الطريق يمارس حياة البساطة والبراءة ومع ذلك فهم يعرفون أى أراء (إيمانية) يتمسكون بها وأى أعمال حقة يمارسونها . مثل هؤلاء يدخلون الباب الضيق ، فلا يرفضون الأتعاب التى تلزم للتقوى فى الله واللازمة لتقود إلى الحياة الممجدة . وهكذا بحق يتقدمون إلى إتساع فيض طريق الله ويبتهجون بعطاياه ، ويربحون لأنفسهم ملكوت السموات بالمسيح الذى لله الآب الحمد والسلطان بالمسيح ومعه ، مع الروح القدس الى أبد الأبد . آمين] .

القديس كيرلس الكبير(٢٣٨)

ليتنا إذن نتمثل بالأطفال فى الشر لا فى الذهن ، فنقبل بإيمان صادق أن يمد الرب نفسه يده ليضمنا إليه ويحملنا على منكبيه ، ويدخل بنا إلى صليبه خلال الباب الضيق ، فتنفتح لنا سمواته فى داخلنا وننعم بأمجاده فينا ، ونعيش ملكوته الأبدى بفرح حقيقى ومجيد .

إذ نعود إلى تقديم الأطفال ليباركهم السيد تذكر ما قاله **القديس كيرلس الكبير** إذ يرى الأطفال وقد وضع الآباء الأساقفه أيديهم على رؤوسهم لنوال نعمة الروح القدس (التثبيت) بعد المعمودية لا من بشر بل من السيد المسيح نفسه ، إذ يقول : [حتى وقتنا الحاضر يُقدم الأطفال للمسيح فيباركهم خلال الأيدى المكرسة . مثال هذا العمل قائم حتى اليوم وقد جاء إلينا خلال عادة المسيح مؤسسها . (٢٣٩)] .

وللعلامة أوريجانوس تعليق لطيف على تقديم الأطفال لنوال البركة ، إذ يقول : [إن رأى إنسان يقوم بعمل التعليم فى الكنيسة أحداً يحضر له بعضاً من أغبياء هذا العالم ومن الطبقات الدنيا والضعفاء ، هؤلاء الذين بسبب هذا يُحسبون أطفالاً وصغاراً ، ليته لا يمنعه من تقديمهم للمخلص لئلا يكون عمله بلا تمييز] .

٣ ــ الغنى والتبعية للمسيح

هكذا تتكشف ملامح الطريق الجديد فى بساطته وصعوبته أيضاً لغير الروحيين ، إذ هو طريق المسيح المصلوب ، وصيته تبدو صعبة تحمل فى أعين الجسدانيين حرماناً ، ودعوته تحتضن الأطفال المحتقرين ــ فى ذلك الحين ــ وتدعونا للطفولة فى بساطتها ونقاوتها ، والآن إذ يلتقى به شاب غنى إرتبط قلبه بثروة هذا العالم حرمه هذا الثقل من العبور مع السيد خلال باب الحب للدخول إلى الطريق الضيق . . . فالغنى فى ذاته ليس شراً لكنه يمثل ثقلاً للنفس المتعلقة به يفقدها حياتها وينزعها عن الالتصاق بمخلصها .

يروى لنا الإنجيل قصة هذا اللقاء ، فيقول :

« وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا له وسأله : أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحاً ، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله . أنت تعرف الوصايا : لا تزن ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تسلب ، أكرم أباك وأمك » ع ١٧ ــ ١٩ .

خرج السيد المسيح إلى الطريق ليجد الشاب الغنى الممسك بحب المال هناك ، فمع غناه يوجد فى الطريق كمن محتاج يطلب شبعاً ولا يجد .

شعر الشاب بالجوع والعطش فركض مسرعاً نحو السيد وجثا له وسأله : أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الصالحة ؟ وإذ كان الشاب لم يدرك بعد انه المسيح ابن الله ، عاتبه السيد : لماذا تدعونى صالحاً ، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله ؟ ! إنه لم ينف عن نفسه الصلاح فقد دعى نفسه الراعى الصالح (يو ١٠ : ١١ ، لو ٢ : ١٥) ، لكنه يرفض أن يلقبه الشاب هكذا ظناً أنه لقب للتفخيم كعادة اليهود فى معاملاتهم مع القيادات الدينية ، ينعتوهم بصفات خاصة

بالله نفسه . وكأنه أراد من الشاب أولًا أن يراجع حساباته الداخلية من جهة إيمانه به ، وثانياً ألا يستخدم الألفاظ الخاصة بالله لتكريم إنسان .

يقول القديس أمبروسيوس : [عندما قال : « أيها المعلم الصالح » ، قالها بمعنى الصلاح الجزئي لا المطلق مع أن صلاح الله مطلق وصلاح الانسان جزئي ، لذا أجابه الرب : لماذا تدعوني صالحاً ، وأنت تنكر إني أنا الله ؟ لماذا تدعوني صالحاً والله وحده هو الصالح ؟ لم ينكر الرب أنه صالح بل يشير إلى أنه هو الله . . . إن كان الآب صالحاً فذاك أيضا صالح ، لأن كل ما للآب فهو له (يو ١٧ : ١٠) . . . أليس صالحاً من يدبر صلاح النفس التي تطلبه ؟ ! أليس صالحاً من يشبع بالخير عمرك (مز ١٠٣ : ٥) ؟ أليس صالحاً من قال « أنا هو الراعي الصالح » يو ١٠ : ١١ ؟ ! [٢٤٠]] .

ويقول القديس كيرلس الكبير : [لقد اقترب وتظاهر بالحديث اللطيف إذ دعاه معلماً ووصفه صالحاً وقدم نفسه كمن يشتهي التلمذة له ، إذ قال : « ماذا أعمل لأرث الحياة الابدية ؟ لاحظ كيف مزج التملق بالخداع والخبث كمن يمزج الإفسنتين بالعسل ، حاسباً أنه بهذا يقدر أن يخدعه . عن مثل هؤلاء قال أحد الأنبياء القديسين : « لسانهم سهم قتال يتكلم بالغش ؛ بفمه يكلم صاحبه بسلام وفي نفسه عداوة » أر ٩ : ٨ . وأيضا يقول المرتل الحكيم عنهم : « فمهم مملوء لعنة ومرارة » مز ١٠ : ٧ ، وأيضا : « ألين من الزيت كلماته وهي سيوف (حراب) » مز ٥٥ : ٢١ . لقد داهن يسوع وحاول أن يخدعه مظهراً أنه خاضع له . لكن العالم بكل شيء أجاب : « لماذا تدعوني صالحاً ؟ ! ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » ، إذ مكتوب : « الأخذ الحكماء بحيلتهم » أى ٥ : ١٣ . ها أنت ترى (الشاب) كيف برهن السيد أنه ليس حكيماً ولا متعلماً مع أنه رئيس لليهود (لو ١٨ : ١٨) . كأنه يقول له : أنت لا تؤمن إني الله ، وارتدائي للجسد قد ضللك ، فلماذا تحتني بما يليق بالطبيعة العلوية وحدها مع انك لا تزال تحسبني إنساناً مثلك وليس أعظم من الطبيعة البشرية ؟ فان الله وحده بطبيعته التي تسمو على الكل ينسب له الصلاح بالطبيعة ، الصلاح غير المتغير . أما الملائكة ونحن الذين على الأرض فصالحون بامتثالنا به أو بالحرى بشركتنا معه . . . هو بالحق صالح ،

صالح مطلقاً ، أما الملائكة والبشر فصالحون بكونهم خلقوا هكذا مشاركين فى صلاح الله كما قلت . . . على أى الأحوال كأنه يقول له : أبدو لك إنى لست حقاً الله ، وها أنت بجهل وغباوة تنسب لى ما يخص الطبيعة الإلهية ، فى الوقت الذى فيه تحسبنى إنساناً مجرداً ، الكائن الذى لا ينسب له الصلاح كطبيعة غير متغيرة إنما يقتنيه حسب الإرادة الالهية (٢٤١)] .

إذ سأله الشاب عن الحياة الأبدية وجهه السيد إلى الوصايا ، قائلاً له : « **أنت تعرف الوصايا : لا تزن ، لا تقتل ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تسلب ، أكرم أباك وأمك** » ع ١٨ ، **١٩** ؛ فاننا لا نستطيع التمتع بالحياة الأبدية خارج الوصية الإلهية .

لقد جاءت إجابة السيد المسيح على خلاف ماتوقع هذا الشاب رئيس مجمع يهودى ، إذ يقول **القديس كيرلس الكبير** : [توقع رئيس المجمع أن يسمع المسيح يقول : كف يا إنسان عن كتابات موسى ، أترك الظل ، فإنها كانت رموزاً ليس إلا ، واقترب بالحرى إلى وصاياى ، التى أقدمها لك بالانجيل . لكنه لم يجب هكذا إذ أدرك بمعرفته الالهية غاية ذاك الذى جاء ليجربه . فكما لو لم تكن له وصايا أخرى بجانب الوصايا التى أعطيت لموسى أرسل إليهم (المجمع) الرجل (الرئيس) قائلاً له : « أنت تعرف الوصايا » ، ولئلا يظن أنه يتحدث عن وصايا خاصة به عدّد الوصايا الواردة فى الناموس ، قائلاً : « لا تزن ، لا تقتل ، لا تشهد بالزور » . . . (٢٤٢)] .

على أى الأحوال إذ بحكمة أجابه السيد حتى لا يتصيد هذا الرئيس الشاب على السيد أنه كاسر للناموس ، فإنه فى نفس الوقت سحبه نحو الوصية الالهية كمصدر للتمتع بالحياة الأبدية . وكما يقول **القديس مرقس الناسك** أن السيد المسيح نفسه مختفى فى الوصية فمن يمارسها عملياً يكتشفه داخلها . بمعنى آخر إن كانت الحياة الأبدية هى تمتع بالمسيح « الحياة » عينها ، فإننا نلتقى به عملياً متى آمنا به خلال دخولنا إلى أعماق الوصية لنجده سرّ تقديسنا ونقاوتنا وحياتنا .

أعلن الشاب أنه قد حفظ الوصايا منذ حداثته فأحبه المسيح ، وكما يقول **العلامة**

أوريجانوس : [لقد أحبه أو قبّله ، مظهراً تثبيت الحق فى عمله بقول الشاب انه حفظها كلها . . . إذ رآه قد أجاب بضمير صالح [٣٤٣]] .

ربما يتساءل البعض كيف يحب إنساناً أو يقبّله وهو يعلم أنه لا يتبعه ؟ ! . نجيب على هذا أنه أحب فيه البداية الحسنة لكنه لا يحب إنحرافه فيما بعد . أحب فيه ما استحق ان يحب ليدفعه لما هو أعظم لكن ليس إلزاماً ولا قهراً إنما بكامل حريته . لقد أحبه وقدم له الوصية التى تبلغ به إلى الكمال : « **يعوزك شىء واحد . إذهب بع كل مالك وإعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء ، وتعال اتبعنى حاملًا الصليب** » ع ٢١ .

من تعليقات الآباء على قول السيد بخصوص ترك محبة العالم وحمل الصليب :

+ حسناً قال « يكون لك كنز » ولم يقل « حياة أبدية » ، لأنه يتحدث فى أمر الغنى وتركه ، مظهراً أنه يتمتع بما أهو أعظم مما ترك بقدر ما السماء أعظم من الأرض .

القديس يوحنا الذهبى الفم

+ ليس من انطلقت فى نفسه وفى عظامه محبة المسيح ويقدر أن يحتمل قذارة الشهوة المزدولة . . . ليس من سبى عقله بحسن رب الكل يقدر أن بسببه شىء من هذا العالم بشهواته .

+ الذين ذاقوا عظمة حلاوته صاروا مبغضين كل نعيم .

+ كمال الوصايا هو الصليب ، يعنى نسيان شهوات العالم وإهمالها ، مع اشتياق وتلهف وحب للرحيل ، كقول القديس بولس : « لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً » فى ١ : ٢٣ .

القديس يوحنا سابا

أمام هذه الوصية الالهية وقف الشاب متعثراً . . . فقد رأى طريق السيد المسيح صعباً ، لأن محبته للمال قد حرمته من الدخول ، إذ يقول الانجيل : « **فاغتم على القول ومضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة** » ع ٢٢ . تألم السيد المسيح لهذا المنظر حين رأى أمور هذا العالم التى خلقها الله للإنسان كى يستعملها إستعملته هى لحسابها عبداً ، وعوض أن تسنده أذلت قلبه وربطته فى شباك التراب وفخاخه ،

لهذا » نظر يسوع حوله وقال لتلاميذه : ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله » ع ٢٣ . وإذ تحير التلاميذ « قال لهم : يا بنى ما أعسر دخول المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله . مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » ع ٢٤ ، ٢٥ .

لقد كشف لهم أن العيب لا فى الغنى إنما فى القلب المتكل على الغنى ! .

+ قال الرب هذا لتلاميذه الفقراء الذين لا يملكون شيئاً يعلمهم ألا يخجلوا من فقرهم ، مبرراً لهم لماذا لم يسمح لهم أن يملكوا شيئاً . . .

القديس يوحنا الذهبى الفم

يقدم لنا **القديس أمبروسيوس** تفسيراً رمزياً لكلمات السيد المسيح : « مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله بالقول بأن الجمل يشير الى شعوب الأمم (إش ٣٠ : ٦) وثقب الإبرة يشير الى طريق الصليب الضيق ، وكأن دخول الأمم خلال طريق السيد المسيح الضيق لهو أيسر من دخول الأمة اليهودية التى تمثل الغنى من جهة تمتعها بالناموس والآباء والأنبياء والوعود الخ . . . إلى ملكوت الله ! .

ويرى **القديس كيرلس الكبير** أن كلمة « جمل » هنا تشير إلى الحبال السميكة التى يستخدمها البحارة فى السفن . . . هذه التى لا يمكن أن تدخل فى ثقب إبرة .

إذ سمع التلاميذ كلمات السيد المسيح « بهتوا إلى الغاية ، قائلين بعضهم لبعض : فمن يستطيع أن يخلص ؟ ! فنظر إليهم يسوع وقال : عند الناس غير مستطاع ، ولكن ليس عند الله ، لأن كل شىء مستطاع عند الله » ع ٢٦ ، ٢٧ . لقد أدرك التلاميذ صعوبة الطريق بسبب إغراءات المال ، لكن رب المجد كشف لهم أنه ليس شىء غير مستطاع لدى الله ، فان كان يسمح لأحد بالغنى فانه يقدر بنعمته أن يحول هذا الغنى للخير ، كما حوّل غنى ابراهيم ويوسف وغيرهما لمجده . الحاجة إلى واحد ، الله الذى يسند النفس ويجذبها من كل حبال الشر ويهبها إمكانية عمل لحساب مملكة الله .

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [سبب قوله أن الله هو العامل ، الكشف عن أن من يضعه الله في هذا الطريق (الغنى) يحتاج إلى نعمة عظيمة ، مظهراً أنه ستكون المكافأة عظيمة للغنى الذى يتبع التلمذه للمسيح] .

٤ ـــ الترك والتبعية للمسيح

إذ رأى التلاميذ الشاب لا يحتمل الوصية الخاصة بالترك مع التبعية للمسيح ، تساءلوا ماذا يكون نصيبهم وقد تركوا كل شيء وتبعوه ، إذ « إبتدأ بطرس يقول له : ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك » ع ٢٨ . لقد تركوا أموراً قليلة وتافهة ، لكنها تمثل كل شيء عندهم . . . تركوا بقلوبهم الكل وتبعوه . . . لذلك أجابهم السيد إجابة عامة مشجعاً الدخول في الطريق الصعب ، طريق التخلى عن كل شيء بقوله : «**الحق أقول لكم ليس أحد ترك بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو إمرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلى ولأجل الانجيل إلا ويأخذ مئة ضعف الآن في هذا الزمان : بيوتاً وإخوة وأخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً مع اضطهادات ، وفي الدهر الآتى الحياة الابدية . ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين ، والآخرون أولين** » ع ٢٩ ـــ ٣١ .

+ يبدو لى أنه بهذه الكلمات أراد أن يحدثهم عن الإضطهادات بطريقة غير مكشوفة ، إذ يحدث أن يحاول كثير من الآباء أن يغروا أولادهم على الشر وتغرى النساء رجالهن .

القديس يوحنا الذهبي الفم(٢٤٤)

+ لا يذهب جندى إلى المعركة ومعه زوجته .

القديس جيروم(٢٤٥)

+ لاحظ كيف دفع كل سامعيه إلى رجاء أكيد . . . مؤكداً وعده بقسم ، بقوله كلمة « الحق » قبل إعلانه عن الوعد . . .

الأقوياء في الذهن ، الذين يفضلون محبة المسيح ، يتمسكون بالإيمان بشغف ويسعون بحماس أن يقتنوا الإنتساب لبيته خلال العلاقة الروحية ، غير مبالين بالحروب والإنقسامات التى يثيرها عليهم أقرباؤهم حسب الجسد . بهذا يترك الناس بيوتهم وأقرباءهم من أجل المسيح ليكوا إسمه بكونهم يُدعون مسيحيين ،

بل وبالحرى من أجل مجده ، لأن إسمه غالباً ما يعنى مجده .

لننظر بعد ذلك بأية كيفية من يترك بيته أو أباه أو أمه أو إخوته أو حتى زوجته يقبل أضعافاً فى هذا الزمان الحاضر . هل يصير زوجا لزوجات كثيرات أو يجد على الأرض آباء كثيرين عوض الأب الواحد ، وهكذا بالنسبة للقرابات الجسدية ؟ لسنا نقول هذا إنما بالحرى اذ نترك الجسديات والزمنيات نتقبل ما هو أعظم ، أقول نتقبل أضعافاً مضاعفة لأمور كانت لدينا . .

كل واحد منا نحن الذين نؤمن بالمسيح ونحب إسمه إن ترك بيتا يتقبل المواضع التى هى فوق ، وان ترك أباً يقتنى الآب السماوى ، إن ترك إخواته يجد المسيح يضمه إليه فى أخوة له . إن ترك زوجة يجد له بيت الحكمة النازل من فوق من عند الله ، إذ كتب : « قل للحكمة أنتِ أختى وأدع الفهم ذا قرابه » أم ٧ : ٤ . فبالحكمة (كزوجة) تجلب ثماراً روحية جميلة ، بها تكون شريكاً فى رجاء القديسين وتُضم إلى صحبة الملائكة . وإذ تترك أمك تجد أماً لا تقارن ، اكثر سمواً ، « أورشليم العليا التى هى أمنا (جميعاً) فهى حرة » غلا ٤ : ٢٦ . . . فإن من يُحسب مستحقاً لنوال هذه الأمور يُحسب وهو فى العالم سامٍ وموضع إعجاب ، إذ يكون مزيناً بمجد من قبل الله والناس . هذه الأمور واهبها هو ربنا كلنا ومخلصنا ، تحسب أضعاف مضاعفة بالنسبة للزمنيات والجسديات .

القديس كيرلس الكبير [٢٤٦]

+ من يتبع المسيح تخف عنه الآلام العالمية والملذات الأرضية ، متقبلاً إخوة وشركاء له فى الحياة يرتبط بهم إرتباطا روحياً ، فيقتنى حتى فى هذه الحياة حب أفضل مئة مرة عن (الحب المتأسس على الرباط الدموى) .

بين الآباء والأبناء والإخوة والزوجات والأقارب يقوم الرباط على مجرد القربى ، لهذا فهو قصير الأمد وينحل بسهولة . . . أما الرهبان (إذ يتركون الزواج) يحتفظون بوحدة باقية فى ألفة ، ويملكون كل شيء فى شركة عامة بينهم ، فيرى كل إنسان أن ما لإخوته هو له ، وما له هو لإخوته ، فإذا ما قارنا نعمة الحب التى لنا هكذا بالنسبة للحب الذى يقوم على مجرد الرباطات الجسدانية فبالتأكيد نجده أعذب وألذّ مئة ضعف .

هكذا أيضا نقتنى من العفة الزيجية (حيث ترتبط النفس بالرب يسوع كعريس لها) سعادة تسمو مئات المرات عن السعادة التى تتم خلال إتحاد الجنس . وعوض الفرح الذى يختبره الإنسان بملكيته حقلًا أو منزلًا يتمتع ببهجة الغنى مئات المرات بكونه إبن الله يملك كل ما يخص الآب الأبدى ، واضعاً فى قلبه وروحه مثال الإبن الحقيقى القائل : « كل ما للآب هو لى » يو ١٦ : ١٥ . . . إنه يربح لنفسه كل شىء ، منصتاً كل يوم لإعلان الرسول : « كل شىء لكم » ١ كو ٣ : ٢٢ . . .

الأب ابراهيم[٢٤٧]

(مناظرات القديس يوحنا كاسيان)

إذ حدثهم عن الترك من أجل الانجيل أعلن لهم أنه هو أولا يترك لأجلهم ، مسلماً نفسه لأحداث الصليب ، حيث يسلمه الكتبة ورؤساء الكهنة للأمم فيهزأون به ويجلدونه ويتفلون عليه ويقتلونه وفى اليوم الثالث يقوم (ع ٣٢ — ٣٤) .

+ لقد أظهر أنه يركض ليواجه آلامه ، ولا يرفض الموت لأجل خلاصهم .

+ قال هذا ليثبت قلوب تلاميذه ، حتى إذ يسمعون مقدماً ما سيحدث يكونون فى حالة أفضل مما لو سمعوا بعد الأحداث ، بهذا لا ينزعجون عندما يحزنون ؛ وأيضاً ليظهر لهم أنه يتألم باختياره ، إذ يعرف الخطر الذى يلاحقه ولا يهرب منه مع أن فى قدرته أن يفعل ذلك . . . لكنه أخذ تلاميذه على إنفراد إذ يليق أن يعلن سر آلامه لمن هم مقربيه إليه جداً .

الأب ثيوفلاكتيوس بطريرك بلغاريا

+ لقد عدّد لهم ما سيحدث له . . . حتى لا يضطربوا إذ تكون لهم الأحداث مفاجئة !

القديس يوحنا الذهبى الفم

+ هنا أيضاً مخلص الكل لكى يعد أذهان تلاميذه مقدماً أخبرهم بما سيحل به من آلام على الصليب ، وموت فى الجسد ، وذلك قرب صعوده إلى أورشليم ، كما أضاف أيضاً انه يجب أن يقوم ، ماسحاً الألم ، طامساً عار الآلام بقوة

المعجزة (القيامة) . فانه لأمر مجيد يليق بالله أن يحطم قيود الموت ويرد الحياة . فقد حملت له القيامة شهادة أنه هو الله ، وإبن الله كما عبّر الحكيم بولس . . . بهذه الطريقة قطع عنهم الافكار غير اللائقة مقدماً ونزع كل فرصة للعثرة .
القديس كيرلس الكبير (٢٤٨)

٥ ــ ترك حب الرئاسات

بدأ الإعلان عن الطريق الصعب بالكشف عن الوصية الصعبة ، ثم أعلن لهم عن الحاجة إلى إحتضان الأطفال والضعفاء بالحب الروحى العملى ، وأيضاً تحدث عن التخلى ليس فقط عن محبة المال وإنما حتى عن العلاقات القرابية إن صارت عثرة فى الطريق . . . والآن فإن أخطر صعوبة تواجه الخدام هى التخلى عن حب الرئاسات .

تقدم إليه يعقوب ويوحنا إبنا زبدى قائلين : يامعلم نريد أن تفعل كل ما طلبنا . فقال لهما : ماذا تريدان أن أفعل لكما ؟ فقالا له : إعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى مجدك » ع ٣٥ ــ ٣٧ .

يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [إذ سمع التلاميذ المسيح يتكلم عن ملكوته كثيراً ظنوا أن ملكوته يقوم قبل موته ، والآن إذ هو يتحدث عن موته معلناً لهم عنه مقدماً . جاءه التلميذان ليتمتعا بكرامات الملكوت] . كما يقول [سؤال المسيح لهما : ماذا تريدان ليس عن جهل منه للأمر وإنما ليلزمهما بالإجابة ، فيفتح الجرح ويقدم له الدواء (٢٤٩)] .

أجابهما السيد : « لستما تعلمان ما تطلبان » ع ٣٨ . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [كأنه يقول لهما أنكما تتحدثان عن الكرامات بينما اتكلم أنا عن الصراعات والمتاعب . إنه ليس وقت المكافأة الآن بل هو وقت الدم والمعارك (الروحية) والمخاطر ، لذلك أضاف : **« أتستطيعان أن تشربا الكأس التى أشربها أنا وأن تصطبغا (تتعمدا) بالصبغة التى أصطبغ بها أنا ؟ ! » ع ٣٨ .** لقد سحبهما من طريق سؤالهما الى الالتزام بالشركة معه لتزداد غيرتهما] . يقول **الأب ثيؤفلاكتيوس** : [لقد قصد بالكأس والصبغة (المعمودية) الصليب ، الكأس هى الجرعة التى نتقبلها بواسطته بعذوبة ، والمعمودية هى علة تطهيرنا من

خطايانا . وقد أجاباه بغير إدراك قائلين له : « نستطيع » ، إذ حسباه يتحدث عن كأس منظورة وعن المعمودية التى كان اليهود يمارسونهاالتى هى الغسالات قبل الأكل] .

لقد تسرعا فى الإجابة كما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** إذ ظنا أنهما ينالان كرامة الملكوت فوراً ، لذلك أجابهما : **« أما الكأس التى أشربها أنا فتشربانها وبالصبغة التى أصطبغ بها أنا تصطبغان ، وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم » ع ٣٩ ، ٤٠** . وكأنه يقول لهما ستنعمان بالآلام معى والاستشهاد أيضا ، لكن أمر تمتعكما بأمجاد الملكوت فهو أمر إلهى يوهب لكما لا حسب فكركما المادى إنما حسب خطة الله الخلاصية .

فى قوله « ليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم » يعلن دور الآب فى يوم الرب العظيم ، إذ هما يعملان معاً . . . . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [مع انه هو الذى يدين لكنه يظهر بهذه العبارة بنوته الأصيلة [٢٥٠]] .

يقول الانجيلى : **« ولما سمع العشرة ابتدأوا يغتاظون من أجل يعقوب ويوحنا » ع ٤١** ، فقد دفعتهم المشاعر البشرية إلى الحسد . هذا هو المرض الذى يوجهه عدو الخير بين الخدام ؛ حب الرئاسات والكرامة الزمنية . لهذا **« دعاهم يسوع وقال لهم : أنتم تعلمون أن الذين يحسبون رؤساء الأمم يسودونهم وأن عظماءهم يتسلطون عليهم . فلا يكون هكذا فيكم ، بل من أراد أن يصير فيكم عظيماً يكون لكم خادماً ، ومن أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً ، لأن إبن الانسان أيضاً لم يأتِ ليُخدم بل ليخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين » ع ٤٢ ــ ٤٥** .

+ لنتبع المسيح ربنا ، فان من يقول أنه يؤمن به يلزم أن يسلك كما سلك ذاك (١ يو ٢ : ٦) . لقد جاء المسيح ليخدم لا ليُخدم . لم يأتِ ليأمر وانما ليطيع ؛ لم يأتِ لكى تُغسل قدماه بل لكى يغسل هو أقدام تلاميذه . جاء لكى يُضرب لا ليضرب ، يحتمل ضعفات الآخرين ولا يصفع أحداً ، ليُصلب لا ليصلب . . . إذن لنمتثل بالمسيح ، فمن يحتمل الضعفات يمتثل به ، وأما من يضرب الآخرين فيمتثل بضد المسيح .

القديس جيروم [٢٥١]

٦ ــ الحاجة الى تفتيح الأعين

إذ كان السيد خارجاً إلى أريحا منطلقاً إلى أورشليم ليدخل الى الآلام ويحمل الصليب عنا التقى بأعميين ، ذكر القديس مرقس أحدهما بالاسم «بارتيماوس بن تيماوس » . كان هذا الأعمى « **جالساً على الطريق يستعطى ، فلما سمع أنه يسوع الناصرى إبتدأ يصرخ ويقول : يايسوع إبن داود إرحمنى . فانتهره كثيرون ليسكت ، فصرخ أكثر كثيراً : يا إبن داود ارحمنى . فوقف يسوع وأمر أن يُنادى ، فنادوا الأعمى قائلين له : ثق ، قم ، هوذا يناديك ، فطرح رداءه وقام وجاء إلى يسوع . فأجاب يسوع وقال له : ماذا تريد أن أفعل بك ؟ فقال له الأعمى : ياسيدى أن أبصر . فقال له يسوع :إذهب ، إيمانك قد شفاك . فللوقت أبصر وتبع يسوع فى الطريق** » ع ٤٦ ــ ٥٢ .

لهذا العمل الإلهى أهميته الخاصة ، فمن جهة أنه قد تم فى الطريق حيث كان السيد مسرعاً نحو الصليب ، وكأنه أراد أن يعلن غاية آلامه تفتيح عينى البشرية الداخليتين أى بصيرتها القلبية لتعاين أمجاد ملكوته القائم على صلبه وقيامته ، ومن جانب آخر جاء هذا العمل يعلنه الانجيلى بعد رفض الشاب الغنى التبعية للمسيح وانشغال التلاميذ بالمراكز الأولى والتمتع بالكرامات الزمنية . . . وكأن طريقه الصعب يحتاج الى عمله الالهى ليهب النفس إستنارة داخلية فتتعرف على ملامح الطريق وتسلك فيه . وقد قدم لنا الانجيلى تفاصيل تفتيح عينى هذا الأعمى لما حمله هذا العمل من مفاهيم روحية عميقة :

أولا : تم تفتيح العينين عند أريحا على الطريق . . . ويرى **القديس جيروم** ان إسم المدينة ملائم للموقف ، فانها تعنى « قمر » أو « أناثيما » اى « محروم » حيث كان السيد منطلقاً إلى أورشليم ليحتمل الآلام والحرمان بالجسد لأجل خلاصنا .

كان الأعمى جالساً على الطريق يستعطى . . . فإن كان طريق العالم سهلاً وطريق الرب صعباً ، لكن الأول يفقد النفس بصيرتها وحيويتها فيجعلها كمن فى الطريق خاملة بلا عمل ، تجلس فى خيبة أمل تستعطى الآخرين .

ثانيا : كانت صرخات الأعمى : « يايسوع إبن داود » تعلن إيمانه به أنه المسيا

المنتظر ، الموعود به . . . إنه إبن داود الذى تترقبه الأجيال . يقول **القديس كيرلس الكبير** : [إذ تربى فى اليهودية ، وكان بحسب الميلاد من هذا الجنس لم تهرب من معرفته النبوات الواردة فى الناموس والأنبياء بخصوص المسيح . لقد سمعهم يسبحون هذه العبارة من المزامير : « أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه ، من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك » مز ١٣٢ : ١١ . لقد عرف أيضاً أن الطوباوى إشعياء النبى قال : « ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت (يزهر) غصن من أصوله » إش ١١ : ١ ، وأيضا قال : « ها العذراء تحبل وتلد إبناً وتدعو إسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا » إش ٧ : ١٤ ، مت ١ : ٢٣ . فإنه إذ آمن أن الكلمة بكونه الله تنازل بارادته ليولد حسب الجسد من عذراء مقدسة ، اقترب منه كما من الله ، وقال له : « إرحمنى يا ابن داود » . . . لقد شهد أيضاً لمجده بسؤاله عملاً لا يقوم به غير الله » وحده [٢٥٢]] .

ثالثاً : كانت الجموع تحيط بالسيد وتزحمه جسدياً ، وعندما أراد الأعمى أن يلتقى به إيمانياً لم يجد من الجموع إلا المقاومة ، إذ قيل « فانتهره كثيرون ليسكت » ، وأمام هذه المقاومة : « صرخ أكثر فاكثر » من واعز إيمانه الذى لا يُغلب .

حتى فى داخل الكنيسة حينما يود إنسان أن يلتقى بالسيد خلال الروح قد يجد مقاومة وروح النقد التى تثبط الهمم ، لكن النفس التى تتمسك بالإيمان الحىّ تشعر باحتياجها للمخلص فتزيدها المقاومة صلابة ، ويزداد صراخها الداخلى أكثر فأكثر ، فيكرمها السيد المسيح بدعوتها أن تقترب منه وتتمتع بحضرته كما بعمله الداخلى فيها . يقول **القديس كيرلس الكبير** : [لنفهموا من هذا يا أحبائى أن الإيمان يدخل بنا إلى حضرة المسيح ، ويقدمنا إلى الله (الآب) فنحسب مستحقين لكلماته [٢٥٣]] .

رابعاً : إذ أمر السيد ان يُنادى تحولت القوى المقاومة الى قوى عاملة إذ نادوه قائلين : ثق ، قم ، هوذا يناديك .

إن كانت هذه الجموع تشير أيضا إلى الجسد الذى كثيراً ما يقاوم النفس حين تود الالتقاء مع مخلصها ببث روح الخمول والتراخى ، لكن النفس المثابرة تستعطف

المخلص فيحول الجسد إلى آلآت برّ تعين النفس فى لقائها مع الرب . لهذا يقول القديس يوحنا سابا : [يتنعم الجسد والنفس معا فى الرب بالمحبة والفرح (٢٥٤)] .

خامساً : طرح الأعمى رداءه وقام وجاء الى يسوع . . . إنه تدريب يومى تقوى فيه يطرح المؤمن أعمال الإنسان القديم كرداء ، ويتمتع بالقيامة مع السيد ليكون دوماً معه وفى حضرته .

سادسا : سأله السيد : ماذا تريد أن أفعل بك ؟ ليس عن عدم معرفة إنما ليعلن إيمانه أمام الجميع ، وليؤكد أنه يعطى من يسألونه .

سابعا : تمتع بالبصيرة فتبع يسوع فى الطريق ، وكما يقول **القديس جيروم** : [وأنتم أيضا تستردون بصيرتكم ان صرختم اليه وطرحتم رداءكم القذر عنكم عند دعوته لكم . . . دعوه يلمس جراحكم ويمر بيديه على أعينكم ، فإن كنتم قد وُلدتم عميان من البطن ، وإن كانت أمهاتكم قد حبلت بكم بالخطية فهو يغسلكم بالزوفا فتطهرون ، يغسلكم فتصيرون أبيض من الثلج (مز ٥١ : ٥ ، ٧) (٢٥٥)] .

+ + +

الباب الرابع

خدمته في أورشليم

ص ١١ - ص ١٣

الاصحاح الحادى عشر

دخوله أورشليم

إعتدنا فى هذا السفر أن نرى السيد المسيح المنسحب فى الغالب من الجماهير ، المبكم الأرواح الشريرة لكى لا تخبر عنه ، السائل المتمتعين بأشفيته ألا ينطقوا بشىء ، لكننا فى هذا الأصحاح نجده لأول مرة يعطى إهتماماً للإعداد لدخوله أورشليم على نفس المستوى للإعداد للفصح (١٤ : ١٣ — ١٦) . إنه يدخل فى موكب عظيم ارتجت له المدينة كلها . . . ولم يكن هذا العمل بقصد طلب مجد عالمى أو نوال كرامة أو سلطة إنما هو موكب روحى يمس حياتنا الداخلية وخلاصنا الأبدى :

١ — موكب نصرته	١ — ١٠.
٢ — شجرة التين العقيمة	١١ — ١٤ .
٣ — غيرته على هيكله	١٥ — ١٩ .
د — يبوسة شجرة التين	٢٠ — ٢٦ .
٥ — سؤاله عن سرّ سلطانه	٢٧ — ٣١ .

+ + +

١ — موكب نصرته

فى دراستنا للإنجيل بحسب متى تلامسنا مع السيد المسيح كملك حقيقى جاء ليتربع على القلب خلال صليبه ، فرأينا فى دخوله أورشليم (مت ٢١) الموكب الملوكى الذى إنطلق به السيد ليملك على خشبة الصليب مقدماً حياته عن شعبه .

والآن فى دراستنا لإنجيل مرقس الرسول ماذا نرى فى هذا الموكب ؟

كانت الأصحاحات السابقة أشبه بدعوة لقبول السيد المسيح العامل بالألم ، صاحب السلطان ، يأمر الشياطين فتخرج ويلمس المرضى فتهرب الأمراض . . . الكل يخضع ويطيع ، أما الآن فإنه منطلق إلى أورشليم ليحقق ما سبق وأعلنه مرة ومرات أن إبن الإنسان ينبغى أن يتألم . إنه يدخل إلى معركة ضد عدو الخير لحساب البشرية ، ليهبها فيه قوة الغلبة والنصرة ويدخل بها إلى أورشليمه العليا ومقدساته السماوية ، إلى حضن ابيه ، إنطلق بموكب عظيم لا إشتياقاً إلى مجد زمنى وإنما إعلاناً عن موكب النصرة العام للكنيسة الثابتة فيه . بمعنى آخر أن هذا الموكب إنما هو موكب الكنيسة الجامعة منذ آدم الى آخر الدهور ، ينطلق خلال الاتحاد بالرأس ليقبل الحياة المتألمة وشركة الصلب فينعم بالنصرة فى الرب والقيامة به وفيه .

يقول الانجيل : « **ولما قربوا من أورشليم إلى بيت فاجى وبيت عنيا عند جبل الزيتون أرسل إثنين من تلاميذه** » ع ١

بدأ السيد نفسه يعد الموكب عندما اقتربوا من أورشليم الى بيت فاجى وبيت عنيا ، وكأن طريق آلامه وصلبه وبالتالى الامنا وصلبنا معه ليس خطة بشرية ولا هو مجرد ثمرة لأحقاد الأشرار وتدابيرهم للمقاومة والقتل إنما هو طريق يعد له الرب نفسه ويسمح به لننال فيه قوة القيامة وبهجتها خلال الصليب . ما نلاقيه من آلآم وما نتعرض له من تجارب فى حياتنا ليس محض صدفة أو قدر نسقط تحت نيره إنما هو طريق يمهد له الرب لنسلك فى موكب نصرته ونبلغ أورشليمه معه وفيه .

بقوله : « **ولما قربوا من أورشليم** » إنما يعلن أن الطريق مهما بدا لنا ضيقاً وكرباً لكنه قصير للغاية ، فان أورشليم السماوية ليست ببعيدة عنا بل هى قريبة منا جداً ، أو نحن صرنا قريبين منها جداً بدخولنا موكب آلام المسيح ، لهذا كانت كلمات السيد المسيح الأولى فى كرازته : « قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالانجيل » ١ : ١٥ (مت ٤ : ١٧) . وهذا ما أعلنه السابق له الذى أعد له الطريق بقوله للشعب : « توبوا لأنه قد إقترب ملكوت السموات » مت ٣ : ٢ ، وهى ذات الكلمات التى وضعها السيد فى أفواه تلاميذه حينما أرسلهم للكرازة (مت ١٠ : ٧) ...

لقد جاء السيد المسيح ليقود موكب الصليب بنفسه ، به صرنا قريبين من أورشليمه الحقيقية ، ملكوته السماوى ، لندخل به فيها ، قائلين مع الرسول : « ولكن شكراً لله الذى يقودنا فى موكب نصرته فى المسيح كل حين ويظهر بنا رائحة معرفته فى كل مكان » ٢ كو ٢ : ١٤ .

أما بدء الموكب فهو قريتا « بيت فاجى وبيت عنيا » ، لم يذكر قرية واحدة منهما إنما يصر الانجيلى على ذكر القريتين معاً ، فان رقم ٢ كما يقول **القديس أغسطينوس** يشير إلى المحبة لله والناس ، فبفلسين قدمت الأرملة كل حب قلبها فى خزانة الرب ، وبالدينارين أعلن السامرى الصالح أعماق محبته للجريح . . . ونحن لن نقدر أن نبدأ موكب الصليب ولن يكون لنا موضع فى جسد السيد المسيح المتألم والممجد مالم نبدأ بالقريتين ونلتقى به فى موكبه خلال الحب . الصليب ليس ظلماً يسقط علينا ولا تجربة تحل بنا ، لكن الصليب هو انفتاح القلب الداخلى بالحب لله والناس بلا تمييز ولا محاباة ليتسع للجميع فنحمل سمة المصلوب الذى قيل عنه : « ونحن اعداء قد صولحنا مع الله بموت إبنه » رو ١٠ . بالحب الحقيقى حتى للمقاومين والاعداء البشريين وإتساع القلب للبشرية كلها يضمنا الروح القدس إلى موكب الصليب لنمارس شركة الحب الإلهى خلال الألم ونتمم بالغلبة الروحية حين نرى أنفسنا وقد اشتهينا أن نجلس فى آخر صفوف الموكب لنفرح بالنفوس المتقدمة فى الرب والممجدة به ، قائلين مع الرسول بولس :« فانى كنت أود لو أكون أنا نفس محروماً من المسيح لأجل إخوتى » رو ٩ : ٣ . . . هذا الذى إذ يرى شعب الله وقد دخل الموكب السماء بحسب مجدهم مجداً له وفرحهم فرحه فيقول لهم بصدق : « يا سرورى واكليلى » فى ٤ : ١ .

ان كانت « **فاجى** » تعنى « الفك » ، « **وعنيا** » تعنى « العناء » أو الطاعة . . . فاننا ننطلق مع السيد فى موكبه إن قبلنا الوصية الخاصة بالفك أو الخد الآخر ، حين نحوله بالحب للضاربين (مت ٥ : ٣٩) ، وإن قبلنا بفرح كل عناء وألم فى طاعة كاملة لله ، وكأن القريتين تشيران إلى حياة الحب العملى الممتزجة بالآلام(٢٥٦) .

أما قوله « عند جبل الزيتون » فكما يرى كثير من الدارسين أن إرتباط الموكب بجبل الزيتون يعلن عن طبيعة هذا الموكب أنه « موكب مسيانى » . ثلاثة أمور أعطت لدخول السيد أورشليم فهماً مسيانياً : إرتباطه بجبل الزيتون ، إرساله لإحضار جحش، الإشارة إلى مملكة داود . . . هذه الأمور الثلاثة كشفت عن طبيعة الموكب أنه ليس موكب رجل حرب وإنما موكب المسِّيا المخلص ، موكب الرب نفسه ، كما سبق فأنبأ زكريا النبى : « تقف قدماه فى ذالك اليوم على جبل الزيتون الذى قدام أورشليم من الشرق فينشق جبل الزيتون من وسطه ونحو الشرق ونحو الغرب وادياً عظيما جداً . . . ويأتى الرب إلهى وجميع القديسين معك » زك ١٤ : ٤ ، ٥ . فجبل الزيتون هو جبل أو تل الزيت الذى للدهن ، يعلن عن مجيء الممسوح الذى يغرسنا كأشجار زيتون خضراء فى بيت الله (مز ٥٢ : ٩) ، يغرسها على جبله المقدس كفردوس حقيقى فى جنة عدن الروحية نحو الشرق (تك ٢ : ٨) ، فيشرق علينا بنور صليبه . لهذا كانت توقعات اليهود أن مجيء المسيا مرتبط بجبل الزيتون كما أكد ذلك المؤرخ اليهودى يوسيفوس فى أكثر من موضع[٢٥٧] .

لا ندهش مما حمله هذا الموكب من مواقف ومناظر رائعة وكثيرة لكن الانجيلى أعطى اهتماماً خاصاً باحضار الجحش الذى يركبه السيد ، إذ يقول فى شىء من التفصيل :

« وقال لهما إذهبا إلى القرية التى أمامكما فللوقت وأنتما داخلان إليها تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد من الناس ، فحلاه وأتيا به ، وإن قال لكما أحد : لماذا تفعلان هذا ؟ فقولا : الرب محتاج إليه ، فللوقت يرسله إلى هنا . فمضيا ووجدا الجحش مربوطاً عند الباب خارجاً على الطريق فحلّاه . . . » ع ٢ — ٤ .

أرسل السيد بنفسه تلميذين لإحضار الجحش الذى أعطاهما وصفاً لموضعه ولحالته كما وضع فى فمهما ما يقولان به لمن يسألهما عن تصرفهما . . . فقد حمل هذا كله مفاهيم روحية تمس موكب نصرتنا من جهة :

أولا : إهتمام الإنجيلى بابراز دخول السيد المسيح راكباً على جحش ، إنما ليعلن أن موكب السيد هو موكب أصحاب العيون المفتوحة ، فقد اعتاد الرومان أن يلتفوا

حول القادة أصحاب السلطان الذين لهم المركبات الحربية العنيفة بينما ترقب كثير من اليهود فى القائد الجديد أن يأتى بموكبه من السماء ، وكما قال الحاخام يوشيا بن لاوى (حوالى سنه ٢٥٠م) ان كان إسرائيل مستحقاً فيأتى المسيا راكباً سحاب السماء أم إن كان غير مستحق فيأتى فى اتضاع راكباً أتاناً(٢٥٨) . اما الإنجيلى مرقس فيقدم لنا على خلاف النظريتين السابقتين ، يقدم لنا المسيا راكباً على جحش حتى يستطيع أصحاب العيون الروحية النقية وحدهم أن يدركوا حقيقة القادم إلى أورشليم ، بكونه ذاك الذى تنبأ عنه زكريا النبى أنه يأتى راكباً على آتان وجحش ابن أتان (زك ٩ : ٩) . هذا ما أوضحه القديس يوحنا الانجيلى إذ علق على دخول السيد المسيح راكبا على جحش بقوله : « وهذه الأمور لم يفهمها تلاميذه أولاً ، ولكن لما تمجد يسوع حينئذ تذكروا أن هذه كانت مكتوبة عنه وأنهم صنعوا هذه له » يو ١٢ : ١٦ ، وكأنه حتى التلاميذ لم يدركوا حقيقة الموكب قبل انفتاح اعينهم بالروح القدس ليفهموا أسرار المسيا وتحقيق النبوات فى شخصه .

ثانياً: يتحدث السيد المسيح عن الجحش الذى طلبه : **تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد من الناس** « . . . فإن كان كثير من آباء الكنيسة(٢٥٩) قد رأوا فى الأمم وقد دخلت إلى الحياة الحيوانية وغباوة الجحش بسبب إنحرافاتهم ورجاساتهم المرة ، فقد قبل السيد هذه الأمم لتكون عرشاً له ، وكأنها قد صارت له « سحاب السماء» الذى يأتى قادماً عليه .

يصفه السيد المسيح أنه مربوط ، فقد ظن الرومان أنهم أحرار أصحاب السلاطين فى العالم ولم يدركوا أنهم فى حاجة إلى تلاميذ السيد المسيح يكرزون له بانجيل الخلاص لكى يفكوا رباطاتهم الداخلية ، ويصيروا عرشاً إلهياً يحلّ الرب عليه . أما قوله « لم يجلس عليه أحد » فكما يقول **العلامة أوريجانوس** أن الأمم لم يسبق لهم عبادة الله الحىّ ولا تسلموا شريعته ولا عرفوا مواعيده كما تمتع اليهود ، إنهم بلا خبرة روحية وكأنهم لم يجلس عليهم أحد . ولعل تعبير « لم يجلس عليه أحد » يعلن عن طبيعة الموكب أنه دينى سماوى روحى إلهى ؛ فالكهنة والعرافون إذ رأوا ما حلّ بالفلسطينيين بسبب تابوت العهد ، قالوا : « إعطوا إله اسرائيل مجداً لعله يخفف يده عنكم . . . فالآن خذوا واعملوا عجلة واحدة جديدة وبقرتين مرضعتين لم يعلهما نير واربطوا

البقرتين إلى العجلة . . . وخذوا تابوت الرب واجعلوه على العجلة . . . واطلقوه فيذهب » ١ صم ٦ : ٧ . هكذا عرف كهنة الأمم والعرافون أن الموكب الإلهى يتطلب عجلة جديدة ببقرتين لم يعلهما نير . . . الأمر الذى يعرفه داود النبى الذى طلب من منتخبى إسرائيل : « اركبوا تابوت الله على عجلة جديدة » ٢ صم ٦ : ٣ . وعندما أراد أليشع النبى أن يطرح ملحاً فى المياه الردية لاصلاحها كرمز للسيد المسيح الذى يصلح العالم احتاج إلى صحن جديد يضع فيه الملح (٢ مل ٢ : ٢٠) . . . وهكذا النفس التى يسكنها الرب لتكون عروساً له يلزم أن تكون عذراء (مت ٢٥) ليست لآخر غيره . لعله لهذا السبب وهب السيد المسيح كنيسته روحه القدوس الذى ينزع الانسان القديم ويهب الانسان الجديد الذى على صورة خالقه ليكون بالحق عرشاً جديداً لله لم يجلس عليه أحد . حتى إن أخطأنا وفتحنا باب القلب لآخر فإن عمل الروح القدس هو التجديد المستمر حتى يجد الرب القلب جديداً على الدوام ليس من يقتحمه ولا من يغتصبه ، إنما يكون عرشاً يملك عليه وحده لا يجلس عليه آخر .

ثالثاً : كتب **القديس أثناسيوس الرسول** ميمراً خاصاً بإرسالية التلميذين لحلّ الجحش بكونها إرسالية رمزية لفك رباطات الأمم من الرجاسات الوثنية والدنس ، إذ قال : [يا أحبائى ، حلّ الجحش موهبة ! إنها موهبة تعطى للعظماء ، لا عظمة الجسد بل عظمة الإيمان والمحبة والعقل والفضيلة ، مثلما شُهد به عن موسى أنه صار عظيماً فى شعبه . . . فانه من كان عظيماً يقدر أن يحل الجحش ! . . . ليتنى أكون مثلهما أستطيع أن أفك قيود الحاضرين لأن كل واحد منا مقيد بقيود الخطية كما شهد الكتاب قائلاً إن كل أحد مربوط بحبائل خطاياه . لنبتهل إذن لكى يرسل الرب يسوع تلاميذه الينا فيحلوننا من القيود المكبلين بها جميعاً ، إذ بعضنا مقيد بحب الفضة وآخر بقيود الزنا ، وآخر بالسكر ، وآخر بالظلم[٢٦٠]] .

هكذا يرى **القديس أثناسيوس** فى هذا العمل صورة رمزية للتمتع بالحل من الخطايا خلال السلطان الرسولى ، وذلك حسب وصية السيد المسيح وبكلمته . الحلّ هو موهبة إلهية وعطية يقدمها الله نفسه خلال كهنته !

رابعاً : « وجدا الجحش مربوطاً عند الباب خارجاً على الطريق » ع ٤ . . . لقد وجداه خارجاً عند الباب على الطريق ، وكأنه يمثل الإبن الضال الذى إشتهى أن ينطلق من بيت أبيه فخرج خارجاً وصار كمن هو على قارعة الطريق ليس من يضمه إليه ولا من يهتم به . على أى الأحوال جاء المسيا كمن خرج من سمواته وهو مالىء السماء والأرض ، وانطلق إلى ذاك الذى عند الباب خارجاً على الطريق يمسك به بالحب ويضمه إليه ويرده إلى البيت من جديد .

يرى **القديس أثناسيوس الرسولى** فى هذا الأمر صورة رمزية للإنسان الأول ، آدم ، الذى طرد من الفردوس فصار كمن فى قرية محاذية لأورشليم ، يقف عند الطريق لا يقدر بذاته أن يرجع إلى جنة عدن ، إذ يقول : [لقد أرسلا ليحلا الجحش ، لأن حضور مخلصنا ووده للبشر إنما هو استدعاؤنا ثانية من القرية المحاذية إلى أورشليم المدينة السمائية ، لأنه حسب ظنى أنه من أجل المعصية الصائرة من آدم أخرج من الفردوس ونُقل إلى القرية المحاذية ، لأن الله أخرج آدم وأسكنه بآزاء جنة النعيم[٢٦١]] .

ويقول **القديس أمبروسيوس** : [وجداه مربوطاً عند الباب لأن من هو ليس فى المسيح يكون خارجاً فى الطريق ، أما من كان فى المسيح فلا يكون خارجاً[٢٦٢]] .

خامساً : طلب السيد المسيح من تلميذيه أن يقولا : « الرب محتاج إليه » . يليق بصاحبه أن يقدمه للرب مادام الرب محتاجاً إليه ، كما قدمت الأرملة فلسيها اللذين من أعوازها لأن الرب يطلب من أعوازها لا من فضلاتها . . . إنه محتاج إلى قلوبنا ، لنرد له حبه بالحب .

يرى **القديس أثناسيوس الرسولى** أنه لم يكن للجحش صاحب واحد بل أصحاب كثيرون لعله يقصد بذلك الخطايا التى ملكت عليه فصار عبداً لها وفى قبضة يدها . لكن متى طلب الرب ماله لا تستطيع الخطايا ولا الشياطين إلا أن تستسلم ، بل وتهرب !

نقتطف هنا بعض عبارات سجلها لنا **القديس أثناسيوس** فى هذا الشأن : [كان للجحش أصحاب كثيرون لأن أصحاب الجحش قالوا للتلاميذ لم تحلوا الجحش ؟

ولعلهم قالوا لهم أما تبصرون يا قوم كيف هو مربوط وهو مسلم إلينا فلم تأخذوه منا ؟ إنه يساعدنا فى عملنا ولم تحلوا أملنا . . . ؟ انكم تريدون أن تعدمونا هذا وهذا إن الحل من القيود فنحن لا محالة نُقيد عوضاً عنه ، وإن عنق هذا فنحن تسحب بدله ، لأن الشياطين كانوا خائفين لما أبصروا الجحش الحل ، واضطربت القوى المضادة لما أتى ربنا ومخلصنا يسوع المسيح وعلموا بقدومه . تفرقوا وفزعوا لما سمعوا الرب يقول لتلاميذه قد أعطيتكم سلطاناً تدوسوا الحيات والعقارب وعلى كل قوة العدو ، رهبوا لما سمعوه يقول انطلقوا وتلمذوا كل الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس ، وخشوا لئلا يكون هذا هو الذى ينير الظلمة ، لأنهم سمعوا النبى قائلا : الشعب الجالس فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً] .

[خيرات عظيمة منحنا الرب إياها لأنه لم يحل قيودنا من الخطية فقط بل منحنا سلطاناً أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو لأن الشرير وضابطى ظلمة هذا العالم أسرونا فقيدونا وربطونا بقيود لا تنحل ولم يكونوا يسمحون لنا أن نسلك الطرق الصالحة ، كنا معهم مقيدين وهم أيضاً بحذائنا جلوس . قوم أشرار وسادة قساة لكن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح أقبل ليعطى اطلاقاً للمأسورين والبصر للعميان] .

[قال أصحاب الجحش للتلاميذ لم تحلون الجحش ؟ فأجاب التلاميذ ان صاحبه محتاج إليه . . . أنظر إلى إجابة التلاميذ الحكيمة فإن أصحاب الجحش الكذبة لما سمعوا أن صاحب الجحش الحقيقى فى حاجة إليه ولوا ظهورهم ولم يجيبوا بل اسرعوا إلى رئيسهم الشرير ليخبروه بالأمور التى عرضت . . . هناك المؤامرة على الرب ، لأن هناك التأمت القوى الرديئة ، هناك محفل الأشرار كى يتم قول النبى : « قامت ملوك الأرض والرؤساء اجتمعوا معاً على الرب وعلى مسيحه » لأن الأبالسة قالوا لرئيسهم الشرير ماذا نصنع ؟ الجحش قد حل ومضى إلى صاحبه ومن الآن ليس تحت طاعتك ولا تملكه . فكر إبليس ماذا يصنع بيسوع واجتمع الفريسيون والكهنة إلى دار قيافا واشتركوا فى الرأى على المسيح ليهلكوه . . . فإذ قد تحررنا من استعباد الشيطان فلنعرف المحسن إلينا ربنا يسوع المسيح الذى له المجد إلى الأبد آمين[٣٦٣]] .

يقول **القديس أمبروسيوس** : [لم يكن له الصاحب الواحد بل كثيرون . لقد ربطه غرباء لكى يمتلكونه ، لكن المسيح حلّه لكى يحتفظ به ، إذ هو يعلم أن العطايا (الحلّ) أقوى من القيود[٢٦٤]] . ويقول **الأب ثيؤفلاكتيوس** : [الذين منعوهما هم الشياطين ، وهم أضعف من التلاميذ[٢٦٥]] .

سادساً : من هما هذان التلميذان الذى أرسلهما السيد ليحلا البشرية إلا الكرازة بالخلاص خلال العهدين القديم والجديد ، فقد وهب الرب شعبه كلمته لتدخل بنا إلى التمتع بالمصالحة ، فى العهد القديم خلال الرموز والظلال ، وفى العهد الجديد خلال الحق .

لعل إرسال تلميذين يشيران إلى « الحب » فنحن نعلم أن رقم ٢ يشير إلى « الحب » ، إذ لا يستطيع أحد أن يتمتع بالحل من خطاياه مالم يكن إيمانه عاملاً بالمحبة ! إن أحببنا الله والناس إنما ننال غفران خطايانا ونتعم بالدخول إلى أحضان الله بالمحبّة ! لهذا يقول الكتاب : « ويل لمن هو وحده » جا ٤ : ١٠ ، فعند خروج الشعب من مصر قاده إثنان (موسى وهرون) ، وأيضا عندما أرسل يشوع ليتجسس أرض الموعد أرسل اثنين ، وتابوت الرب كان يُحمل بعصوين ، والرب نفسه كان يكلمهم خلال كاروبين ، ونحن نسبح للرب بالذهن والروح ، وفى إرسالية التلاميذ أرسلهم السيد المسيح إثنين إثنين .

إذ أحضر التلميذان الجحش يقول الإنجيلى : « **ألقيا ثيابهما فجلس عليه ، وكثيرون فرشوا ثيابهم فى الطريق** » ع ٧ ، ٨ . وقد رأينا أن وضع الثياب تحته يشير إلى قبوله ملكاً عليهم كما حدث مع ياهو بن يهو شفاط (٢ مل ٩ : ١٣) . ولعل هذا التصرف أيضاً يشير إلى ما فعله الرسل مع الأمم فقد ألقوا عليهم ثيابهم أى تعاليمهم الرسولية والحياة الفاضلة فى الرب وتفسير الكتب المقدسة[٢٦٦] لكى تستر حياتهم بعد عرىّ هذا زمانه ، فيصيرون عرشاً لله يجلس عليه ويملك . هذه الثياب لا تزال الكنيسة تلقيها على كل قلب متعرى ومرتعش برداً لتحوله كرسياً للسيد يستريح عليه ! أما فرش الثياب فى الطريق تحت قدميه فيشير إلى خضوع الجسد للرب بعد أن كان خاضعاً للشهوت الرجسة . كثيرون فرشوا ثيابهم فى الطريق من أجل الرب ، فالشهداء فرشوا أجسادهم خلال قبولهم سفك دمائهم من أجل الإيمان كطريق

يسلك عليه الرب خلال البسطاء الذين قبلوا الإيمان ، وأيضا النساك الروحيون فرشوا أجسادهم بالنسك الروحى الإنجيلى فصارت حياتهم طريقاً يسير الرب عليه عبر الأجيال ، وهكذا الكارزون والعلمانيون حتى الأطفال يقدرون أن يلقوا بثيابهم تحت قدمى الرب فى الطريق ليسير عليها .

يقول **القديس أمبروسيوس** : [فرش التلاميذ ثيابهم الخاصة تحت خطوات المسيح إشارة للإنارة فى كرازتهم بالإنجيل ، لأنه كثيراً ما أشارت الملابس فى الكتب الالهية إلى الفضائل(٢٦٧)] .

يكمل الإنجيل حديثه هكذا : **وآخرون قطعوا اغصاناً من الشجر وفرشوها فى الطريق ، والذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين : أوصنا ، مبارك الآتى باسم الرب** » ع ٨ ، ٩ . قلنا أن الذين تقدموا موكب السيد هم آباء العهد القديم وأنبياؤه والذين تبعوه هم رجال العهد الجديد ورسله وتلاميذه ، فالكل — رجال العهدين — قد إلتفوا حوله يطلبون خلاصه . الأولون ساروا معه خلال الرموز وكلمة النبوة والآخرون يسيرون معه خلال الكرازة بالانجيل . . . لكنه موكب واحد مركزه المسيح الواحد ، الذى يحلّ فى وسط كنيسته الممتدة منذ بدء الخليقة إلى نهاية الدهور .

ويرى **الأب ثيوفلاكتيوس** أن هذا الموكب خاص بالسيد المسيح يتحقق داخل النفس المؤمنة بالأعمال الفاضلة فى الرب ، فلا يكفى أن نحتفل به بالاعمال السابقة التى سلكنا فيها من أجله وإنما يتحقق الإحتفال أيضا بدوام العمل الروحى كأعمال لاحقة لحساب مجد الرب .

على أى الأحوال فان هذا الموكب يذكرنا بعيد المظال حيث كانت الجماهير تخرج إلى الحقول كل يوم من أيام العيد لترجع إلى الهيكل فى موكب عظيم تحمل اغصان الشجر ، وكانت تجتمع حول المذبح لتلوح بها فى هتافات جماعية مفرحة وتهليلات روحية طالبين من الرب خلاصه ، قائلين «أوصنا » أو « هوشعنا » .

حقاً لم يكن يوم أحد الشعانين موافقاً عيد المظال اليهودى ، لكن الشعب وهو لا يدرى كان يرى فى السيد المسيح تحقيقاً لكل نبواتهم ، فيه يتحقق الفصح بكونه

الذبيحة الفريدة التى تعبر بهم لا من عبودية فرعون بل من أسر إبليس إلى حرية مجد أولاد الله ، وفيه يتحقق عيد المظال فيحملون سعف النخيل وأغصان الشجر ويترنمون بليتورجية العيد . ففى المسيح ننعم ببهجة عيد المظال حيث ندرك أننا نعيش كغرباء ونزلاء فى جسد أشبه بمظلة من العشب تنتهى لننعم به جسداً روحانياً فى يوم الرب، ونسكن فى مسكن ابدى غير مصنوع بيد ، كقول الرسول : « لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضى فلنا فى السموات بناء من الله بيت غير مصنوع بيد أبدى » ٢ كو ٥ : ١ .

كانت الجماهير تمسك بأغصان الشجر كما فى عيد المظال ، والتى كانت تسمى بالفعل « أوصنا » أو « هوشعنا »(٢٦٨) لارتباطها بصرخات الشعب طالبين خلاص الله وعونه .

كان الكل يهتف للسيد المسيح بصرخات ليتورجية عيد المظال التى كانت تدوى حول المذبح . . . وكأن الجماهير وهى تعيد بعيد المظال الحقيقى ترى فى المسيح المذبح والذبيحة ، فتتهلل إذ جاء وقت خلاصها . ولعل المرتل قد رأى ذات المنظر حين ترنم بذات الصرخات الليتورجية حين قال : « هذا هو اليوم الذى صنعه الرب ، نبتهج ونفرح فيه . آه يارب خلص (أوصلنا) ! آه يارب إنقذ (أوصنا) ! مبارك الآتى باسم الرب ! باركناكم من بيت الرب ! الرب هو الله ، وقد أنار لنا . أوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح » مز ١١٨ : ٢٤ — ٢٦ . لقد عيّد المرتل عيد المظال حين أنار الله عينيه فرأى الرب هو الله ، وأدرك سرّ الذبيحة التى أُوثقت بربط إلى الصليب « قرون المذبح » .

لكى يُظهر الإنجيلى أن الموكب خاص بالمسيا المنتظر قدم أحد علاماته الرئيسية وهو إرتباطه بداود النبى ، إذ كانت الجماهير تقول : « **مباركة مملكة أبينا داود الآتية بإسم الرب ، أوصنا فى الأعالى** » ع ١٠ . إنه موكب المسيا الموعود به بكونه إبن داود ، وهو موكب سماوى إذ جاء من هو « فى الأعالى » . إنها مملكة الله نفسه ! يقول **الأب ثيؤفلاكتيوس** : [دعوا مملكة المسيح مملكة داود ، لأن المسيح جاء من نسل داود ، كما أن داود يشير إلى صاحب اليدّ القوية ، إذ من يده قوية كيد الرب الصانعة عجائب هذا مقدارها ؟ !(٢٦٩)] .

والعجيب أن السيد المسيح لم يهرب من الموكب ولا منع الجموع من دعوته ملكاً ، معلماً أياهم أنه ملك لكن ليس من هذا العالم ولا على مستوى أرضى ، إنما هو ملك سماوى طريقه الصليب والموت .

لقد جاءت هتافات الجماهير متناغمة مع كلمات رئيس الملائكة جبرائيل يوم الحبل بالسيد المسيح : « يعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » لو ١ : ٣٢ ، ٣٣ .

أما قطع سعف النخيل وأغصان الشجر واستخدامها فى موكب السيد المسيح يشير إلى إقتطافنا كلمات الآباء الروحية وتعاليمهم الأصيلة من أفواههم بكونهم النخيل الروحى والأشجار السماوية المغروسة فى فردوس الكنيسة الحية ، نستخدمها فى موكب السيد المسيح الداخل إلى أورشليم قلبنا الداخلى . يقول **الأب ثيؤفلاكتيوس** : [ليتنا نفرش أيضا طريق حياتنا بالأغصان التى نقطفها من الأشجار ، أى نمتثل بالقديسين الذين هم أشجار مقدسة . من يمتثل بهم فى فضائلهم يكون كمن قطع أغصاناً لنفسه] .

٢ ــ شجرة التين العقيمة

أمران صنعهما السيد المسيح عند دخوله أورشليم هما تطهير الهيكل ولعن شجرة التين ، وهما فى الحقيقة عملان متكاملان يحملان معنى واحد . ألا وهو هدم السيد المسيح للحرفية القاتلة التى تمس الانسان القديم لإقامة هيكل جديد أساسه العمل الروحى العميق والمتجدد .

إذ تساءل كثير من الدارسين عن السبب الذى لأجله لعن السيد شجرة التين كرست الكنيسة قراءاتها يوم إثنين البصخة (أسبوع الآلام) وليلة الثلاثاء حول « شجرة التين » هذه لتعلن عن المفاهيم اللاهوتية الروحية التى تمس هذه الشجرة .

شجرة التين فى المفهوم الإنجيلى ترمز لإسرائيل (أر ٨ : ١٣ ، هو ٩ : ١٠ ، يوئيل ١ : ٧ ، حز ١٧ : ٢٤ ، ميخا ٧ : ١ ــ ٦) . . . هذه الشجرة ــ إسرائيل ــ إذ رفضت مسيحها المخلص سقطت تحت لعنة الجحود ، هذه اللعنة لم تحل بهم سريعاً وإنما ثمرة جحود طويل بدأ منذ نشأتها حتى مجىء المخلص . هذا ولم

يقف الله مكتوف الأيدى أمام ما حلّ باسرائيل القديم فقد أقام اسرائيل الجديد شجرة التين المثمرة .

أبرزت قراءات يوم الاثنين من البصخة المقدسة وليلة الثلاثاء الأمور التالية :

أولا : بدأت القراءات باعلان الله كخالق للعالم (تك ١ ، ٢) ، فإن كانت شجرة التين قد يبست ، إنما هى شجرة من عمل يدّى الخالق الذى يحبها ويعتز بها ، ولا يشتهى سوى خلاصها ، أما سرّ يبوسها فهو إصرارها على الجحود ، حرمان نفسها بنفسها عن الله مصدر حياتها .

ان كانت قصة شجرة التين ترعب النفس ، اذ تخشى السقوط تحت اللعنة ، لكن الكنيسة ترفع قلبنا بالرجاء نحو المخلص ، بكونه الخالق ومجدد طبيعتنا ، لا ينتقم لنفسه ولا يحمل من نحونا إلا كل حب . . . إن أردنا الخلاص نجد الأذرع الأبدية القادرة تنتظرنا لتنتشلنا وتجدد حياتنا .

ثانياً : ربّما نتساءل إن كان الله هو خالق الشجرة فلماذا يلعنها ؟ وتأتى الاجابة فى بدء النبوات من نفس يوم الإثنين باعلان ان الله قد فصل النور عن الظلمة (تك ١) . . . وكأن ما حّل بالشجرة من لعنة إنما هو ثمر طبيعى لعزل الخير عن الشر ، وتمييز أولاد الله عن الجاحدين . إن كان الله بحبه خلقنا فبصلاحه لا يترك الخير ملتصقاً بالشر ، لذلك جاءت القراءات تركز على روح التمييز او الأفراز لنكون كخالقنا الصلاح نميز الخير عن الشر . يقول إشعياء النبى : « ويل للقائلين للخير شراً وللشر خيراً ، الجاعلين الظلام نوراً ، والنور ظلاماً ، القائلين عن الحلو مراً وعن المرّ حلواً » إش ٥ : ٢٠ [٢٧٠] . كما حذرتنا القراءات [٢٧١] من الخلط بين عبادة الله والعجل الذهبى ، كما فعل بنو إسرائيل (خر ٣٢) .

الله المحب لا يطيق هلاك خليقته لذا دائما يدعونا للخلاص من السقوط تحت اللعنة برجوعنا إليه فيرجع هو إلينا (زك ١ : ١) [٢٧٢] ، هاربين من اللعنة التى جلبناها لأنفسنا بدخولنا فى الله ملجأنا .

سرّ اللعنة أو اليبوسة هو فقدان الحكمة الحقة ، لذا جاءت القراءات فى ساعات يوم اثنين البصخة عن الشجرة اليابسة توجه أنظارنا إلى ضرورة اقتناء الحكمة (إبن

سيراخ ١ ؛ ١ إش ٥ ؛ ٥ حك ١ : ١ — ٩ ؛ امثال ١) . « لا تدخل فى نفس شريرة ولا تحل فى جسم خاطىء » حك ١ ؛ فان كانت اسرائيل قد تدنست نفساً وجسداً لا تجد الحكمة لها موضعاً فيه فيفقد اسرائيل بركته وتحل به اليبوسة .

ثالثاً : إن كان السيد قد نطق بالحكم فصارت الشجرة تحت اللعنة بسبب جحودها وشرها ، فان القراءات تؤكد حقيقة علاقة السيد بشعبه ، فتدعوه « حبيب كرمة » إش ٥ : ١ [٢٧٣] ، كما يقول الرب : « ضعوا فى قلوبكم انى أحببتكم » ملا ١ [٢٧٤] ، ويؤكد : « لأن اسرائيل صغير وأنا أحببته هو ١٠ [٢٧٥] . فى مرارة يقول : « كم من مرة أردت أن أجمع بنيك كما يجمع الطائر فراخه تحت جناحيه فلم تريدوا » لو ١٣ .

ان كان الله لا يطيق الطلاق ، لكن اسرائيل المحبوب لديه كعروس قد ألزمه ان يكتب له الطلاق (إش ٥٠ : ١ — ٣) [٢٧٦] .

هكذا لم تسقط الشجرة تحت اللعنة عن تسرع فى الحكم ، فان مصدر الحكم هو خالقها وأب الكل المشتاق أن يضم أولاده تحت جناحيه ، والعريس السماوى الذى لا يطيق طلاق عروسه . . . لكن ما حدث هو من عمل الشجرة ذاتها ، حكمت على نفسها بنفسها .

يمكننا أيضاً ان نضيف بأن هذا العمل فريد فى حياة السيد المسيح فلم نسمع قط أنه لعن شجرة أخرى أو سمح بتأديب قاسى على إنسان لكننا نراه فى الأناجيل كلها السيد المترفق والمتحنن الذى يشعر بضعفات الخطاة ويسندهم حتى يقوموا ، فإن جاءت هذه القصة الواحدة وتكررت فى الأناجيل إنما لتؤكد أنه وهو السيد المترفق الذى جاء ليخلص لا ليدين ، هو أيضاً الديان ! إنه يود ألا يسقط أحد تحت اللعنة واليبوسة لذا لم يلعن سوى هذه الشجرة .

رابعاً : فى صلاة الساعة التاسعة من يوم إثنين البصخة يذكر سقوط الانسان فى الفردوس وطرده من هنا (تك ٢ ، ٣) . . . وكأن الكنيسة تعلن أن الله قد غرس شجرة التين هذه « إسرائيل » كما فى فردوس إلهى لتحيا مثمرة بالروح والحق ، فإن كانت قد حرمت نفسها بنفسها من الثمر الروحى ر يجوز بقاءها بعد فيه بل تطرد

وتسقط تحت اللعنة . وقد جاء فى عظة **القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين** : [الرب لم يغرس فى الفردوس الأشجار الصالحة وغير الصالحة ، بل غرسه من الأشجار الصالحة فقط ، ولم يغرس فيه أشجاراً غير مثمرة أو رديئة الثمر . وليس هذا فقط ، بل والناس أنفسهم الذين جعلهم هناك عندما خالفوا لم يحتملهم بل أخرجهم منه ، فمن هذا إعلموا أيها الإخوة الأحباء أنه لا يجب أن تُملأ مساكن الله المقدسة من الناس الأشرار والصالحين كما فى العالم المملوء من الخطاة والظالمين والقديسين والأنجاس ، ولكن الذين يخطئون لا يتركهم فيها بل يخرجهم . أنا أعرف أن الأرض كلها هى للرب فإن كان بيته كباقى الأرض ، فما هى ميزته إذن على غيره . فان كنت وأنا الكاهن أعمل الشر كما يعمله الأشرار على الأرض فلا يحق لى أن أدعى كاهناً (٢٢٧) . . .] .

بعد أن قدمنا لقصة شجرة التين العقيمة حسبما قدمتها لنا الكنيسة فى أسبوع الآلآم نعود إلى نص الانجيلى مرقس :

« فدخل يسوع أورشليم والهيكل ولما نظر حوله إلى كل شىء إذ كان الوقت قد أمسى خرج إلى بيت عنيا مع الاثنى عشر » ع ١١ . كان الموكب متجهاً إلى أورشليم إلى الهيكل فانه يريد أن يقود شعبه إلى مقدساته السماوية خلال المذبح الذى بالهيكل ، أى خلال الصليب . ولما كان الهيكل هو مقدسه « نظر حوله إلى كل شىء » . . . فهو الإله الغيور الذى لا يطيق فى بيته فساداً أو شراً ، بل عيناه تجولان وتفحصان كل شىء لتفرز المقدسات عن النجاسات وتطرد الأخيرة . ونظر حوله لعله يطلب من يستضيفه فى أورشليم فلم يجد .

إذ جاء وقت المساء لم يجد الرب راحته فى أورشليم كلها بالرغم من إتساعها وسكنى الكثير من رجال الدين فيها لكنه وجد راحته مع تلاميذه فى قرية صغيرة هى « بيت عنيا » أو بيت العناء أو بيت الطاعة . هذه هى البقية القليلة التى تحتمل العناء وتقبل الصليب خلال الطاعة فيجد الرب راحته مع تلاميذه فى حياتهم .

«وفى الغد لما خرجوا من بيت عنيا جاع ، فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق ، وجاء لعله يجد فيها شيئاً ، فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً ، لأنه لم

يكن وقت التين ، فأجاب يسوع وقال لها : لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد » ع ١٢ ــ ١٤ .

لقد جاع السيد المسيح ، وكما يقول **القديس أغسطينوس** : [أى شيء يجوع إليه المسيح أو يعطش سوى أعمالنا الصالحة ؟ ! (٢٧٨)] . لقد جاع عبر الأجيال مشتهياً أن يجد ثمراً مفرحاً للسماء لكن شجرة التين أى الأمة الإسرائيلية التى قدم لها كل الامكانيات للإثمار أنتجت ورقاً ظاهراً دون ثمر .

يتساءل البعض : لماذا طلب السيد المسيح ثمراً فى غير أوانه ، وإذ لم يجد لعن الشجرة ؟

يجيب البعض أن فلسطين قد عرفت بنوعين من شجر التين ، فانه وإن كان الوقت ليس وقت تين بوجه عام لكن وجود الورق على الشجرة يعنى أنها من النوع الذى ينتج ثمراً مبكراً ، وأنه مادام يوجد ورق كان يجب أن تحمل الثمر . ولعل فى هذا الأمر أيضا إشارة الى حالة العالم فى ذلك الحين ، فانه لم يكن وقت تين إذ كان العالم حتى ذلك الحين لا يحمل ثمراً روحياً حقيقياً لأنه لم يكن قد تمجد السيد بصليبه ليقدم ثمر طاعته للآب . وكان يليق بالأمة اليهودية وقد سبقت العالم الوثنى فى معرفة الله واستلام الشريعة والنبوات أن تقدم ثمراً فاخرجت أوراقاً بلا ثمر لذا إستحقت أن تجف لتحل محلها شجرة تين العهد الجديد المثمرة .

يقول **القديس كيرلس الاورشليمى** (٢٧٩) ان السيد المسيح يعرف تماماً انه ليس وقت للتين لكنه جاء لا ليلعن الشجرة فى ذاتها انما لينزع اللعنة التى حلت بنا بلعنه للأوراق التى بلا ثمر .

ويجيب **القديس يوحنا الذهبى الفم** (٢٨٠) على التساؤل : كيف يأمر السيد بيبوسة شجرة التين ولم يكن وقت للتين ؟ قائلا انه لأمر تافه أن نهتم بلعن شجرة ولا نتأمل ما قصده الرب بهذا العمل المعجزى لمجده !

٣ ــ غيرته على هيكله :

إذ دخل السيد المسيح أورشليم إتجه إلى هيكله لنراه يمسك سوطاً (يو

٢ : ١٦) ليطهره من البائعين والمشترين من الصيارفة وباعة الحمام . اعتدنا فى الأصحاحات السابقة أن نرى السيد المسيح فى وداعته ورقته وحنانه يترفق بالجميع ويحتضن الأطفال ، أما الآن فنراه حازماً كل الحزم مع مفسدى هيكله، إنه يحقق ما قد صنعه رمزياً بشجرة التين ، بطرده الأشرار من الهيكل .

نستطيع أن نتفهم موقف السيد أن تأملنا القراءات الكنيسة الخاصة بالساعتين اللتين تليان أحد الشعانين (التاسعة والحادية عشر) وأيضا الساعات الخاصة بليلة الإثنين من البصخة المقدسة فانها وإن كانت تدور حول « تطهير السيد للهيكل » إنما تكشف ماذا يعنى ذلك الأمر . . . هذه التى يمكن تلخيصها فى النقاط التالية :

أولا : إن كان السيد قد دخل أورشليم راكباً على جحش لم يجلس عليه أحد من الناس (ع ٢) إنما يريد أن يقيم كل شىء جديداً ، أراد أن يحطم أعمال الانسان القديم تماماً ليقيم فينا هيكله الجديد ، الإنسان الجديد الذى يتجدد حسب صورة خالقه (كو ٣ : ١٠) . فبينما كان اليهود وخاصة قياداتهم المختلفة قد إنشغلت بمظاهر العبادة الخارجية فامتلأ الهيكل من الصيارفة وباعة الحمام كانت عين الرب تتجه إلى إقامة هيكله جديداً فى النفوس خلال ذبيحته الفائقة ، فنسمع صفنيا النبى يقول : « لأن الرب قد أعد ذبيحته وقدس مدعويه . . . إنتقم من جميع الذين يتظاهرون على الأبواب الخارجية الذين يملأون بيت الرب إلههم ظلماً وخبثاً » صفنيا ١ [٢٨١] . وكأن الله لا يبالى بكثرة العدد الذين يتجمهرون عند الأبواب الخارجية بشكليات العبادة وتقديم تقدمات بلا روح لكنه يود أن يسحب الكل الى ذبيحته ويعلن تقديس مدعويه بدمه الطاهر ! .

ويرى **القديس كيرلس الكبير** ان اليهود وقد انشغلوا بالطقس الموسوى فى عبادتهم فى الهيكل لم يمارسوه بالروح بل بالحرف الجامد ، فجاء الرب يهدم الحرف ليقيم الروح الجديد [٢٨٢] .

ثانياً : أن كان طرد باعة الحمام وقلب موائد الصيارفةقد سبب حزناً ومرارة فى قلوب الكثيرين ، انما يحول الله هذا المرارة إلى عذوبة والحزن إلى تهليل ، وذلك باقامة

الانسان الجديد المقدس بالدم عوض الإنسان القديم الذى تحطم ، لذا جاء فى نبوة الساعة الأولى « صوت صراخ من باب المذبوحين وتهليل فى الباب الثانى » صفنيا ١ . أما سرّ تحويل الحزن إلى تهليل فهو حبة الحنطة التى تموت بدفنها لتقوم حاملة ثماراً جديدة بفيض (يو ١٢) .

ثالثاً : إن كان السيد قد صنع سوطا ظاهراً لتطهير الهيكل ، ففى الحقيقة أرسل روحه القدوس النارى الذى يحرق أعمال الانسان القديم ويهب فى المعمودية الإنسان الجديد ، ويبقى عاملاً على الدوام ليحطم فينا إنساننا الترابى الأرضى ويقيمنا سمائيين ، لذا جاء فى نبوات الساعة الثالثة قول صفنيا النبى : « بنار غيرته تفنى الأرض كلها » صف ١ . إنه فى غيرته يرسل روحه النار فيفنى فينا ماهو أرضى ليقيم فينا ماهو سماوى .

رابعاً : كان يعمل فى الهيكل بسلطان ، فلم يستطع أحد أن يقاومه إذ يقوم بتطهير هيكله . . . وقد جاءت نبوة الساعة التاسعة تكشف عن سرّ طرد الأشرار من هيكله ، ألا وهو شرهم نفسه وفسادهم ، إذ قيل بميخا النبى : « قم انطلق لأنه ليست هذه هى راحتك ، لقد هلكتم هلاكاً من أجل النجاسة وهربتم وليس من يطردكم » ميخا ٢ : ٣ — ١٠ . إن كان السيد قد طردهم لكن فى الحقيقة دخوله إلى هيكله أفسد على الأشرار بهجتهم الزمنية فلم يعد الهيكل موضع راحة ، صاروا هاربين وليس من يطردهم إلا شرهم الذى فعلوه وإصرارهم على عدم التوبة .

خامساً : من هم باعة الحمام إلا رجال الدين الذين يبيعون مواهب الروح القدس (ورمزه الحمامة) بالمال ، حيث تستخدم السيمونية فى السيامات (أى نوال الدرجات الكهنوتية مقابل المال) أو تستغل خدمة الله الروحية للمكسب المادى أو الأدبى .

باعة الحمام أيضا هم الذين يبيعون ما نالوه فى مياه المعمودية — عمل الروح القدس — بسبب شهوات الجسد وإرتكاب الخطايا ، فيفقدون الطهارة ويستحقون الطرد من الهيكل .

أما الصيارفة فهم الذين يبيعون كلمة الله بمال ، أى يستخدمون الكرازة بالحق

لنفع زمنى .

يعلق القديس أمبروسيوس على طرد الباعة من الهيكل ، قائلًا : [الله لا يريد أن يكون هيكله موضعاً لتلاق الباعة بل مسكناً للقداسة ، معلماً ألا تُعطى وظيفة الكهنوت بمال بل توهب مجاناً . تأمل تخطيط الرب لهذا الأمر : ابتدأ يُخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون والصيارفة الذين كانوا يطلبون الغنى دون تمييز بين الخير والشر . مال الرب هو الكتب الإلهية ، لأنه عندما سافر وزع الوزنات على العبيد (سلمهم كلمته) مت ٢٥ : ١٤ ، لو ١٩ : ١٣ ، ولعلاج الجريح قدم ديناران لصاحب الفندق لو ١٠ : ٣٥ لأنه بالعهدين تُشفى جراحاتنا (فطرد الصيارفة الأشرار إنما يشير إلى طرد القيادات الدينية التى تقتنى الكتب المقدسة لتاجر فيها لحسابهم الخاص) . . .

ينذرنا أيضا بطرد باعة الحمام ، إذ لا يجوز لمن نالوا نعمة الروح القدس أن يتاجروا فيها ، فقد قال : « مجاناً أخذتم مجاناً اعطوا » مت ١٠ : ٨ . لما ظن سيمون أنه يستطيع أن يشترى موهبة التقديس بفضة أجابه بطرس : « لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتنى موهبة الله بدراهم » اع ٨ : ٢٠ [٢٨٣]] .

٤ ـــ يبوسة شجرة التين

فى الصباح تطلع التلاميذ إلى شجرة التين فوجدوها يابسة ، وفى دهشة قال بطرس : **«ياسيدى أنظر ! التينة التى لعنتها قد يبست . فأجاب يسوع وقال لهم : ليكن لكم إيمان بالله ، لأنى الحق أقول لكم أن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ولا يشك فى قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له » ع ٢١ ـــ ٢٣ .**

يرى الدارسون أن الجبل المتحرك يشير إلى كل ما هو صعب ، هذا وكان الحاخامات اليهود يحسبون من يفسر نصاً كتابياً صعباً محرك الجبل [٢٨٤] .

ما هو هذا الجبل الذى بالإيمان ينتقل وينطرح فى البحر إلا شخص ربنا يسوع المسيح الجبل غير المقطوع بيدين الذى يملأ الأرض كلها (دا ٣ : ٣٥ ، ٤٥) . فبالايمان ينتقل إلى النفس كما إلى البحر ويقيم فيها . ولعل هذا الانتقال يشير الى

انتقاله من الأمة اليهودية إلى بحر الشعوب الأممية ليقيم فى وسطها ويجعل منها كنيسة له مقدسة .

يحدثنا **القديس كيرلس الأورشيمى** عن فاعلية الإيمان بقوله : [الإيمان يصنع معجزات داخل النفس فى لحظات سريعة . هذه الذى تستنير به وتتمتع برؤية الله ، وقدر الإمكان تتطلع إليه وتبلغ أطراف المسكونة . إنها تنظر الدينونة ونوال المكافآت الموعود بها قبل أن ينتهى هذا العالم [٢٨٥]] .

إن كانت الصلاة النابعة عن قلب مؤمن تنقل الجبل الإلهى إليه ليعطى بحره الداخلى هدوءاً وسلاماً ، فلكى تكون الصلاة فعّالة ومستجابة يقول السيد : « **ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شىء لكى يغفر لكم أيضاً أبوكم الذى فى السموات زلاتكم** ع ٢٥ . بمعنى آخر إن كان يلزم لإستجابة الصلاة أن تنبع عن قلب مؤمن إيماناً عملياً ، فعلامة هذا الإيمان العملى هو الغفران للآخرين فيما هو عليهم ، فننال غفران أبينا لنا ، وتنتقى قلوبنا . . . لقد أراد الرب أن تكون الإستجابة فى أيدينا فان سمعنا للآخرين يسمع الله لنا ، وما نحكم به عليهم يُحكم علينا ، وكما يقول **القديس كبريانوس** : [لم يعد هناك أى أساس للعذر . . . عندما تدان بذات حكمك ، فتنال ما تفعله أنت [٢٨٦]] .

لكى نتعم بنوال طلبتنا يلزم أن يرتبط إيماننا بالحياة المقدسة فى الرب ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [كيف أؤمن اننى أنال طلبتى ؟ بعدم سؤالى شيئاً يضاد ما هو مستعد أن يهبه ، أو سؤال شىء غير لائق بالملك العظيم ، أو شىء زمنى ، بل أطلب البركات الروحية كلها ، وأيضا إن كنت أقترب إليه بدون غضب وبأيد طاهرة ، أيد مقدسة ، أيد تُستخدم فى العطاء المقدس ، إقترب إليه هكذا فتنال طلبتك دون شك [٢٨٧]] .

٥ ــ سؤاله عن سر سلطانه

اضطرب رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ إذ رأوه بمفرده إستطاع أن يطهر الهيكل من كل الصيارفة وباعة الحمام والمفسدين ، عاملاً بسلطان ومهابة ، فجاءوا اليه يسألونه : « **بأى سلطان تفعل هذا ومن أعطاك هذا السلطان حتى تفعل**

هذا ؟ » ع ٢٨ . بمعنى آخر من أقامك معلماً أو من سامك رئيس كهنة ؟

وضعوا هذا السؤال ليصطادوه بكلمة ، فان قال أنه سلطانه الذاتى يمسكوه كمجدف ، وإن قال أنه من آخر يتشكك الناس فيه إذ رأوه يعمل أعمالًا إلهية ! لذلك أجابهم السيد على سؤالهم بسؤال بخصوص معمودية يوحنا هل من السماء أم من البشر ، واذ وجدوا أنفسهم قد سقطوا كما فى فخ لم يجيبوا بما فى قلوبهم . . .

يقول القديس كيرلس الكبير : [إقتربوا إليه بشر يسألونه : « من أعطاك هذا السلطان ؟ » . ماذا يعنى هذا ؟ يقولون : « إنك تعلم فى الهيكل وأنت من سبط يهوذا لا تُحسب بين الخدام كالكهنة الذين يخدمون الهيكل ، فلماذا تعلم بما هو كريه لوصايا موسى ولا تتفق مع الشريعة التى أُعطيت لنا قديما ؟ لنقل للناطقين بهذا : هل هذا العمل لدغ ذهنكم وأثار فيكم الحسد البغيض ؟ أخبرونى : أتهتمون معطى الناموس أنه مفسد له ؟ . . . أخبرونى أيخضع الله لناموسه ؟ هل وضع وصاياه التى نطق بها خلال أنبيائه القديسين لأجلنا أم لأجل نفسه ؟ . . . لقد قال الله بوضوح (خلال أنبيائه) أن شرائع موسى (الطقسية) تنتهى وتقوم شريعة جديدة يقدمها المسيح : « ها أيام تأتى يقول الرب وأقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ، ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى فرفضتهم يقول الرب » أر ٣١ : ٣١ ، ٣٢ . لقد وعد بعهد جديد ، وكما قال الحكيم بولس : « فإذ قال جديداً عتق الأول ؛ وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال » عب ٨ : ١٣ . فاذ شاخ القديم كان بالضرورة أن يحل الجديد موضعه ، وقد تحقق هذا لا بواسطة أحد الأنبياء القديسين بل بالحرى بواسطة رب الأنبياء .[٢٨٨]] .

يرى ايضا القديس كيرلس الكبير أن السيد المسيح قدم لهم سؤالًا بخصوص معمودية يوحنا ، إذ إعتاد اليهود أن يتهموا الأنبياء الحقيقيين أنهم كذبة . . . فإذ ارتبك الفريسيون وخافوا من اتهام يوحنا أنه نبى كاذب توقفوا عن الإجابة فاعلنوا أنهم لا يطلبون الحق ولا يستحقون أن يتعرفوا عليه ، لهذا لم يجيبهم السيد على سؤالهم أيضا . ويقدم لنا القديس أغسطينوس تعليلًا لعدم إجابة السيد سؤالهم بقوله : [أغلقوا الباب على أنفسهم بادعائهم الجهل لما يعرفون ، لهذا لم يفتح لهم

لأنهم لم يقرعوا ، إذ قيل اقرعوا يفتح لكم » مت ٧ : ٧ . أما هم فليس فقط لم يقرعوا إنما انكروا ما يعرفونه فأحكموا غلق الباب فى وجوههم] .

+ + +

الاصحاح الثانى عشر

مقاومة فى أورشليم

دخل السيد المسيح إلى أورشليم ليحمل الصليب من أجلنا ، فتجمعت القيادات الشريرة وتكاتفت ضده ، إذ فى صراحته كشف لهم عن فساد رعايتهم وحبهم للسلطة ، مفحماً إياهم . لكنه وسط هذا الجو الصعب وُجدت أرملة مجهولة فتحت قلبها البسيط بالحب لله فقدمت اعظم من الجميع ، فلسين هما كل أعوازها .

١ ــ الكرامون المغتصبون	١ ــ ١٢ .
٢ ــ سؤال بخصوص الجزية	١٣ ــ ١٧ .
٣ ــ الصدوقيون والقيامة	١٨ ــ ٢٧ .
٤ ــ الكتبة والوصية	٢٨ ــ ٤٠ .
٥ ــ الأرملة المحبة والفلسان	٤١ ــ ٤٤ .

+ + +

١ ــ الكرامون المغتصبون

إذ سدّ السيد المسيح أفواه مجربيه بسؤاله لهم عن معمودية يوحنا أراد أن يظهر شرهم ومقاومتهم له وما تحمله من نتائج بتقديمه مثل الكرامين المغتصبين ، ويلاحظ فى هذا المثل الذى سبق لنا الحديث عنه فى تفسير مت ٢١ : ٣٣ الآتى :

أولاً : لعل أول ما يلفت أنظارنا فى المثل أنه يشبّه الله الآب بإنسان غارس كرم ، إذ يقول : « **إنسان غرس كرماً وأحاطه بسياج وحفر حوض معصرة وبنى برجاً وسلمه إلى كرامين وسافر** » ع ١ . محبة الله للإنسان فائقة ، فهو خليقته

الأرضية الفائقة والمدللة ، وهبها صورته ومثاله وحتى بعد معاندتها بحث عنها وجرى وراءها ، وقدم لها كل إمكانية للعودة إلى أحضانه مقدماً إبنه فدية عنها ، والآن يشبّه الله الآب بالإنسان ، الأمر الذى فيه تُعلن نظرته المكرمة للإنسان .

ثانياً : أبرز المثل تقديس الله الانسانية ، فإذ يشبه نفسه بالانسان الذى غرس كرماً يقول : « **سلمه إلى كرامين وسافر** » ع ١ ، لا يعنى ترك المكان ، إذ هو حاضر فى كل موضع ، ولا نزعه رعايته عن كرمه إذ هو مهتم بكل صغيرة وكبيرة ، إنما « سافر » بمعنى تركه الكرامين يعملون بكمال حريتهم ، أعطاهم المسئولية كاملة علامة حبه للنضوج مع تقديره للحرية الإنسانية ، فقد أقام كرامين ليعملوا كرجال ناضجين مسئولين أمامه .

ثالثاً : فى هذا المثل أعلن السيد المسيح لمقاوميه أنه ليس فقط يعرف ما بداخلهم من روح مقاومة للحق ، وإنما يعرف مقدماً ما سيحل به منهم بكونه الوارث الذى لا يطيقه الكرامون الأردياء . . . فهو لا يخاف اضطهادهم له بل جاء لكى يكمل كأسهم الشرير وينزع عنهم الكرم ليُسلم إلى آخرين (ع ٩) . لقد دعا نفسه بالحجر المرفوض من البنائين ، لكن هذا الرفض لا يقلل من شأنه إذ صار رأس الزاوية (ع ١٠) .

يرى **القديس أغسطينوس** (٢٨٩) فى هذا المثل أنه إذ ثار الأشرار على الإبن الوارث وأرادوا قتله لم يقاوم بل قال « أنا اضطجعت » مز ٣ : ٥ . نام مسلماً جسده فى يد مضطهديه ليسمروه على الصليب ويطعنوه بالحربة من جنبه لكى تقوم الكنيسة فيه كما قامت حواء من جنب آدم عندما كان فى سُبات .

رابعاً : قدم لنا كثير من الآباء تفسيراً تفصيلياً لهذا المثل ، وقد سبق لى ترجمة تفسير **القديس كيرلس الكبير** له فى دراستنا لانجيل متى مع بعض آباء آخرين . لذا أكتفى هنا بعرض آراء آباء آخرين . ففى نص **منسوب للقديس جيروم** [الكرمة هى بيت اسرائيل ، والسور هو حراسة الملائكة ، والبرج هو الهيكل ، والكرامون هم الكهنة (٢٩٠)] ، بينما يرى **الآب ثيؤفلاكتيوس** أن [السور هو الشريعة التى منعت امتزاجهم بالغرباء] .

ويقدم لنا **القديس أمبروسيوس** التعليق التالى :

[يذكر إشعياء بوضوح أن كرم رب الجنود هو بيت اسرائيل (إش ٥ : ٧) ، موجد هذا الكرم هو الله الذى سلمه وسافر بعيداً ، لا بمعنى أن الرب سافر إلى مكان آخر إذ هو دائماً حآل فى كل مكان ، لكنه يظهر وجوده واضحاً جداً فى الذين يحبونه ، ويظل بعيداً عن الذين يتركونه .

يذكر إنجيل متى أنه حوطه بسياج (مت ٢١ : ٣٣ ، مر ١٢ : ١) ، أى قوّاه بسياج العناية الإلهية ليحفظه من هجوم الوحش الروحى .

حفر معصرة ، لأن أسرار آلام المسيح تبدو كالخمر الجديد . . . وقد ظن الجمع أن التلاميذ سكارى حين نالوا الروح القدس (أع ٢ : ١٣) . حفر حوض معصرة لكى يُسكب فيه الثمر الداخلى .

بنى برجاً إذ وهبهم الناموس .

فى زمن الثمار أرسل عبيده ؛ حسناً فعل إذ أرسلهم فى زمن الثمار لا زمن الحصاد ، لأن اليهود لم يقدموا أى ثمر . . . ولم تمتلىء معاصر اليهود من الخمر ، بل سُفك دم نابوت فى هذه الكرمة (١ مل ٢١ : ١٣) ، وتنبأ دمه أنه سيكون لهذه الكرمة شهداء كثيرون . . . أرسل الله كثيرين فردهم اليهود بلا كرامة ولا منفعة ، لا يحملون منهم ثمراً . أخيراً أرسل إليهم إبنه الوحيد فأرادوا التخلص منه بكونه الوارث ، فأنكروه وقتلوه صلباً [٢٩١]] .

إنتقل **القديس أمبروسيوس** من الحديث عن اليهود ككرم الرب الذى أهمله قادته الروحيون إلى النفس أو إلى حياة المؤمن فى كنيسة العهد الجديد بكونها كرم الرب الذى قدم له السيد كل إمكانيات للاثمار . . . وها هو يطلب الثمر ! . فمن كلماته : [إعتاد الكرام الرحوم أن يهتم بهذا الكرم ويشدّ به ، وينقيه من تكدس كتل الحجارة . تارة يحرق بالشمس خبايا (شهوات) جسدنا ، وأخرى يروى الكرم بالمطر ، ويسهر عليه حتى لا تنبت الأرض شوكاً ولا يكسوها أوراق كثيرة ، فيضغط غرور الكلمات الباطلة على الفضائل فينزع نموها ويبطل نضوج البساطة وكل سمة صالحة . ليحفظنا الله من أجل نهاية هذا الكرم الذى يسنده الرب المخلص حارساً

إياه ضد كل خداع الدهر بسياج الحياة الأبدية . . . هوذا حصادنا ! ففى غمار السعادة والآمان يملأ البعض أحشاءهم الداخلية من عنب الكرم اللذيذ ، وليدقق آخرون فى هبات السماء ، وليبصر الكثيرون ثمار البركات الالهية عند أقدام إرادتهم بعد خلع نعالهم فيصبغوا أقدامهم العارية بالخمر الذى ينهمر عليهم ، لأن الموضع الذى هم فيه أرض مقدسة (حز ٣ : ٥) . . . سلام لك أيها الكرم الثمين من أجل هذا الحارس ، فقد تقدست يوم الرب الثمين ، وليس بدم نابوت ولا بدم أنبياء بلا حصر . مات نابوت ولم يتهاون فى ميراث آبائه ، أما أنت فلأجلنا غرست إستشهاد جموع الشهداء ، ولأجلنا ذاق الرسل صليب الرب لهذا أثمروا إلى أقاصى الأرض [٢٩٢]] .

٢ — سؤال بخصوص الجزية

فى دراستنا لانجيل معلمنا متى (٢٢ : ١٥ — ٢٢) رأينا القادة اليهود وقد أدركوا أن أمثال السيد المسيح تكشف جراحاتهم الخفية لم يلجأوا إلى الطبيب الحقيقى لابرائهم بل تكاتفوا معاً بالأكثر على مقاومته ، فإتفق بعض من الفريسيين والهيرودسيين أن يسألوه بخصوص الجزية هل تقدم لقيصر أم لا ، حتى إذا ما رفض تقديمها حُسِب مثير فتنة ضد الدولة الرومانية ، وإن قبل تقديمها نفرت منه الجموع وفقدت ثقتها فيه كمخلص لهم من المستعمر الغريب الجنس . وقد جاءت إجابة السيد المسيح تمس أعماق نفوسنا من جهة الآتى :

أولاً : يقول **القديس أمبروسيوس** [يعلمنا الرب فى هذا المكان الحكمة فى إجابتنا على المراطقة أو اليهود . يقول فى موضع آخر : « كونوا حكماء كالحيات » مت ١٠ : ١٦ . ويفسر الكثيرون هذه العبارة هكذا : كما كانت الحية النحاسية (عد ٢١ : ٨) تعلن عن صليب المسيح الذى نزع سم الحية الشريرة هكذا يليق بنا أن نكون حكماء كالمسيح بسطاء كالروح (رمزه الحمامة) [٢٩٣]] .

ثانياً : لقد ظن هؤلاء الأشرار أنه يهين السلطات فيجدوا فرصة لتسليمه ، والعجيب أن السيد بحكمة حث سامعيه على الخضوع للسلطان الزمنى فى الرب ،

وتقديم الكرامة لمن له الكرامة ، والجزية لمن له الجزية (رو ٧ : ١ ـــ ٧) ، ومع ذلك كان اتهامه أمام بيلاطس : « أننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تُعطى جزية لقيصر ، قائلاً أنه هو مسيح ملك » لو ٢٣ : ٢ . . . وفى هذا لم يدافع السيد عن نفسه . لقد قدم مبدأ الخضوع للسلطات ليس عن خوف ولا للدفاع عن نفسه وانما كمبدأ يمارسه المسيحى حتى وان اُتهم بخلاف ما يمارس !

ثالثاً : يرى كثير من القديسين ان مبدأ « **أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله** » ع ١٧ ، وإن كان فى معناه الظاهر يعنى التزام المؤمنين بتقديم واجباتهم بأمانة نحو الدولة والحاكم لا عن خوف ولا عن مضض وإنما كتنفيذ للوصية الالهية ، فان هذا المبدأ يحمل فهما روحياً عميقاً . إن كانت نفوسنا تحمل صورة الله ، نصير نحن عملته يتقبلها بفرح ، وإن حملت صورة العالم نصير عملة العالم ولا يجد الرب له فينا موضوع راحة أو سرور .

يقول **القديس أمبروسيوس** : [طلب الرب ديناراً وسألهم عن الصورة ، لأن صورة الله تختلف عن صورة العالم . هكذا ينذرنا الرسول : « كما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضاً صورة السماوى » ١ كو ١٥ : ٤٩ . . . . لا نجد صورة قيصر فى بطرس القائل ها نحن قد تركنا كل شئ وتبعناك (مر ٣ : ١٣) ، ولا نجدها عند يعقوب ولا يوحنا لإنهما إبنا الرعد ، لكنك تجدها فى البحر . إن كان بطرس لا يحمل صورة قيصر فلماذا دفع الجزية ؟ إنه لم يدفعها مما له (بل من البحر) حيث أرجع للعالم ما كان للعالم . وأنت أيضاً إن أردت أن لا يكون لقيصر شئ عليه فلا تقتن ما للعالم بل اقتن البركات . . . إن أردت ألا تكون مديناً للملك الأرضى أترك كل أموالك واتبع المسيح [٢٦٩]] .

رابعاً : يرى **العلامة أوريجانوس** فى هذا المبدأ الإلهى أنه يليق بنا أن نقدم للجسد (قيصر) جزيته أى ضرورياته ، أما لله فنهبه نفوسنا مقدسة بالكامل .

٣ ـــ الصديقيون والقيامة

من هم هؤلاء الصديقيون الذين جاؤا إلى السيد المسيح يجربوه ؟

هم فرقة يهودية دينية أرستقراطية ، رأى بعض الربانيين أنهم ينتسبون إلى مؤسس

فرقتهم صادوق الذى عاش حوالى سنة ٣٠٠ ق .م [٢٩٥] ، لكن الرأى السائد أنهم ينتسبون إلى صادوق رئيس كهنة فى عصر داود وسليمان ،وفى عائلته حُفظت رئاسة الكهنوت حتى عصر المكابيين ، فسمى خلفاؤه وأنصاره صدوقيين . هذه الفرقة كما يقول المؤرخ يوسيفوس كانت مناقضة للفريسيين [٢٩٦] ، لكن مع قلة عددهم كانوا متعلمين وأغنياء أصحاب مراكز [٢٩٧] . كانوا يحتلون مركز القيادة فى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد ، فى العصرين الفارسى واليونانى . أحبوا الثقافة اليونانية واهتموا بالسياسة أكثر من الدين ، وكان من أثر هذا أنهم أنكروا قانونية أسفار العهد القديم بخلاف أسفار موسى الخمسة كما استخفوا بالتقليد على خلاف الفريسيين الذين حسبوا أنفسهم حراساً لتقليد الشيوخ .

ظن الصدوقيون أن أسفار موسى الخمسة ليس فقط لا تذكر شيئاً عن القيامة من الأموات ، وانما ماجاء بخصوص الزواج الناموسى حينما يموت رجل فتلتزم زوجته أن ترتبط بأخيه أو وليه متى كانت بلا أطفال ، حتى تنجب للميت طفلاً يرثه ويقيم اسمه ؛ ظنوا فى هذا إعلاناً وتأكيداً لعدم القيامة من الأموات . وكما يقول سفر الأعمال : « لأن الصدوقيين يقولون أنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح ، وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك » أع ٢٣ : ٨ .

إتفق الصدوقيون مع الفريسيين على مقاومة السيد ، لكن كل واحد بطريقته . جاءه الصدوقيون يقدمون له قصة خيالية فيها يتصورون إمرأة تزوجت ومات رجلها دون أن تنجب أولاداً فتزوجت أخاه وإذ مات تزوجت بالأخ الثانى فالثالث حتى السابع ، ولم تنجب ، وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً ، ففى القيامة متى قاموا لمن منهم تكون زوجة ، لأنها كانت زوجة للسبعة ؟

جاءت إجابة السيد المسيح مزدوجة :

أولا : فى العدد ٢٥ لم يظهر لهم غباوتهم بإنكار القيامة وانما فى فهمهم للقيامة ، فقد تعلق قلبهم بالسياسة والعالم فحسبوا القيامة حياة زمنية مادية ، مع أنه « **متى قاموا لا يزوِّجون ولا يُتزوَّجون بل يكونون كملائكة فى السموات** » ع **٢٥** . لا وجه للمقارنة بين حياة نعيشها هنا حسب الجسد بفكر مادى ، وحياة ننتظرها على مستوى ملائكى سماوى .

ثانياً : إذ ظنوا أن أسفار موسى الخمسة تنكر القيامة ، أكدها لهم من ذات الأسفار ، حيث دعت إبراهيم وإسحق ويعقوب أحياء بعد موتهم بنسب الله لهم . يقول : « **أفما قرأتم فى كتاب موسى فى أمر العليقة كيف كلمه الله قائلاً : أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب ، ليس هو إله أموات بل إله أحياء** » ع ٢٦ ، ٢٧ .

يعلق **القديس كيرلس الكبير** على تصرف الصدوقيين هذا بقوله : [اقتربوا من المسيح مخلصنا كلنا ، الذى هو الحياة والقيامة ، وكانوا يسعون لتحطيم القيامة بكونهم أناساً متكبرين وغير مؤمنين ، اخترعوا قصة مشحونة جهلاً ، ونظموا إفتراضات جامدة ، بها سعوا بطريقة شريرة وعنيفة أن يفسدوا رجاء العالم كله . نحن نؤكد أن رجاء كل العالم فى القيامة من الأموات التى المسيح هو بكرها وأول ثمارها ، لذلك إذ يجعل الحكيم بولس قيامتنا تقوم على قيامة السيد يقول : « لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام » ١ كو ١٥ : ١٦ ، كما يقدم فكراً عكسياً فيقول : « إن كان المسيح يكرز به قام من الأموات فكيف يقول قوم بينكم ليس قيامة أموات ؟ ! » ١ كو ١٥ : ١٢ . الذين قالوا بهذا هم الصدوقيون الذين نتحدث عنهم الآن .

على أى الأحوال كان سؤال الصدوقيين بلا معنى ، السؤال برمته لا يتفق مع الكتب المقدسة الموحى بها ، وجاءت إجابة مخلصنا تؤكد تماماً غباوة قصتهم وتجعلنا نستخف بوهمهم والفكرة التى يقوم عليها هذا الوهم . . .

قال الله عن الذين رقدوا : « من يدّ القبر أفديهم ، من الموت أخلصهم أين ديونتك يا موت ؟ أين شوكتك يا قبر ؟ » هو ١٣ : ١٤ (الترجمة السبعينية) . الآن ما يقصده بديونة الموت وشوكته قد أخبرنا به الطوباوى بولس بقوله : « أما شوكة الموت فهو الخطية ، وقوة الخطية هى الناموس » ١ كو ١٥ : ٥٦ ، إذ يقارن الموت بالعقرب ، شوكتها هى الخطية وبسمها تقتل النفس . يقول أن الناموس هو قوة الخطية ، إذ فى موضع آخر يعترض : « بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس » رو ٧ : ٧ ، « إذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً تعد » رو ٤ : ١٥ . لهذا السبب يستبعد المسيح مؤمنيه من وصاية الناموس الذى يدين ويبطل شوكة الموت التى هى

الخطية ، فإنّه إذ ينزع الخطية بالتبعية يرحل الموت معها ، إذ الموت صادر عنها وبسببها جاء إلى العالم .

إذ أعطى الله وعداً : « من يدّ القبر أفديهم ، من الموت أخلصهم » ، إتفق الأنبياء الطوباويون مع هذا المرسوم العلوى ، فتحدثوا معنا لا برؤيا قلبهم ولا بمشيئة إنسان بل عن فم الله كما هو مكتوب (راجع أر ٢٣ : ١٦) إذ يعلن الروح القدس المتكلم فيهم حكم الله وإرادته القديرة غير المتغيرة فى كل أمر . يحدثنا إشعياء النبى : « تحيا أمواتك ، يقوم الذين فى القبور ، سيبتهج الذين فى الأرض ، لأن طلك يشفيهم » (إش ٢٦ : ١٩ الترجمة السبعينية) . على ما أعتقد أن الطل هو قوة الروح القدس واهب الحياة ، أو تلك الفاعلية التى تبطل الموت ، الصادرة عن الله والحياة .

يقول أيضا داود الطوباوى فى المزامير عن الذين على الأرض : « تأخذ روحهم فيموتون وإلى ترابهم يعودون . ترسل روحك فتخلقهم وتجدد وجه الأرض » مز ١٠٤ : ٢٩ . ألم تسمع عن عمل الروح القدس ونعمته واهبة الحياة ، هذا الذى سيجدد وجه الأرض ؟ فإنه يقصد بوجه الأرض جمالها ، وبجمال طبيعة البشر عدم الفساد ، إذ قيل : « يُزرع فى فساد ويُقام فى عدم فساد ، يزرع فى هوان ويقام فى مجد ، يزرع فى ضعف ويقام فى قوة » ١ كو ١٥ : ٤٢ ، ٤٣ . مرة أخرى يؤكد لنا إشعياء النبى أن الموت الذى دخل بسبب الخطية لا يستعيدُ قوته على سكان الأرض أبدياً إنما يبطل خلال قيامة المسيح من الأموات ، حيث يجدد المسكنه ويردها إلى ما كانت عليه كما هو مكتوب : « خلق الله كل شيء فى عدم فساد » حك ١ : ٤ ، قائلاً : « يُبلع الموت إلى الأبد ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه وينزع عار شعبه عن كل الأرض » إش ٢٥ : ٨ . عار الشعب هو الخطية ، إذ تنزع يبطل الموت ويرحل الفساد من وسط الشعب ، وإذ ينتهى الموت تُنزع دموع كل أحد ويتوقف النحيب ، فلا توجد علة بعد للبشر من جهة البكاء والنحيب .

هكذا لدينا الكثير من الأسانيد فى تفنيد جحود اليهود ، لكننا لننظر إلى ما قاله لهم المسيح : حقاً إن أبناء هذا العالم الذين يعيشون الحياة الجسدانية العالمية مليئة بالشهوات من أجل الإنجاب لذا يزوِّجون ويزوَّجون ، أما الذين يبلغون الحياة المختارة

المكرمة والحاملة كل سمو والمتأهلة للقيامة المجيدة العجيبة فبالضرورة تفوق حياة البشر في هذا العالم . إنهم يعيشون في حضرة الله كقديسين ، يصيرون مساوين للملائكة ، أبناء لله . إذ تُنزع منهم كل شهوة جسدية ولا يكون للذة الجسد موضع فيهم بل يتشبهون بالملائكة القديسين يمارسون الخدمة الروحية لا المادية كأرواح مقدسة ، وفي نفس الوقت يتأهلون لمجد كذلك الذي يتمتع به الملائكة .

برهن المخلص على جهل الصدوقيين المطبّق ، مقدماً لهم موسى معلمهم الديني كمعلم بالقيامة من الأموات بطريقة واضحة تماماً ، إذ يقدم لنا الله القائل في العليقة : « أنا إله ابراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » . إله من هو ان كان هؤلاء — كما يظنون — لا يعيشون بعد ؟ ! إنه إله أحياء ، لذلك سيقومون عندما تجلبهم يمين الله القدير ، ليس وحدهم بل وكل الذين هم على الأرض . عدم الايمان بهذا يليق بجهل الصدوقيين ، لا بمحبي المسيح . أما نحن فنؤمن بالقائل : « أنا هو القيامة والحياة » يو ١١ : ٢٥ ، هذا الذي يقيم الأموات : « في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير ، فانه سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير » ١ كو ١٥ : ٥٢ . سيغيرنا مخلصنا كلنا إلى عدم الفساد ، إلى المجد والحياة غير الفاسدة ، هذا الذي به وله المجد والحمد والسلطان مع الله الآب والروح القدس إلى أبد الأبد ، آمين[٢٩٨]] .

المفهوم الرمزى للمرأة التى تزوجت سبعة رجال

في دراستنا السابقة لحديث السيد المسيح مع الصدوقيين أثناء دراستنا لإنجيل متى (٢٢ : ٢٣ — ٢٣) ، رأينا هذه المرأة التى تزوجت السبعة إخوة ولم تنجب تشير إلى الكنيسة التى عاشت زماناً (رقم ٧) بأعمال الناموس . . . لكنها لم تأتِ بثمر روحى حتى ماتت عن أعمال الناموس لتحيا بالنعمة على مستوى ملائكى روحى . . . ويقدم لنا أحد النصوص المنسوبة **للقديس جيروم** تفسيراً رمزياً آخر ، جاء فيه : [من هى هذه المرأة التى لم تنجب من الإخوة السبعة والتى ماتت في النهاية إلا المجمع اليهودى الذى فارقه الروح السباعى (إش ١١ : ٢) الذى ملأ السبعة آباء البطاركة ، والتى لم يُترك لها نسل ابراهيم أى يسوع المسيح ؟ ! فمع أنه وُلد لهم لكنه وُهب للأمم ! لقد ماتت هذه المرأة عن المسيح فلا ترتبط في القيامة بأى واحد

من البطاركة السبعة ، وانى أقصد برقم سبعة صحبة المؤمنين جميعاً . على عكس هذا قيل باشعياء أن سبع نساء يمسكن برجل واحد (إش ٤ : ١) ، أى السبع كنائس التى يحبها الرب وينتهرها ويؤدبها فتتعبد له بإيمان واحد[٢٩٩]] .

٤ — الكتبة والوصية

« فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه أجابهم حسناً ، سأله : أية وصية هى أول الكل . فأجابه يسوع : أن أول كل الوصاياهى اسمع يا اسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك . هذه الوصية الأولى ، وثانية مثلها هى تحب قريبك كنفسك ، ليس وصية أعظم من هاتين » ع ٢٨ — ٣٢ .

إن كان الفريسيون والصدوقيون والهيرودسيون قد جاءوا إلى السيد بخبث ليجربوه ، كى يصطادوه بكلمة كمثير فتنة ضد الحاكم الرومانى أو كاسر للناموس الموسوى ، فان محاوراتهم للسيد جذبت كثيرين للتمتع بمفاهيم جديدة ، الأمر الذى أثار هذا الكاتب ليقدم سؤالاً كثيراً ما تناقش فيه رجال الدين المتعلمون خاصة الكتبة ، ولعله أيضا فى عرضه السؤال أراد أن يجرب السيد (مت٢٢ : ٣٤ ، ٣٥ ، لو ١٠ : ٢٥) ، إذ حسبه يميز بين وصايا الناموس وبعضها البعض ، أو يقدم وصية من عندياته كأعظم مما ورد فى الناموس . وإن كان السيد لم يوبخ هذا الكاتب بل بالحرى أجابه بحكمة الهية فائقة مقدماً أساساً روحياً لمفهوم الوصية ، يمكن تلخيصه فى الآتى :

أولا : أن الوصايا تمثل وحدة واحدة لا يمكن فصلها عن بعضها البعض ، فبينما يطلب الكاتب وصية هى أول الكل يقدم السيد المسيح وصيتين على مستوى واحد ، ملتحمتين معاً ، تمسان علاقتنا بالله خلال إيماننا به واعترافنا بوحدانيته ، وحبنا له بلا حدود ، وعلاقتنا بقريبنا الذى نحبه كأنفسنا . . . وقد كشف لنا انجيل لوقا من هو قريبنا بمثل السامرى الصالح (لو ١٠) .

بمعنى آخر لا انفصال بين الإيمان بالله والاعتراف به وبين حبنا له ، ولا انفصال

بين علاقتنا بالله وعلاقتنا باخوتنا . . . وكأن الوصية هي تمتع بسمة حياة داخلية يعيشها الانسان في أعماقه وتعلن خلال إيمانه وشهواته لله ومعاملاته مع الناس .

في نص منسوب للقديس جيروم[٣٠٠] جاء : [هذا السؤال يمثل وحده مشكلة عامة للمتعلمين في الناموس ، وهو ان الوصايا الواردة في الخروج واللاويين والتثنية مختلفة . وقد قدم السيد وصيتين وليس وصية واحدة وكأنهما ثديان على صدر العروس بهما تنتعش طفولتنا . . . لقد أشار إلى أول الوصايا العظمى التي يجب على كل واحد منا أن يعطيها المكان الأول في قلبه ، كأساس للتقوى ، وهي معرفة وحدة اللاهوت والاعتراف بها مع ممارسة العمل الصالح الذي يكمل بحب الله والقريب] .

ثانياً : إن كان الحب هو جوهر الوصية ، فان هذا الحب ليس تصرفاً خارجياً نبرزه فحسب إنما يمثل حياة تمس كل إمكانياتنا ، تمس كياننا « تحب من كل النفس » ، وتمس عواطفنا وأحاسيسنا الداخلية « من كل القلب » ، وتمس فكرنا « من كل الفكر » وأيضا تمس تصرفاتنا الظاهرة « من كل قدرتك » . وكأن الحب يعني تقديس الانسان بكليته بروح الله القدوس ليحمل طبيعة خالقة في داخله ، يكون « الله محبة » ١ يو ٤ : ٨ ، نحمل حياته وسماته عاملة في النفس والقلب والفكر والجسد وكل الطاقات والمواهب !

الوصية هي تمتع وتجاوب مع روح الله القدوس الذي يشكلنا على الدوام ويرفعنا من مجد إلى مجد لعلنا نبلغ قياس قامة ملء المسيح (أف ٤ : ١٣).

يقول الأب ثيؤفلاكتيوس : [أنظر كيف يعدد كل قوى النفس ، إذ توجد القوة الحية في النفس التي شرحها بقوله « من كل النفس » ، هذه القوة ينسب الغضب والرغبة هذه التي يجب تسليمها للحب الإلهي . كما توجد قوى أخرى تسمى « القوة الطبيعية » ولها ينسب النمو والانتعاش ، والتي يجب أيضاً تسليمها لله إذ قيل « من كل قلبك » . وأيضا قوة ثالثة هي العقلية والتي تدعى « الفكر » التي يجب تسليمها أيضا بالكامل] .

على أي الأحوال يبدو أن خلافاً دار بين فئات اليهود أنفسهم ، فالبعض ركز على أهمية الشرائع الطقسية خاصة تقديم الذبائح ، والآخر على الجانب الايماني ، وثالث

على الجانب السلوكى العملى . . . وقد جاء السيد المسيح ليؤكد الحاجة إلى تغيير شامل فى النفس والقلب والفكر مع تجاوب كل طاقات الانسان وإمكانياته مع هذا التغير الداخلى . وقد أعجب الكاتب بالاجابة ، قائلاً : « **بالحق قلت لأنه (الله) واحد وليس آخر سواه ، ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ومحبة القريب كالنفس هى أفضل من جميع المحرقات والذبائح** » ع **٣٢** ، **٣٣** . أجابه السيد : « **لست بعيداً عن ملكوت الله** » ع **٣٤** ، لكنه لم يقل له : « فى داخلك ملكوت الله » ، إذ عرف الكاتب ملامح الطريق لكن لم يكن قد دخله بعد ولا تمتع به .

المسيح كابن داود وربه :

إذ توقفت الحوارات كقول الانجيلى « ولم يجسر أحد بعد ذلك أن يسأله » ع **٣٤** ، بدأ السيد يحدث الجماهير من خلال كلمات الكتبة أنفسهم ليكشف لهم عن طريق خلاصهم به ، إذ يقول الإنجيلى :

« ثم أجاب يسوع وقال وهو يعلم فى الهيكل : كيف يقول الكتبة أن المسيح إبن داود ، لأن داود نفسه قال بالروح القدس : قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك ، فداود نفسه يدعوه رباً ، فمن أين هو إبنه ؟ » ع **٣٥** ــ **٣٧** .

يتحدث الآن السيد المسيح عن نفسه علانية ولأول مرة ليعلن الآتى :

أولا : أنه المسيا إبن داود وفى نفس الوقت ربه . . . تعرف عليه داود منذ أجيال طويلة لا من ذاته وانما بالروح القدس إنه موضوع النبوات ومشتهى الآباء !

ثانياً : إن كانت القوى قد تكاتفت لا لمحاورته فحسب وإنما أيضا لقتله صلباً ، فانهم يقاومون الآب أيضا الذى يضع الأعداء تحت قدمىّ الإبن ، ليس عن ضعف فى الإبن وانما عن وحدة العمل بين الآب والإبن . وكأن السيد يطالبهم قبل الدخول فى أحداث الطريق أن يراجع كل إنسان نفسه لئلاً تسحبه الأحداث ليكون مقاوماً للحق ومعانداً لله . اما قوله «**إجلس عن يمينى** » فيعنى أنه يحمل قوته ، ولا يعنى تفاوتاً فى الكرامة . فإن كان الآب يخضع الأعداء تحت قدمى الإبن ، فالإبن أيضا

يخضع الأعداء تحت قدمى الآب إذ يمجد أباه على الأرض (يو ١٥ : ٤) .

يقول القديس **أمبروسيوس** : [كل ما للآب هو للإبن .. نحن نميز الآب عن الإبن فى اختلاف الأقانيم لكنهما واحد فى القدرة ، الواحد فى الآخر . . . مجد الآب لا يضمحل فى الإبن ، وجمال الإبن أن ترى فيه كال الآب ، إنهما واحد فى القدرة[٣٠١]] . ويقول **القديس كيرلس الكبير** : [ونحن أيضا نضع ذات السؤال لفريسى الأزمنة الاخيرة (النساطرة) ، ليت هؤلاء الذين ينكرون أن المولود من القديسة العذراء هو بعينه ابن الله الآب وأنه هو الله مقسمين المسيح الى إبنين ، ليشرحوا لنا كيف يكون إبن داود ربه ، ليس لربوبية بشرية بل لاهوتية . فان جلوسه عن يمين الآب هو تأكيد وعربون المجد الأسمى . فإذ لهما عرش واحد لهما كرامة واحدة ، والمتوجان بكرامة واحدة لهما طبيعة واحدة[٣٠٢]] .

ثالثاً : إن كان السيد قد أتهم باتهامات كثيرة أثناء خدمته ، لكنه يتمجد بخضوع أعدائه تحت قدميه فى يومه العظيم ، وكما يرى **القديس كيرلس الكبير** ان السيد المسيح قصد بهذا الحديث أن يسحب قلوب تلاميذه من الفكر الفريسى الذى يهتم بالمجد الزمنى ليطلبوا المجد الأبدى مع مسيحهم . بمعنى آخر إن كان السيد قاومه كثيرون فى خدمته للبشرية ويُعلن مجده أبدياً . هكذا من يتبعه يحتمل المقاومات هنا من أجل الأبديات . لهذا السبب ، يكمل الانجيلى حديثه هكذا :

« وقال لهم فى تعليمه : تحرزوا من الكتبة الذين يرغبون المشى بالطيالسة والتحيات فى الأسواق ، والمجالس الأولى فى المجامع ، والمتكآت الأولى فى الولائم ، الذين يأكلون بيوت الأرامل ولعلة يطيلون الصلوات . هؤلاء يأخذون دينونة أعظم » ع ٣٨ : ٤٠ .

حذر تلاميذه من أن يضعوا قلوبهم فى ثيابهم أى فى المظاهر الخارجية ، فقد إعتاد أن يخفى بعض رجال الدين اليهودى شرهم وخبثهم تحت ستار الزىّ الخارجى ، فينالون الكرامة الزمنية وهم يحملون قلوب ذئبية . . . لهذا نجد **القديس يوحنا الذهبى الفم** كثيراً ما يوبخ نفسه ، قائلاً : « عجبى من أسقف يخلص ! » ، حتى يكون — وهو رئيس أساقفة — فى حذر دائم من ذاته . بمعنى آخر ثياب الكهنوت

فى ذاتها لا تبرره بل بالحرى تدينه إن لم يحمل فى قلبه مجداً داخلياً . بذات الروح قال الراهب المتوحد **القديس يوحنا سابا** : [يا رجل الله حتى متى بالسواد فقط (ربما قصد زى الرهبنة) تعزى نفسك ؟ ! كن كلك لهيباً واحرق جميع الذين حولك لترى المجد الخفى داخلك[٣٠٣]] ، [ويل لى ، لأنى إلى الآن أعزى نفسى بالسواد فقط[٣٠٤]] .

يقول **الأب ثيؤفلاكتيوس** : [لقد إعتادوا أن يسيروا مرتدين ثياباً مكرمة لكى ينالوا تكريماً عظيماً بسببها ، ويتبعون نفس الأمر فى أشياء كثيرة تقودهم للمجد الزمنى] .

وما يقوله السيد المسيح بخصوص الرغبة فى المشى بالطيالسة يذكره بخصوص الرغبة فى التمتع بتحيات الناس ونوال المتكآت الأولى ، وفى إطالة الصلوات عمداً . . . غير أن السيد لم يهاجم الملبس فى ذاته ولا تحيات الناس ولا الجلوس فى المتكآت الأولى أو إطالة الصلوات ، إنما هاجم الفكر الداخلى والشهوة العميقة للتصرف هكذا من أجل المجد الباطل ، بينما يحمل الانسان قلباً قاسياً حتى يستبيح لنفسه أن يأكل حق الأرامل .

٥ ـــ الأرملة المحبة والفلسان

إن كانت كل قوى القيادات اليهودية قد تكاتفت معاً لمقاومة السيد ، فقد وُجدت أرملة فقيرة مملوءة حباً لله والناس قدمت كل أعوازها ـــ أى فلسين ـــ فى الهيكل فحسبها الرب أفضل من مقدمى الذهب الكثير والفضة ، إذ قال : « **الحق أقول لكم أن هذه الأرملة الفقيرة قد ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا فى الخزانة ، لأن الجميع من فضلتهم ألقوا ، وأما هذه فمن أعوازها ألقت كل ما عندها كل معيشتها** » ع ٤٣ ، ٤٤ .

فى نص منسوب **للقديس جيروم**[٣٠٥] يرى الكاتب فى نفسه انه هو الأرملة الفقيرة اذ يقدم فى قلوب الناس كما فى خزانة الهيكل فلسين هما الشرح المبسط للإيمان النابع عن العهدين القديم والجديد ، يجد له مكاناً فى قلوب سامعيه بالروح القدس ليترجمه الروح إلى حياة عملية فى الفكر والقول والعمل .

ويرى الأب **ثيؤفلاكتيوس** فى هذه المرأة رمزاً للنفس المؤمنة التى ترملت إذ مات رجلها الأول الذى باعت نفسها له اى إبليس ، وتقدمت لعريسها الجديد بالفلسين أى النفس والجسد ، تقدمهما خلال الاتضاع والنسك . . . تهبه كل حياتها ليعمل فيها .

ويرى **القديس أغسطينوس** فى الفلسين (رقم ٢) إشارة للحب ، فاننا لا نستطيع أن نقترب الى مقدسات الله ، ولا يتطلع الرب إلى تقدماتنا ان لم تنبع عن قلب متسم بالحب لله والناس . بالحب ننعم بالمقدسات وتكريم الرب لنا .

هذا وقد فتحت هذه الأرملة الباب أمام جميع المؤمنين لإدراك مفهوم العطاء الحقيقى . . . إنه عطاء القلب الداخلى الذى يفرح قلب الله وليس مجرد العطاء الظاهر ، فمن كلمات الآباء فى هذا الشأن :

+ ألم تفق (هذه الأرملة) فيض غناك بسبب استعدادها الداخلى ؟
كتب الحكيم بولس شيئاً من هذا النوع : « لأنه إن كان النشاط موجوداً (الارادة حاضرة) فهو ليس مقبول على حسب ما للإنسان لا على حسب ما ليس له » ٢ كو ٨ : ١٢ . ليس فقط الغنى ينال نعمة من الله بتقديمه ثمراً للإخوة ، فان مخلص الجميع يقبل ذبيحته ، وانما أيضا يهب نعمة للذى يقدم قليلاً لأنه يملك القليل ، ولا يخسر الأخير شيئاً بسبب قلة ما يملكه . فإن الله ناظر الكل يمدح استعداده الداخلى ويقبل نيته ويجعله مساوياً للغنى ، بل بالحرى يهبه إكليلاً أعظم كرامة مما للغنى .

القديس كيرلس الكبير(٣٠٦)

+ أتقول ليس لك قدرة على تقديم أعمال رحمة ؟ ! . . . لك فلسان ، أيا كان فقرك فلك قدمان بهما تزور المريض وتفتقد فى السجن . لك سقف تستقبل تحته غرباء . ليس هناك عذر قط لمن لا يمارس عمل الرحمة .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٣٠٧)

+ ما اشترت به الأرملة بفلسين اشتراه بطرس بتركه الشباك (مت ٤ : ٢٠) ، وزكا بتقديمه نصف أمواله (لو ١٩ : ٨) .

+ أى شيء يا إخوة أكثر قدرة من أنه ليس فقط زكا اشترى ملكوت السموات بنصف أمواله (لو ١١ : ٨) ، وإنما اشترته الأرملة بفلسين ، يملك الاثنان نصيباً متساوياً ؟ ! أى شيء أقدر من هذا أن ذات الملكوت الذى يتأهل له الغنى بتقديم كنوزه يناله الفقير بتقديم كأس ماء بارد (مت ١٠ : ٤٢) ؟ !

+ قليل هو مالها ، لكن عظيم هو حبها .

القديس أغسطينوس[٣٠٨]

+ من يقدم نفسه لله إنما يقدم كل شيء له دفعة واحدة .

+ مع كونها أرملة فقيرة لكنها كانت أغنى من كل شعب اسرائيل .

+ مثل هذه التقدمات لا تقدر بوزنها بل بالإرادة الصالحة التى قُدمت بها .

القديس جيروم[٣٠٩]

+ + +

الاصحاح الثالث عشر

علامات المنتهى

إذ دخل السيد المسيح إلى أورشليم ليعلن حبه لنا عملياً بالصليب إنما لكى يدخل بنا إلى أورشليمه السماوية وينعم علينا بأمجاده الأبدية .

فى الأصحاحات السابقة تلمسنا عمل السيد المسيح الذى جاء ليهدم الإنسان القديم الترابى ويقيم فينا الإنسان الجديد الروحى الذى على صورة خالقه . بنفس الروح إذ يتحدث عن مجيئه الأخير يكشف عن هدم الأبنية القديمة لننعم ببناء أبدى غير مصنوع بيد . أما علامات المنتهى الواردة هنا ، فقد سبق شرحها خلال فكر الآباء عند دراستنا لإنجيل متى (ص ٢٤) وقد جاءت هنا بذات الترتيب والفكر :

١ - هدم الهيكل القديم	١ - ٢ .
٢ - ظهور مسحاء كذبة	٣ - ٦ .
٣ - قيام حروب وحدوث كوارث	٧ - ٨ .
٤ - حدوث مضايقات	٩ - ١٣ .
٥ - رجسة الخراب	١٤ .
٦ - وصايا للدخول فى الملكوت	١٥ - ١٨ .
٧ - الضيقة العظمى	١٩ - ٢٠ .
٨ - ظهور أنبياء كذبة	٢١ - ٢٣ .
٩ - إنهيار الطبيعة	٢٤ - ٢٥ .
١٠ - مجيء إبن الانسان	٢٦ - ٢٧ .
١١ - مثل شجرة التين المخضرة	٢٨ - ٢٩ .

١٢ – تأكيد مجيئه	٣٠ – ٣١ .
١٣ – عدم معرفة الساعة	٣٢ .
١٤ – الدعوة للسهر	٣٣ – ٣٧ .

+ + +

مقدمة

جاء هذا الحديث الخاص بعلامات المنتهى فى جلسة خاصة للسيد مع تلاميذه وحدهم ، فى لقاء هادىء بعد دخوله اورشليم وتطهيره الهيكل ولعن شجرة التين ، خاصة وان احداث الآلام والصلب كانت قد اقتربت جداً ، فما غاية هذا الحديث ؟

يمكننا ان نتعرف على غاية هذا الحديث الودى من خلال قراءات يوم الثلاثاء من البسخة المقدسة (أسبوع الآلام) حيث ركزت الكنيسة نظر اولادها فى هذا اليوم على مجيء السيد المسيح الأخير .

أولا : لعل ما يلفت نظرنا فى قراءات الساعة الأولى من هذا اليوم ما أعلنه الله فى سفر الخروج (ص ١٩) أنه حمل شعبه كما على أجنحة النسور لا لينقلهم من أرض العبودية وينطلق بهم إلى أرض الموعد ، بل ينقلهم إليه هو شخصياً ، إذ يقول : « وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إلىّ » خر ١٩ : ٤ .

لعل التلاميذ إذ رأوا السيد المسيح حازماً كل الحزم فى تطهير الهيكل ، وفى لعنه شجرة التين تملكهم روح اليأس ، وخشى كل منهم لئلا يكون نصيبهم كشجرة التين ، لهذا جاء حديثه هنا يطمئن التلاميذ ، أنه يعد لهم سمواته مقدماً لهم علامات مجيئه ، وإن كانت مرة لكنها مطمئنة...إن كان قد حمل آباءهم كما بأجنحة النسور ليجيء بهم إليه ، فإنه يرسل لهم روحه القدوس ليحملهم فوق كل الأحداث لينعموا بلقائه الأخير على السحاب .

يؤكد لنا السيد : « أنتم من أسفل وأما أنا فمن فوق . أنتم من هذا العالم ، وأما أنا فلست من هذا العالم » يو ٨ [٣١٠]. كأنه يؤكد لنا أننا غير قادرين بذواتنا أن نرتفع إليه لنلتقى معه على سحاب السماء ، لكنه هو من فوق يقدر أن يضمنا إليه ،

فيجعلنا حاملين سمته : « لست من هذا العالم » . به ترتفع قلوبنا التى تصير ليست من هذا العالم ، اى تحمل سمته ، فتدخل معه فى شركة أمجاده . لعله أيضا أراد أن يعلن بعلامات المنتهى المرة أنه سمح بها لكى يدفعنا دفعاً إلى الانطلاق من هذا العالم ، أى تخلع عنا محبة الزمنيات ونترك سمتنا أننا من هذا العالم ، فنقدر أن نلتقى مع ذاك الذى ليس من هذا العالم .

حقاً إن العلامات التى قدمها لتلاميذه مرهبة جداً ، لكن إشعياء النبى يقول : « لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة » إش ١ [٣١١] . وكأن التلاميذ هم البقية الصغيرة التى تعجز عن الخلاص بذاتها لكن مراحم رب الجنود تترفق بها . بمعنى آخر ملكوته السماوى قد أُعد للبقية الصغيرة يهتم الله نفسه بها ، اذ يقول : « لا تخف أيها القطيع الصغير ، لأن أباكم قد سُر أن يعطيكم الملكوت » لو ١٢ : ٣٢ .

هكذا أبرزت القراءات اهتمام الله نفسه بتقديم الملكوت . . . ولعل سرد السيد المسيح لتلاميذه علامات مجيئه بما تحمله من مرارة إنما ليعلن لهم أنه يعرف أن الطريق ضيق للغاية وكرب ، لكنه فى يديه ، أو هم فى قبضة يده يحفظهم حتى يجتاز بهم وينطلق بهم إليه !

ثانياً : لعل عرض السيد المسيح علامات المنتهى على تلاميذه ليس فقط يؤكد لهم دور الله نفسه واهتمامه بملاقاتهم معه على السحاب ، وإنما دور المؤمنين أيضاً . جاءت هذه العلامات تحمل فى مجملها هدماً تاماً للحياة الزمنية بل وللطبيعة إعلاناً لحياة أفضل أبدية .

حملت قراءات الساعة الثالثة من يوم الثلاثاء من البسخة المقدسة تحذيراً من الشبع من هذا العالم والإهتمام ببناء بيوت جميلة (تث ٨) ، تدفعنا نحو اختيار طريق خدمة الرب حيث تنتظرنا التجارب (إبن سيراخ ٢ : ١) ، وتؤكد لنا انه لا يُترك حجر على حجر إلا ويُنقض (مت ٢٤) . كأن الكنيسة وهى تقدم لنا علامات المنتهى ترسم لنا الطريق الانجيلى للتمتع بالمسيح القادم على السحاب فتطالبنا ألا تمتلىء بطوننا الداخلية بسكر هذا العالم وملذاته ولا يرتبك ذهننا ببناء بيوت أرضية وتزينها كمن يستقر على الأرض أبدياً ، إنما بالحرى نمسك بصليب ربنا يسوع المسيح

لنحمل التجارب بقلب متسع ، ونهدم كل حجر فى داخلنا ليقيم الله فينا بناءً جديداً يليق بنفوس منطلقة نحو أورشليم العليا ، تتحد بعريس سماوى .

ثالثاً : لعل السيد المسيح فى حديثه مع تلاميذه عن علامات المنتهى ، بالرغم مما قدمه من طريق طويل وشاق للغاية لكنه بسلطان ألهب قلوبهم غيرة للدخول فيه . لهذا السبب تقدم لنا الكنيسة فى قراءات يوم الثلاثاء من البسخة قصتين غاية فى الأهمية : لقاء إيليا مع الله وسماعه صوته الإلهى لا خلال الريح العاصف الشديد ولا الزلزلة ولا النار بل خلال النسيم الهادىء اللطيف (١ مل ١٩ : ٩ — ٤) ، وتمتع نوح بالخلاص فى الفلك وسط الطوفان (٣١٢) . قصة إيليا تمثل الحاجة إلى الغيرة المقدسة للقاء مع الله ، لكنها غيرة ملتهبة داخلية تقوم خلال النفس الهادئة فى الرب ، التى تحمل سماته حيث لا يصيح ولا يسمع أحد صوته فى الشوارع (إش ٤٢ : ٢ ؛ مت ١٢ : ١٩) . أما فلك نوح فيلتحم بغيرة ايليا ليترجم أعماقنا الداخلية واشتياقنا القلبى لملاقاة الرب إلى عمل جاد ، فنقبل صليب الرب عملياً كمن يدخل الفلك مع عائلته وحيواناته وطيوره لينعم باللقاء مع الله وسط هياج العالم الشديد والطوفان المهلك للكثيرين . هذا الفلك يمثل البيت الجديد الذى نقطنه هنا فيحملنا مرتفعاً بنا فوق المياه ، لذلك جاءت القراءات تحدثنا عن بيت الحكمة (أم ٩ : ١ — ١١) المؤسس على الأعمدة السبعة التى هى أعمال الروح القدس .

بمعنى آخر لكى نلتقى بربنا يسوع القادم على السحاب يليق بنا ونحن هنا على الأرض أن نتدرب بالروح القدس الذى فينا أن نسكن الفلك الذى يرفعنا الى فوق ، وأن نقطن الجبال العالية ، إذ يقول النبى : « اصعد على جبل عالٍ يا مبشر صهيون » إش ٩ كما جاء فى نبوات ذات اليوم ، حينئذ ننعم مع دانيال (ص ٧) برؤية السيد القادم على السحاب .

رابعاً : أخيراً لكى تلهب الكنيسة شوقنا للتمتع بهذا اللقاء الأبدى تحدثنا عن بهاء المجد الذى ننعم به حينذاك ، فتقتبس فى قراءاتها ما قاله إشعياء : « نور القمر كنور الشمس » إش ٣٠ ، وما قاله السيد نفسه : « كل من له يعطى فيزداد » مت ٢٥ . . . بمعنى آخر ما نناله من بهاء داخلى هنا يكون عربونا لبهاء أعظم أبدى ،

فإن صرنا بالرب قمراً نصير هناك شمساً ، وإن صار لنا مكافأة داخلية فان ما يُعطى لنا هنا يزداد هناك .

بجانب هذا الفكر الكنسى تجاه ما ورد فى هذا الأصحاح نود أن نوضح سمات أخرى لهذا المقال :

أولا : يُعتبر ما ورد فى هذا الأصحاح أحد المقالين الطويلين للسيد المسيح فى هذا الانجيل ، الأول ورد فى الأصحاح الرابع (١ — ٣٤) . . . وقد لاحظ بعض الدارسين فى المقال الذى بين أيدينا أنه إختلف فى طابعه عن بقية أحاديث السيد المسيح ، فدعاه البعض « الرؤيا الصغيرة **Little Apocalypse**» وان كان البعض الآخر رفض تماماً هذه التسمية ، متطلعاً إلى المقال أنه لم يقم على رؤيا معينة إنما هو حديث مفتوح خاص بين السيد المسيح العالم بالأسرار وتلاميذه .

ثانياً : لا يستطيع القارىء المعاصر — مهما كانت قراءاته أو معرفته — أن يدرك أثر هذا الحديث على نفسية الانسان اليهودى فى أيام السيد المسيح من جهة خراب الهيكل ، فقد كان الهيكل هو كل شىء فى حياته ، يمثل ملكوت الله وعلامة حلول الله فى وسط شعبه ورضاه عليه ؛ يتعلق اليهودى بالهيكل تماماً ويحسب أى مساس به علامة غضب الله الشديد نحو شعبه كله ! لهذا كان لائقاً أن يكشف الرب عن دمار العالم المادى كله كطريق تمهيدى لمجىء المسيح الأخير على السحاب ، ودمار الهيكل المادى لإقامة هيكل الرب الروحى .

ثالثاً : هذا المقال فى حقيقته لم يقدمه السيد لنتعرف على الأزمنة والأوقات ، ولا كعمل نبوى به نتعقب الأحداث ، لكنه وهو مقال يكشف عن أسرار المستقبل جاء بقصد عملى رعوى ، فيه يحث السيد المسيح كنيسته على الجهاد المستمر وتخطى العقبات التى تقوم على الدوام حتى مجيئه ، وكما يحذرنا من المسحاء والانبياء الكذبة ، ويوصيها بالسهر الدائم ترقباً لمجيئه !

رابعاً : أخيراً يرى كثير من الدارسين أنه « حديث ختامى » أو « وداعى » قدمه السيد المسيح لأربعة من خاصته ، كما اعتاد بعض آباء وأنبياء العهد القديم أن يفعلوا هكذا قبيل موتهم مثل إسحق (تك ٢٧) ، ويعقوب (تك ٤٩) ، وموسى (تث

٣١ : ٢٨ الخ ، ٣٢) ، ويشوع (يش ٢٤) ، وصموئيل (١ صم ١٢) ، وداود (١ أى ٢٨ ، ٢٩) ، وطوبيا (طو ١٤) .

هذا الحديث الوداعى الخاص ــ إن صح تسميته ــ بجانب حديثه الوداعى العام لتلاميذه (يو ١٤ ــ ١٦) يختلف تماماً عن كل حديث وداعى قدمه أحد الآباء أو الأنبياء قبل موته . فاسحق ودّع إبنيه فى شيخوخته وهو فاقد البصر لا يميز يعقوب من عيسو أما يسوع رب المجد فيحدث تلاميذه قبل الصلب بقوة معلناً أن قوات الظلمة لن تحطم خطته لخلاص البشرية ، فاتحاً بصيرتهم الداخلية لمعاينته قادماً على السحاب ليحملهم الى مجده . ويعقوب يتحدث مع بنيه لتأسيس شعب الله على الأرض أما رب المجد فيعلن تأسيس ملكوته الأبدى . وموسى يوصى شعبه بعد أن حُرم من الدخول معهم إلى أرض الموعد أما يسوع المسيح فيأتى ليحملهم إلى مجده الفائق . وهكذا بقية الآباء والأنبياء . . . ما قد عجزوا عن تقديمه لأنفسهم اشتهوه لاخوتهم وأولادهم وشعبهم ، أما السيد المسيح فهو الرأس المنطلق إلى أمجاده ليحمل مؤمنيه جميعاً إلى حضن أبيه فى قوة .

الآن نعود إلى النص الانجيلى راجياً الرجوع الى تفسير الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيل معلمنا متى البشير منعاً من التكرار ، مشتاقاً إن يلهب الرب أعماقنا جميعاً لشهوة الالتقاء معه عند مجيئه إلينا فى اليوم العظيم .

١ ــ هدم الهيكل القديم

« وفيما هو خارج من الهيكل قال له واحد من تلاميذه : يا معلم ، أنظر ما هذه الحجارة ؟ وما هذه الأبنية ؟ فأجاب يسوع وقال له : أتنظر هذه الأبنية العظيمة ؟ لا يُترك حجر على حجر لا ينقض » ع ١ ، ٢ .

هذا السؤال قدمه أحد التلاميذ فيما كان السيد المسيح يخرج من الهيكل ، فقد كانت أبنية الهيكل العظيمة بملحقاته تشغل ذهن اليهود كعلامة رضى الرب عنهم . لقد بدأ بناء الهيكل الثانى فى عهد زربابل بسماح كورش ملك الفرس الذى أحسن لليهود وسمح لهم بالعودة من السبى والبدء فى بناء الهيكل فى القرن السادس ق . م ، وقد إمتاز الهيكل الجديد عن القديم بضخامته وان كان أقل منه فى الفخامة . وفى أيام

هيرودس قبل ميلاد السيد المسيح ، حوالى سنة ٢٠ ق . م بدأت عملية ترميم ضخمة بقيت حتى حوالى سنة ٦٠ م اى قبل خرابه بحوالى سبع سنوات كما يقول المؤرخ اليهودى يوسيفوس [٣١٣] ، موقعه حالياً الحرم الشريف أو قبة الصخرة فى مدينة أورشليم القديمة .

تمّ هذا التساؤل فيما كان السيد « يخرج » من الهيكل . . . أما سرّه فغالبا أن هذا التلميذ أراد أن يسمع من فم معلمه ما جال فى خواطر التلاميذ أن السيد جاء ليطهر الهيكل حتى يجعله مركز مملكته وقصره الملوكى ، من خلاله يملك على العالم . فجاءت إجابة السيد المسيح تحطم خواطرهم المادية تماماً ، على نقيض ما كانوا يتوقعون ، فقد استغل السيد المسيح هذا السؤال ليعلن لتلاميذه عن إزالة الهيكل تماماً ، وخراب أورشليم ، بل ونهاية العالم المادى كله حتى يسحب قلوبهم إلى الملكوت الروحى والمجد السماوى الآخروى .

يقول **القديس كيرلس الكبير** : [توقع (التلاميذ) أن يُعجب بالمنظره حين يراه ،

لكنه هو الله عرشه السماء . أقول فى لطفه لم يعطِ اهتماماً للأبنية الأرضية بكونها تافهة بل وتُحسب كلا شيء تماماً ، إن قورنت بالمواضع العلوية . لقد أوقف الحوار الخاص بهذه الأبنية ووجهه إلى ما هو لازم لنفعهم . إن كان الهيكل بالنسبة لهم يستحق أن ينال كل الإعجاب لكنه فى الوقت المناسب يخرب من أساساته حين يهدمه الرومان وتُحرق أورشليم بالنار ، فينال اسرائيل جزاءه لقتله الرب ، فقد حلت بهم هذه الأمور بعد صلب المخلص [٣١٤]] .

لكن السيد وهو ينطق بهذا لا يطلب الانتقام ولا يشتهى خراب مقاوميه إنما بكونه كلمة الله يعلن حقيقة الأحداث حتى يكشف لتلاميذه معالم الطريق . فمن جهة يلزمهم ألا يربطوا قلوبهم بحجارة وأبنيه بل بهيكل روحى داخلى يسكنه الرب ويقيم فيه ملكوته ، ومن جهة اخرى يلزم هدم الحجارة من الفكر الحرفى فلا تسلك بالناموس حرفياً بل ننعم به بالروح خلال هدم الحرف القاتل ، أخيراً فانه يلزم ان ننعم بهدم هيكل انساننا القديم تماماً ولا يترك عُمل من أعماله أو حجر على حجر إلا وينقض . هذه هى خبرتنا فى مياه المعمودية حيث يحطم روح الله القدوس إنساننا

القديم لكى لا يكون له أثر فى حياتنا . فان سلكنا بروح الله يقوم فى داخلنا البناء الروحى الجديد الذى من عمل نعمة الله المجانية ، أما إن عادت قلوبنا تطلب ما هو وراء يصير فى داخلنا هيكل الخطية القديم وتتحول حياتنا الى عمود ملح كامرأة لوط ونفقد بهاء ملكوت الرب فينا وأمجاده الفائقة .

يقول **القديس أمبروسيوس** : [تشير هذه الكلمات إلى هيكل سليمان وهدمه بواسطة الأعداء قبل زمن الدينونة ، لأنه لا يوجد عمل لأيدينا إلا ويتآكل ويُقاوم فيهلك أو تلتهمه النيران . وتشير أيضاً إلى مجمع اليهود . . . حيث يُهدم الهيكل المادى المنظور الذى للناموس المادى ، وأيضا الفصح المادى المنظور . . . ويصبح الهيكل روحياً والناموس روحياً والفصح أيضاً روحياً [٣١٥]] .

٢ — ظهور مسحاء كذبة

« وفيما هو جالس على جبل الزيتون تجاه الهيكل ، سأله بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس على إنفراد : قل لنا متى يكون هذا ؟ وما هى العلامة عندما يتم جميع هذا ؟ فأجابهم يسوع وابتدأ يقول : انظروا لا يضلكم أحد ، فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين : انى أنا هو ، ويضلون كثيرين » ع ٣ — ٦ .

كان حديث السيد المسيح عن خراب الهيكل فرصة ليتحدث مع أربعة من تلاميذه على إنفراد حديثاً خاصاً ، هؤلاء الأربعة هم الذين إختارهم السيد ودعاهم للتلمذة قبل بقية التلاميذ ، دعاهم إثنين فاثنين . وكما سبق فرأينا [٣١٦] أنهم يمثلون الفرس المنطلقة بالمركبة الإلهية نحو السماء ، أى المرتفعة بالكنيسة كمركبة نارية ملتهبة تنطلق من مجد إلى مجد نحو الحضن الإلهى . أو يمثلون أربعة حجارة حية أقامها السيد لبناء كنيسته الحيةّ . ولعل هؤلاء الأربعة يشيرون إلى الفضائل الأربعة اللازمة للكنيسة لتتمتع بمعرفة أسرار مجيئه الأخير : بطرس يشير إلى صخرة الايمان ، ويعقوب أى التعقب يشير إلى الجهاد أو المصارعة بلا توقف ، ويوحنا أى الله حنان يشير الى نعمة الله وحنانه ، واندراوس يعنى « الجدية » أو « الرجولة » يشير إلى الإنطلاق نحو الأبدية فى جدية بلا تراخى . بمعنى آخر تمتع هؤلاء التلاميذ الأربعة بهذا الحديث الإلهى الخاص بمجيئه حتى ننعم نحن به إن كان فى داخلنا هؤلاء الأربعة : الإيمان

الذى يرفعنا عن الأرضيات نحو المسيّا المخلص ، الجهاد العملى النابع عن إيماننا بالذى أحبنا ، نعمة الله التى نتكىء عليها تحملنا من الأرضيات وترفعنا إلى الأبديات وأخيراً الجدية فى الطريق ، اذ لا يعمل الله فى المتهاونين .

وقد تم هذا الحديث حين كان السيد المسيح جالساً على جبل الزيتون تجاه الهيكل ، ولم يكن هذا بلا معنى ، فجبل الزيتون هو الجبل الذى يقف عليه الرب بقدميه فى يوم الرب ليبيد الشر (زك ١٤ : ٤) ؛ وهو الجبل الذى شرق المدينة ، عليه رفع الكروبيم أجنحته وانطلق بالمركبة الإلهية لتفارق لا الهيكل وحده وإنما كل مدينة أورشليم (حز ١١ : ٢٢ ، ٢٣) . على هذا الجبل أعلن الرب مفارقته للهيكل القديم رافعاً أنظارنا إلى هيكل جديد يقوم هو نفسه ببنائه فى داخلنا ، حيث يقيم ملكوته السماوى داخلنا .

جبل الزيتون أيضا هو كنيسة الله المقدسة التى يُغرس فيها المؤمنون كأشجار زيتون فى بيت الرب ، فيها يجلس الرب نفسه مع مؤمنيه ليحملهم إلى أسراره الالهية الفائقة . . . يكشف لهم عن هدم الهيكل القديم وقيام هيكل جديد فى داخلهم لا يقدم ولا يشيخ بل يتجدد على الدوام بروحه القدوس .

أول علامة لمجيئه هى ظهور مسحاء وأنبياء كذبة لخداع البشرية فيقيمون مملكة إبليس تحت ستار المسيح أو إسم الله . . . لعل السيد بدأ بها لخطورتها ، ففى كل جيل يعمل عدو الخير بطرق كثيرة لخداع الكثيرين وسحبهم عن مملكة الله والتمتع بخلاصه .

لقد قدم لهم هذه العلامة فى بداية حديثه عن نهاية الأزمنة وأعلان ملكوته الأبدى ليكشف لهم أن طريق الملكوت ضيق للغاية ، يتطلب جهاداً لا ينقطع مع قوات الظلمة . فإن كان التلاميذ قد حزنوا حين سمعوا بخراب الهيكل تماماً ونقض كل حجارته ، فتساءلوا عن الزمان الذى يتحقق فيه ذلك لعلهم ينعمون مع السيد فى ملكوته ويكون لهم نصيب معه فى الهيكل قبل خرابه الشامل سحب السيد المسيح قلوبهم من الحزن على هدم حجارة وأبنية إلى الاستعداد لمقاومة عدو الخير نفسه الذى يطلب هدم ملكوت الله فى كل نفس . لذلك يقول معلمنا بولس الرسول : « أخيراً

يا إخوتى تقوّوا فى الرب وفى شدة قوته ، إلبسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس ، فان مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السمويات » أف ٦ : ١٠ — ١٢ .

كأن السيد المسيح يحذر تلاميذه طالباً منهم ألا يرتبكوا بهدم الهيكل بل بالحرى يحذروا خداعات العدو الشرير الذى يقاوم تحت ستار إسم المسيح نفسه ، مؤكداً : « أنظروا لا يضلكم أحد ، فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين إنى أنا هو ، ويضلون كثيرين » .

قال يوسيفوس المؤرخ اليهودى أن مزورين كثيرين وسحرة جذبوا إليهم كثيرين إلى البرية يخدعونهم ، فمنهم من جنّ ومنهم من عاقبه فيلكس الوالى . من بينهم ذلك المصرى الذى ذكره الأمير حين قال لبولس الرسول : « أفلست أنت المصرى الذى صنع قبل هذه الأيام فتنة وأخرج إلى البرية أربعة الآلاف الرجل من القتلة ؟ ! » أع ٢١ : ٣٨ .

إن كان كلمة الله يقدم كل الحب عملياً ليجتذب النفوس إليه بالحق لتنعم بالاتحاد معه ، فإن عدو الخير يخدع الكثيرين ويضللهم بارساله كثيرين يدعون التقوى ليضلوا النفوس ، بل وأحيانا يحملون اسم المسيح نفسه .

يحذرنا الشهيد كبريانوس ليس فقط من عدو الخير الذى يختفى أحيانا تحت إسم المسيح للخداع ، وإنما من أنفسنا لئلا نحمل نحن اسم المسيح دون قوته ، قائلاً : [كما أنه يخدع بالإسم وهو ليس المسيح حقيقة ، هكذا من (يحمل الاسم) ولا يسكن فى حق انجيله والايمان به لا يكون بحق مسيحياً [٣١٧]] .

٣ — قيام حروب وحدوث كوارث

« فإن سمعتم بحروب وبأخبار حروب فلا ترتاعوا ، لأنها لا بد أن تكون . ولكن ليس المنتهى بعد . لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة ، وتكون زلازل فى أماكن وتكون مجاعات واضطرابات . هذه مبتدأ الأوجاع » ع ٨ .

هذه العلامة تسبق هدم الهيكل على يدّى تيطس الرومانى ، فقد التهبت المملكة الرومانية بنيران الحروب فى الفترة ما بين صعود السيد المسيح وخراب الهيكل ، منها الحرب التى اشتعلت فى الاسكندرية حوالى عام ٣٨ م بين المصريين واليهود المقيمين فيها ، والحرب التى نشبت فى سلوكية وقُتل فيها خمسون ألفاً من اليهود . . . كما حدث هياج شديد بين اليهود والسامريين وحدثت مجاعات كالتى تنبأ عنها أغابوس (أع ١١ : ٢٨) وحدثت عام ٤٩ م . وتفشى وباء فى روما عام ٦٥ م مات به ثلاثون ألفاً ، كما حدثت زلازل فى كريت عام ٤٦ م ، وفى روما عام ٥١ ، وفى أفاميا سنة ٥٣ م وفى لاذقية فريجية عام ٦٠ م ، وفى أورشليم سنة ٦٧ م الخ . . .

هذه العلامة من ظهور حروب وانقسامات وزلازل ومجاعات واضطرابات تسبق أيضاً نهاية العالم ومجىء السيد المسيح ، فكلما اقترب اليوم الأخير شعر عدو الخير بانهيار مملكته وقيام ملكوت الله الأبدى فى كنيسته السماوية فيبذل كل طاقاته لسحب النفوس إليه وجذبها عن السيد المسيح فيربكها بأعمال بشرية محطمة للإنسان كالحروب وبهياج الطبيعة نفسها كالزلازل والمجاعات ، أما النفس الثابته فى المسيح فلا تضطرب بل ترتفع فوق كل الأحداث الزمنية لتنعم بعربون ملكوته وتختبر سلامه الفائق .

بنفس الفكر لا يطيق عدو الخير لقاءك مع مخلصك فيثير حولك الكثير من الأحداث ليشغلك عنه ويحرمك من تجليه فى قلبك . . . ليتك لا ترتبك بالحروب التى فى داخلك ولا بالمجاعات والزلازل ، بل ثق فى السيد المسيح واهب السلام والشبع والراحة الحقة .

يقول **القديس أمبروسيوس** : [بجوار الأوبئة والحروب والمجاعات نجد حروباً أخرى يتعرض لها المسيحى هى حروب مختلف الشهوات والصراع بين الرغبات . . . فتارة تثيرنا الشهوة وأخرى تشتعل العاطفة ، وتارة يرعبنا الخوف ، وأخرى تحاول اجناد الشر التى فى السمويات (أف ٦ : ١٢) أن تخيفنا ، أما الانسان الشجاع فيقول : « إن قام علىّ جيش لا أخاف لأنك أنت معى » مز ٢٦ : ٣ . يقف حتى وإن قام ضده جليات العملاق ليفترسه ، يقوم وسط رعب الآخرين كداود

المتضع الذى ألقى أسلحة الملك على الأرض (١ صم ١٧) وأمسك بمقلاع الإيمان الحقيقى ليضع فيه حجر الإيمان الطاهر ، به يكسر تجبّر المضطهد ويستهين بتهديداته ولا يخشى سلطانه ، فاستحق أن يتحدث عنه المسيح . . . يتقدم هذا الغالب الذى ضرب جليات بسيفه هو فيقبل الموت من أجل المسيح ، فيهرب أمامه الفلسطينيون وتتقدم الفتيات كالنسور وهن يقلن : « ضرب شاول ألوف وداود ربوات » ١ صم ١٨ : ٧) . هذا دليل على أن الذين يغلبون هذا العالم سيسبقون الملوك [٣١٨]] .

٤ ــ حدوث مضايقات

لا تقف العلامات عند الضيقة الخارجية العامة من حروب ومجاعات وأوبئة وزلازل ، لكنها تدخل إلى ضيقة خاصة بالمؤمن نفسه ، ليحمل صليب الرب ، إذ يقول : « **فأنظروا إلى نفوسكم ، لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وتُجلدون فى مجامع وتقفون أمام ولاة وملوك من أجلى شهادة لهم . وينبغى أن يُكرز أولًا بالانجيل فى جميع الأمم ، فمتى ساقوكم ليسلموكم فلا تعتنوا من قبل بما تتكلمون ولا تهتموا ، بل مهما أعطيتم فى تلك الساعة فبذلك تكلموا ، لأن لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس . وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت ، والأب ولده . ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم ، وتكونون مبغضين من الجميع من أجل إسمى ، ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص** » ع ٩ ــ ١٣ .

« المضايقات » بالنسبة لمؤمن ليست مجرد علامة وسط علامات كثيرة لمجىء السيد ، إنما هى المناخ الحىّ الذى فيه يتجلى الرب المصلوب داخل القلب . فالضيق هو قبول صليب ربنا يسوع المسيح ليعُلن ملكوته فى داخلنا .

الضيق ليس بالأمر العارض فى حياة المؤمن لكنه يلازم المؤمن على الدوام حتى يعبر من هذا العالم كما من الضيقة العظيمة (رؤ ٧ : ١٤) . هذا ما أعلنه لنا الرب بوضوح ، وكما يقول **الأب ثيؤفلاكتيوس** : [نطق بهذا لكى بسماعهم عنه يستعدون لاحتمال الاضطهادات والشرور بصبر عظيم] .

ويلاحظ فى هذا الحديث الإلهى الآتى :

أولا : يقول الرب : « أنظروا إلى نفوسكم » ، بمعنى آخر مهما اشتدت الضيقة ، وأيا كان مصدرها سواء من أصحاب سلاطين كالولاة والملوك أو من المقربين جداً كالآباء والأبناء أو الاخوة فإن سرّ القوة أو الضعف يتوقف على أعماق النفس الداخلية . إن نظرنا بالإيمان إلى نفوسنا الداخلية لنجد فيها رب المجد مالكاً بمجد داخلى وبهاء لا تستطيع الضيقة أن تجاز إلى نفوسنا بل تبقى فى الخارج ! يمكننا ان نقول إن انفتحت بصيرتنا على السماء الداخلية لا تقدر الأرض بكل خداعاتها وإمكانياتها ان تلحق بنا ، بل يرفعنا الروح القدس فوق التراب ويحملنا أعلى من التيارات الزمنية ويحفظنا فى سلام إلهى فائق .

ثانياً :إن كان الضيق يحل بالضرورة ، فالكرازة بالانجيل أيضا لن تتوقف . وكأن ربنا يسوع يطمئننا أن عمل الله على الدوام يُقاوم لكنه بالمقاومة يزداد قوة ويتجلى بأكثر بهاء .

ثالثاً : يتحول الضيق إلى شهادة للمضايقين أنفسهم . . . ففيما يحسبون أنهم قادرون أن يكتموا صوت الحق بالسلطان الزمنى والعنف ، اذا بالحق يتجلى أمامهم ، ويزداد صوته وضوحاً فى فكرهم . هذا ما رأيناه حين أراد هيرودس أن يكتم أنفاس القديس يوحنا المعمدان ، فصار صوت يوحنا يدوى فى أذنيه حتى بعد استشهاده .

رابعاً : إن مصدر الضيق الحقيقى ليس البشر وإنما الحرب القائمة بين الله وإبليس ، لهذا يليق بنا ألا نهتم بما نتكلم به ، بل كما قال السيد : « لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس » . روح الله هو قائد الكنيسة الذى أرسله الإبن الصاعد إلى السموات من عند أبيه ليتسلم تدبير الكنيسة وقيادتها .

٥ ــ رجسة الخراب

يقدم لنا السيد المسيح « رجسة الخراب » التى تحدث عنها دانيال النبى (دا ١٢ : ١١ ، راجع ٩ : ٢٧ ، ١١ : ٣١) كعلامة من علامات خراب الهيكل ، وأيضا علامة من علامات نهاية الأزمنة ومجىء السيد المسيح الأخير . ويمكننا تلخيص الآراء فى رجسة الخراب هكذا :

أولا : يرى بعض الآباء والدارسين أن رجسة الخراب تشير إلى دخول العدو بجنوده الى الهيكل وتدنيسه قبل هدمه وحرق المدينة بالنار . يقول **الأب ليؤنثلاكتيوس** : [ربما يعنى برجسة الخراب دخول الأعداء إلى المدينة بالقوة] .

ثانياً : جاء فى سفر المكابيين الأول (١ : ٥٤) الى تحقيق رجسة الخراب هذه عندما اقام أنتيخوس ابيفانيوس تمثال زيوس أولمبياس على مذبح المحرقة فى الهيكل عام ١٦٧ ق . م (راجع أيضا ٢ مك ٦ : ٢) [٣١٩] . ويرى البعض أن هذه الرجسة تكررت ، فوضع بيلاطس تمثال قيصر فى الهيكل ، وحاول Caligulaأن يقيم لنفسه تمثالًا فى هيكل أورشليم عام ٤٠ م تقريباً ، كما أقيم أيضا تمثال لادريان فى قدس الأقداس نفسه لوقت طويل .

ثالثاً : رفض فريق من المفسرين الرأيين السابقين إذ يروا أن النص اليونانى لا يشير إلى رجسة خراب خلال إقامة تمثال أو دخول جنود وثنيين إنما الى ظهور شخص حقيقى ضد المسيح يقيم نفسه إلهاً فى الهيكل كقول الرسول بولس فى الرسالة الثانية إلى اهل تسالونيكى . . . وكأن هذه العلامة تشير الى ظهور ضد المسيح الذى يقيم نفسه فى هيكل الرب معبوداً .

٦ ـــ وصايا للدخول فى الملكوت

إذ قدم السيد لكنيسته علامات المنتهى من حلول ضيقات عامة كالحروب والمجاعات والأوبئة والزلازل ، وحلول مضايقات خاصة من أجل الكرازة بالانجيل ، وأعلن عن ظهور أنبياء كذبة ومسحاء خاصة ضد المسيح ، وهبنا وصايا خاصة تسندها فى هذا الجو الصعب، حتى يجتاز الضيقة المستمرة وتعبر به إلى ملكوته ، جاء فيها :

سبق لنا الحديث عن هذه الوصايا فى دراستنا لانجيل متى الاصحاح الرابع والعشرين ، لكننا نقول هنا ان هذا النص يحمل معنين :

أولا : المعنى الحرفى ، فقد قيل أن المسيحيين اذ رأوا علامات إقتراب خراب الهيكل هربوا من اليهودية وانطلقوا إلى الجبال كوصية سيدهم ، فخلصوا من محاصرة تيطس لأورشليم ولم يسقطوا تحت الضيق الذى تمرر به اليهود .

ثانياً : أما المعنى الرمزى فإن لقاءنا مع السيد المسيح القادم إلى قلوبنا ليتجلى كما على سحاب السماء فيلزمه أن ننطلق من يهودية الحرف القاتل وننطلق إلى جبال الروح ، لنعيش فى حرية الإنجيل لا عبودية حرف الناموس . إن كان الرب يعلن لتلاميذه أنه لا جدوى من مقاومة الرومان ولا من مسالمتهم ولا يمكن الاختفاء منهم فى مدينة بل يلزم الهرب منهم على الجبال ، هكذا يليق بنا إذ تشتد حرب الشيطان علينا ألا نقف أمامه ولا نهادنه بل نهرب إلى الرب نفسه بكونه الجبل المقدس الذى يحملنا فيه .

فى نص منسوب **للقديس جيروم** جاء : [هروبنا إلى الجبال يعنى الصعود إلى أعالى الفضيلة حتى لا نهبط إلى أعماق الخطية] .

هكذا من ارتفع إلى السطح ، أى صعد فى سلم الفضيلة وصار على السطح يرى مع الرسول بطرس الملاءة النازلة من السماء (أع ١٠ : ١١) لا يعود ينزل إلى الطبقات السفلى ، ولا يطلب السفليات . بمعنى آخر من ارتفع فوق الأعمال الجسدانية وعاش فى الروحيات يتنسم هواء الحرية النقى ويرى السموات مفتوحة أمام عينيه لا ينزل إلى مناقشاته القديمة ولا يطلب شهوات الجسد وأمور هذا العالم الزمنى .

هكذا من إنطلق إلى حقل الكرازة فلا يرجع عن الخدمة ولا يعود يهتم بثوبه أى بالجسديات .

أما عن قوله « ويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام » ، فيقول **الأب ليؤفلاكتيوس** أنه يشير إلى ما فعلته اليهوديات فى ذلك الوقت إذ طبخ النساء أطفالهن من شدة الجوع . ولعل الحبالى والمرضعات يشرن إلى النفوس التى لم تنضج بعد ولا أنجبت ثمار الروح ، فلا تحتمل الضيقة ولا تقدر على الهروب بل تكون مثقلة كالحامل أو المرضعة .

يطلب منا أن نصلى ألا يكون هربنا فى شتاء ، وكما يقول **الأب ليؤفلاكتيوس** : [يلزمنا أن نتجنب الخطية بحرارة لا ببرود وخمول] .

٧ ـــ الضيقة العظمى

« لأنه يكون فى تلك الأيام ضيق لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة التى خلقها الله إلى الآن ولن يكون . ولو لم يقصر الرب تلك الأيام لم يخلص جسد ، ولكن لأجل المختارين الذين اختارهم قصّر الأيام » ع ١٩ ، ٢٠ .

حقاً إنها الضيقة العظمى التى يشهدها العالم بظهور ضد المسيح مقاوماً الكنيسة فى العالم ، لكنها ضيقة بسماح من الله لا تفلت من عنايته . . . يقصّرها الله من أجل مختاريه حتى لا تنهار نفوسهم .

فى العهد القديم كان الله يسمح بالضيقات تشتد لأجل توبة الساقطين ، لكنه يعود فيترفق حتى لا تنحل البقية الباقية التى التصقت بالرب وسط جيل ملتوٍ وشعب معاند . وفى أيام خراب الهيكل اشتدت الضيقة جداً وقد وصفها المؤرخ يوسيفوس المعاصر لها بكلمات مرة وقاسية فذكر أن الرومان كانوا يأتون باليهود ويصلبونهم بالمئات فى هزء وسخرية حتى ضاقت الساحات بالصلبان ، واشتد الجوع بالنساء حتى طبخن أطفالهن . وكانوا يلقون بالكهنة عراة فى الوحل ويقدمونهم طعاماً للحيوانات المفترسة . . . وقد قصّر الرب الأيام من أجل المسيحيين الهاربين من اليهودية إلى الجبال حتى لا تلحق بهم . أما فى أواخر الأيام حين يأتى الدجال فيحارب الكنيسة فى كل موضع ولا يسمح لمؤمن أن يبيع أو يشترى مالم يضع سمة الوحش على جبهته أو يده اليمنى . . . ويقصّر الله أيضاً الأيام من أجل المختارين .

بنفس الروح فى حياة كل واحد منا يسمح الله لنا بالضيق يشتد حتى الهزيع الأخير وحين نظن أنه لا نجاة يتجلى على المياه محطماً الأمواج ، معلناً ذاته لنا كمخلص للنفس والجسد معاً .

٨ ـــ ظهور أنبياء كذبة

« حينئذ إن قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو هوذا هناك فلا تصدقوا ، لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات وعجائب لكى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً . فأنظروا أنتم ، ها أنا قد سبقت وأخبرتكم بكل شيء » ع ٢١ ـــ ٢٣ .

هذا هو مركز الحديث . . . أن عدو الخير لا يتوقف عبر الأزمنة عن مقاومة ملكوت الله بكل قوة ، خاصة فى الأيام الأخيرة مستخدما كل وسيلة للتضليل ، كما فعل السحرة فى أيام موسى .

فى الأيام الأخيرة يتفنن عدو الخير فى عمل الآيات والعجائب لكى يضل لو أمكن المختارين . . . لكن الله يحفظ مختاريه .

+ كثيرون ينسبون لأنفسهم إسم المسيح ليخدعو ا إن أمكن حتى المؤمنين .

الأب ثيؤفلاكتيوس

+ عندئذ سيُحل الشيطان فيعمل بكل قوته خلال ضد المسيح بطريقة باطلة ومدهشة . . . إنه يخدع الحواس الميتة بأوهام فيظهر كمن أعملاً فى الحقيقة هو لم يعملها ؛ أو ربما يفعل عجائب حقيقية لكنها تضلل الناس عن الحق ، إذ يحسبونها قوة إلهية . . . .

القديس أغسطينوس [٣٢٠]

+ لماذا يقول : « إن أمكن » كما لو كان يشك فيهم مع أن الرب يعرف مقدماً ما سيحدث ؟ فانه يحدث أحد أمرين : إن كانوا مختارين لا يمكن أن يضلوا وإن أمكن أن يضلوا فهم ليسوا مختارين . . . (قال هذا لإبراز مدى تضليل هؤلاء الكذبة) .

البابا غريغوريوس (الكبير) [٣٢١]

٩ ــ إنهيار الطبيعة

« وأما فى تلك الأيام بعد ذلك الضيق فالشمس تظلم ، والقمر لا يعطى ضوءه ، ونجوم السماء تتساقط ، والقوات التى فى السموات تتزعزع » ع ٢٤ ، ٢٥ .

من الجانب الحرفى يرى كثير من الآباء أن هذه الأمور تتحقق بطريقة حرفية قبيل مجيء السيد المسيح على السحاب ، فينهار العالم المادى تماماً ليظهر الملكوت السماوى الأبدى .

جاءت هذه الصورة معلنة فى سفر إشعياء النبى (ص ١٣ : ٩ ١٣) تعلن عن يوم الرب القريب كيوم قاس بسخط وحمو غضب ، يبيد كل ما هو أرضى وما

هو مادى ! ! ولعله إذ يربط خراب الأرض وزعزعتها بزلزلة السموات وفقدان كواكبها نورها يود أن يعلن أن الذين فى مجدهم حسبوا أنفسهم قد صاروا شمساً أو قمراً أو كواكب متلألئة فلن يفلتوا من غضب الرب وإدانته لهم .

هذا الفكر واضح ليس فى إشعياء وحده ولكن فى كثير من الأنبياء :

« فإن نجوم السموات وجبابرتها لا تبرز نورها . تظلم الشمس عند طلوعها ، والقمر لا يلمع بضوئه ، وأعاقب المسكونة على شرها والمنافقين على إثمهم وأبطل تعظم المستكبرين وأضع تجبر العتاة . . . لذلك أزلزل السموات وتتزعزع الأرض من مكانها فى سخط رب الجنود » إش ١٣ : ١٠ — ١٣ .

« ويفنى كل جند السموات وتلتف السموات كدرج وكل جندها ينتثر كانتثار الورق من الكرمة والسقاط من التينة » إش ٣٤ : ٤ .

« وعند اطفائى إياك أحجب السموات وأظلم نجومها وأغش الشمس بسحاب والقمر لا يعطى ضوءه ، وأظلم فوقك كل أنوار السماء المنيرة وأجعل الظلمة على أرضك يقول السيد الرب » حز ٣٢ : ٧ ، ٨ . [لعله هنا يشير إلى المؤمن وقد رفض نعمة الله باصراره على الشر وقبوله خداعات العدو الشرير لم يعد مستحقاً أن يتمتع بنور شمس البر أى عمل المسيح فيه ، ويحرم من نور القمر وضوئه أى من البركات الكنسية ، كما يفقد التمتع بأنوار نجوم السماء إذ لا ينعم بشركة مع السمائيين أو القديسين . . . هكذا يفقد كل بركة وكل إستنارة وتتحول أعماقه كما إلى أرض مظلمة لا ترى بصيصاً من النور السماوى] .

« يكون فى ذلك اليوم ، وأحول أعيادكم نوحاً وجميع أغانيكم مراثى » عا ٨ : ٩ ، ١٠ .

« قدامه ترتعد الأرض وترجف السماء . الشمس والقمر يظلمان والنجوم تحجز لمعانها » يوئيل ٢ : ١٠ .

على أن الأحوال إذ يظهر السيد المسيح شمس البر ، والكنيسة عروسه القمر السماوى ، والمؤمنون كواكب أبدية تختفى الشمس وتظلم القمر وتحجز النجوم لمعانها أمام هذا المنظر السماوى الأبدى الجديد .

في نص منسوب للقديس جيروم يرى إنهيار الطبيعة هنا هو إنهيار روحي للنفوس التي قبلت ضد المسيح وسقطت تحت سلطانه الشرير ففقدت في حياتها كل إستنارة داخلية ، إذ يقول : [تظلم الشمس بسبب برود قلوبهم كما في فصل الشتاء ، ولا يعطي القمر ضوءه بصفاء في ذلك الوقت ، ونجوم السماء تحجز ضوءها عندما يختفي كل نسل ابراهيم الذي يشبّه بنجوم السماء (تك ٢٢ : ١٧) ، وقوات السماء تثور للانتقام عندما يأتون مع ابن الانسان في مجيئه] .

١٠ ــ مجيء إبن الإنسان

« وحينئذ يبصرون إبن الانسان آتياً في سحاب بقوة كثيرة ومجد ، فيرسل حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء » ع ٢٧ .

إذ ينحل العالم المنظور المادي يعلن العالم الجديد غير المنظور السماوي وذلك بحضور كلمة الله المتجسد في سحاب بقوة كثيرة ومجد . يرى **القديس أغسطينوس** [٣٢٢] أن مجيئه في السحاب إنما يعني مجيئه في كنيسته كل يوم التي حملت السمة السماوية وارتفعت عن الفكر الزمني فصارت سحاباً سماوياً . يأتي الرب محمولاً على سحابة القديسين التي تحدث عنها الرسول بولس ، قائلاً : « لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا » عب ١٢ : ١ .

يأتي رب المجد مع ملائكته كحصادين يجمعون الثمار من أربع جهات المسكونة ، ويرى **القديس أغسطينوس** أن الرب يجمع بملائكته آدم الذي سبق فتشتت في العالم ، فصار في المشارق والمغارب والشمال والجنوب ، فكلمة آدم في اليونانية تحوي أربعة حروف هي الحروف الأولى للجهات الأربع :

الشرق Amatole ، الغرب Dysis ، الشمال Arctos ، الجنوب Mesembria

كأن الله يرى آدم وقد صار مبعثراً في كل جهات المسكونة يجمعه ليرده لا الى جنة عدن وإنما إلى الملكوت السماوي الأبدي [٣٢٣] .

من كلمات الآباء عن هذا المجيء :

+ نحن نؤمن أنه سيأتي ليس فقط بذات الجسد ، وإنما على السحاب ، يأتي كما

صعد إذ استقبلته سحابة عند صعوده (أع ١ : ١١) .

القديس أغسطينوس (٣٢٤)

+ رؤية ابن الانسان (الناسوت) تظهر للأشرار ، أما اللاهوت فلا يظهر إلا لأنقياء القلب وحدهم هؤلاء الذين يعاينون الله (مت ٥ : ٨) .
لا يستطيع الأشرار أن يروا إبن الله بكونه مساوياً للآب ، لكن ينظره الكل الأبرار والأشرار وهو يدين الأحياء والأموات .

القديس أغسطينوس (٣٢٥)

+ لا يأتى المسيح خفية ولا بطريقة غامضة بل بكونه الله الرب ، يأتى فى مجد يليق باللاهوت ليحوّل كل شيء إلى ما هو أفضل . إنه يجدد الخليقة ويعيد تشكيل طبيعة الانسان . . .

القديس كيرلس الكبير (٣٢٦)

١١ ـــ مثل شجرة التين

إذ قدم لنا العلامات الخاصة لمجيئه شبهها بأوراق شجرة التين التى متى ظهرت نعرف أن الصيف قريب . ما هو هذا الصيف الذى يقترب منا إلا الأبدية التى تلتهب بنيران الحب الإلهى ولا يعرف البرود الروحى له فيها موضعاً ؟ !

فهم كثير من الدارسين منذ عصر مبكر أن هذه الشجرة التى متى إخضر ورقها نعرف أن الصيف قريب هى الشعب اليهودى الذى صار كشجرة التينة التى سقطت تحت اللعنة بسبب جحودها (مر ١٥ : ١٣ ، ١٤) . . . فانها اذ يعود إليها الحياة خلال عودتها للإيمان مرة أخرى فى أواخر الدهور نعرف أن الزمان قد اقترب . هذا التفسير قام على كلمات الرسول بولس : « إن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم ، وهكذا سيخلص جميع اسرائيل » رو ١١ : ٢٥ ، ٢٦ .

جاءت أحداث وتصريحات كثيرة فى الكتاب المقدس تعلن عودة اليهود فى نهاية الأزمنة إلى قبول السيد المسيح بعد أن يكتشفوا خطأهم بصلبه ورفضهم إياه . فمن تلك الأحداث عودة مريم أخت موسى وهرون إلى المحلة بعد أن اصابها البرص وبقيت سبعة أيام خارج المحلة ولم يرتحل الشعب حتى أرجعت مريم (عد ١٢ : ١٥) .

ففى رأى **العلامة أوريجانوس** أن مريم هذه تشير إلى الشعب اليهودى الذى أصيب ببرص عدم الإيمان فصار خارج المحلة ، حتى يعود فى أواخر الدهور إلى المحلة من جديد مع كنيسة الأمم فى العالم كله !

١٢ ــ تأكيد مجيئه

أكد السيد مجيئه بقوله : « **الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله . السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول** » ع ٣٠ ، ٣١ .

لقد تحقق قول السيد حرفيًا إذ شاهد بعض السامعين إن لم يكن جميعهم الأحداث الخاصة بخراب الهيكل وتحطيم أورشليم . . . أما من جهة بقية الأحداث فقد تحققت فعلًا بقبول الأمم للسيد المسيح فى حياتهم وكأنه قد جاء يعلن مجده فى داخلهم .

عبارة السيد المسيح التى بين أيدينا ألهبت الكنيسة فى عصر الرسل إذ حسبوا أنهم يعيشون فى آخر الازمنة بمعنى أنهم يشاهدون مجيئه على السحاب . . . وكان لهذا الإحساس أثر على حياتهم وسلوكهم وعبادتهم كما على مشاعرهم وأحاسيسهم ، فعاش الغالبية بفكر إسخاتولوجى أى انقضائى ؛ عاشوا على الأرض بأجسادهم أما قلوبهم فكانت فى السماء .

١٣ ــ عدم معرفة الساعة

قبل أن يختم حديثه بالدعوة للسهر أراد أن يوجه أنظار تلاميذه إلى عدم الانشغال بمعرفة الأزمنة والأوقات ، إنما بالاستعداد بالسهر المستمر وترقب مجيئه ، لهذا قال : « **وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الإبن إلا الآب** » ع ٣٢ .

هل يجهل السيد المسيح الساعة ؟

أولا : يقول **القديس أمبروسيوس** (٢٢٧) أن السيد المسيح هو الديان وهو الذى قدم علامات يوم مجيئه لذا فهو لا يجهل اليوم . هذا وإن كان يوم مجيئه هو « السبت » الحقيقى الذى فيه يستريح الله وقديسوه فكيف يجهل هذا اليوم

وهو « رب السبت » مت ١٢ : ١٨ ؟ !

ثانياً : يرى **القديس أغسطينوس** أن السيد المسيح لا يجهل اليوم ، إنما يعلن أنه لا يعرفه ، إذ لا يعرفه معرفة من يبيح بالأمر . لعله يقصد بذلك ما يعلنه أحياناً مدرس حين يُسأل عن أسئلة الامتحانات التي وضعها فيجيب أنه لا يعرف بمعنى عدم إمكانيته أن يعلن ما قد وضعه ، وأيضاً إن سُئل أب إعتراف عن إعترافات إنسان يحسب نفسه كمن لا يعرفها .

يقول **القديس أغسطينوس** : [حقاً إن الآب لا يعرف شيئاً لا يعرفه الإبن ، لأن الإبن هو معرفة الآب نفسه وحكمته ، فهو إبنه وكلمته وحكمته . لكن ليس من صالحنا أن يخبرنا بما ليس في صالحنا أن نعرفه . . . إنه كمعلم يعلمنا بعض الأمور ويترك الأخرى لا يعرفنا بها . إنه يعرف أن يخبرنا بما هو لصالحنا ولا يخبرنا بالأمور التي تضرنا معرفتها [٣٢٨]] .

كما يقول : [قيل هذا بمعنى أن البشر لا يعرفونها بواسطة الإبن ، وليس أنه هو نفسه لا يعرفها ، وذلك بنفس التعبير كالقول : « لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكي يعلم » تث ١٣ : ٣ ، بمعنى أنه يجعلكم تعلمون . وكالقول : « قم يارب » مز ٣ : ٧ ، بمعنى « إجعلنا أن نقوم » ، هكذا عندما يُقال أن الإبن لا يعرف هذا اليوم فذلك ليس لأنه لا يعرفه وإنما لا يظهره لنا [٣٢٩]] .

بنفس الفكر يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [بقوله « ولا الملائكة » يسد شفاههم عن طلب معرفة ما لا تعرفه الملائكة ، وبقوله « ولا الإبن » يمنعهم ليس فقط من معرفته وإنما حتى عن السؤال عنه [٣٣٠]] .

هكذا أيضاً قال **الأب ثيؤفلاكتيوس** : [لوقال لهم انني أعرف الساعة لكنني لا أعلنها لكم لأحزنتهم إلى وقت ليس بقليل لكنه بحكمة منعهم من التساؤل في هذا الأمر] . وقال القديس **هيلارى اسقف بواتييه** : إن السيد المسيح فيه كنوز المعرفة ، فقوله إنه لا يعرف الساعة إنما يعني اخفاءه كنوز الحكمة التي فيه [٣٣١] .

ثالثاً : يرى **القديس إيريناؤس** أنه وإن كان السيد المسيح العارف بكل شيء لم يخجل من أن ينسب معرفة يوم الرب للآب وحده كمن لا يعرفه هو ، أفلا يليق بنا

بروح الإتضاع أن نقتدى به حين نُسأل فى أمور فائقة مثل كيفية ولادة الإبن من الآب أن نعلن أنها فائقة للعقل لا نعرفها .

١٤ ــ الدعوة للسهر

ختم السيد المسيح حديثه عن مجيئه الأخير بدعوة تلاميذه لحياة السهر ترقباً للقاء معه : « **أنظروا . اسهروا وصلوا لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت . كأنما إنسان مسافر ترك بيته وأعطى عبيده السلطان ولكل واحد عمله وأوصى البواب أن يسهر . إسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون متى يأتى رب البيت أمساء أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحاً . لئلا يأتى بغتة فيجدكم نياماً** » ع ٣٣ ــ ٣٦ .

يقول **الأب ثيؤفلاكتيوس** : [يعلمنا أمرين : السهر والصلاة ، فإن كثيرين منا يسهرون لكنهم يقضون الليل فى الشر] .

يطالبنا السيد أن نسهر الليل كله لئلا يأتى السيد بغتة فيجدنا نياماً ، هنا يقسم الليل الى أربعة اقسام كل قسم عبارة عن ٣ ساعات (مساء ، نصف الليل ، صياح الديك ، صباحاً) ، وإن كان اليهود فى فلسطين يفضلون تقسيمه الى ثلاثة اقسام (لو ١٢ : ٣٨)[٣٣٢] . على أى الأحوال واضح أن السهر الذى يسألنا السيد إياه يعنى يقظة القلب الداخلى ، ليقول المؤمن : « أنا نائمة وقلبى مستيقظ » .

\+ \+ \+

الباب الخامس

آلام السيد وقيامته

ص ١٤ - ص ١٦

الاصحاح الرابع عشر

الإعداد للصليب

فى الأصحاح السابق جلس السيد المسيح على جبل الزيتون ليعلن لأربعة من تلاميذه علامات المنتهى ، ساحباً قلوبهم إلى سمواته مؤكداً لهم أنه يرعى مختاريه بالرغم مما يجتازونه من ضيقات خاصة فى أواخر الدهور ، وجاء الأصحاح الذى بين أيدينا ليقدم لنا صورة للبشرية التى لا تطيق المسيح فتريد أن تطرده . إجتمع رؤساء الكهنة مع الكتبة يطلبون قتله لكنهم خافوا الشعب ؛ ووجد يهوذا التلميذ الفرصة سانحة لتسليم سيده من أجل قليل من الفضة . هكذا بينما يفتح السيد سمواته مشتاقاً أن يجمع الكل فيها ، إذا بالقيادات الدينية حتى بين تلاميذه من يسلمه للموت . . . لكن وسط هذه الصورة المؤلمة وُجدت إمرأة محبة تسكب الطيب كثير الثمن على رأس السيد ليمتلىء بيت سمعان الأبرص برائحته الذكية ، ومع هذا لم تسلم هذه الإمرأة من النقد اللاذع .

على أى الأحوال إذ إقترب الفصح كانت الأمور تجرى نحو الصليب لذبح الفصح الحقيقى ، القادر أن يعبر بنا خلال آلامه وموته إلى قوة قيامته :

١ ــ تدبير رؤساء الكهنة والكتبة قتله ١ ــ٢ .

٢ ــ كسر قارورة الطيب ٣ ، ــ٩ .

٣ ــ خيانة يهوذا	١٠ ــ ١١.
٤ ــ وليمة الفصح	١٢ ــ ١٦.
٥ ــ إعلان عن الخيانة	١٧ ــ ٢١.
٦ ــ تأسيس الأفخارستيا	٢٢ ــ ٢٦.
٧ ــ إعلان عن شك التلاميذ فيه	٢٧ ــ ٣١.
٨ ــ ذهابه إلى جثيسيمانى	٣٢ ــ ٤٢.
٩ ــ القبض عليه	٤٣ ــ ٥٢.
١٠ ــ محاكمته دينياً	٥٣ ــ ٦٥.
١١ ــ إنكار بطرس	٦٦ ــ ٧٢.

\+ \+ \+

١ ــ تدبير رؤساء الكهنة والكتبة قتله

« وكان الفصح وأيام الفطير بعد يومين ، وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه ، ولكنهم قالوا ليس فى العيد لئلا يكون شغب فى الشعب » ع ١ ، ٢ .

يميز العهد القديم بين عيد الفصح وعيد الفطير ، فكان خروف الفصح يُذبح فى اليوم الرابع عشر من الشهر الأول فى المساء ، ويبدأ عيد الفطير فى الخامس عشر لمدة اسبوع . لكن إرتبط العيدان معاً فى ذهن اليهود وكأنهما صارا عيداً واحداً ، لهذا يُستخدم تعبير « عيد الفطير » ليشمل الفصح أيضا ، كما يطلق إسم « الفصح » على عيد الفطير أيضاً .

لقد إتفق رؤساء الكهنة والكتبة على تدبير خطة لقتل السيد المسيح بعد العيد خوفاً من الجماهير ، ولم يدركوا أن السيد المسيح قد جاء فصحاً عن العالم ، بل هو الفصح الحقيقى ذُبح فى العيد . كان رب المجد يتمم خطته الخلاصية بفرح وسرور مستهيناً بالخزى ليقبل كل نفس إليه ، وكان قادة الفكر اليهودى يتممون خطتهم للخلاص منه وطرده لا من أورشليم بل من الأرض كلها بقتله !

مساكين هم رؤساء الكهنة والكتبة ، فقد إلتهبت قلوبهم بالحسد فلم ينشغلوا بالإعداد الروحى لعيد الفصح . . . إذ كان يليق بهم أن يرشوا الكتاب المقدس بالدم وأيضاً قوائم أفكارهم ، ويضعوا الخيط القرمزى على باب صلواتهم ويربطوه على قلوبهم ، فيدركوا أن السيد المسيح الذى ظهر فى أيامهم هو الفصح الحقيقى .

خلال حسدهم الشرير لم يتعرفوا على الحمل الحقيقى ولا فهموا الذبيحة الرمزية التى بين أيديهم بكل أسرارها ، هذه التى أدركها الآباء وعاشوها . ففى نص منسوب **للقديس جيروم** جاء [لقد رُمز لآلام المسيح وخلاص الشعب من الجحيم بذبيحة الحمل وعبور الشعب البحر منطلقين من مصر . لقد إفتقدنا (فى عيد الفصح) حين كان القمر فى كماله إذ لم يكن فى المسيح أى نصيب للظلمة . لنأكل جسد الحمل الذى بلا عيب ، هذا الذى ينزع خطايا العالم ، لنأكله فى بيت واحد ، أى فى الكنيسة الجامعة المرشوشه بالحب والحاملة سلاح الفضيلة] .

كان رؤساء الكهنة والكتبة يدبرون قتله ولم يدركوا أنهم حتى فى شرهم يتممون خطة السيد المسيح الذى حدد بنفسه يوم آلامه ليصلب فى عيد الفصح !

٢ ــ كسر قارورة الطيب

« وفيما هو فى بيت عنيا فى بيت سمعان الأبرص وهو متكىء جاءت إمرأة معها قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن ، فكسرت القارورة وسكبته على رأسه » ع ٣ .

كان السيد فى بيت عنيا ، أى فى بيت العناء أو الألم ، عيناه تنظران إلى الصليب بسرور ، كقول الرسول بولس : « الذى من أجل السرور الموضوع أمامه إحتمل الصليب مستهيناً بالخزى » عب ١٢ : ٢ . وكان يرى التحركات الضخمة والسريعة بين جميع القيادات اليهودية المتضاربة ، تعمل معاً لأول مرة بهدف واحد هو الخلاص منه ! وسط هذا الجو المرّ وُجدت إمرأة إستطاعت أن تلتقى به فى بيت سمعان الأبرص لتقدم حبها الخالص وإيمانها الحىّ العملى لتتقبل من السيد مديحاً ومجداً أبدياً !

إلتقت بالسيد فى بيت سمعان الأبرص ، وقد دعى هكذا لأنه كان أبرصاً وطهره السيد ، وقد حمل هذا الإسم تذكاراً لما كان عليه ليمجد السيد المسيح الذى طهّره .

ولعل بيت سمعان الأبرص يشير إلى الكنيسة التى ضمت فى داخلها من الشعوب والأمم أولئك الذين سبقوا فتنجسوا ببرص الخطية وقد طهرهم السيد بدمه المبارك ! فى هذه الكنيسة توجد إمرأة ، لم يذكر الانجيلى إسمها ولا مركزها إذ هى تشير إلى كل نفس صادقة فى لقائها مع السيد .

قارورة الطيب الناردين الخالص كثير الثمن تشير إلى الحب الداخلى . . . حب النفس لمخلصها ، هذا الذى رائحته تملأ الكنيسة كلها وترتفع إلى السموات عينها ، إن كسرت القارورة ، أى إحتمل الانسان الألم وقبل الموت اليومى من أجل المصلوب .

إن كان إسم السيد المسيح دهن مهراق (١ : ٢) فاحت رائحته الذكية حين أهرق دمه مجتازاً المعصرة وحده ، فإن الكنيسة بدورها تقدم حياتها مبذولة كقارورة منكسرة لتعلن رائحة محبتها الداخلية .

أما عن سكب الطيب على رأس السيد ، ففى نص منسوب **للقديس جيروم** قيل أن المرأة سكبت الطيب من القدمين حتى بلغت الرأس ، لكن الانجيلى حسبها سكبته على رأسه . ولعل ذلك يشير إلى نظرة السيد المسيح إلى أعمال المحبة أنها جميعاً تقدم لحسابه . فما تقدمه للفقراء والمساكين والمرضى والمسجونين والمتضايقين والحزانى من أعمال محبة إنما يتقبله السيد المسيح نفسه كرأس الكل . بمعنى آخر نحن نسكب الطيب على الأعضاء فينسب الرأس هذا العمل إليه ويحسبنا سكبناه عليه .

هذا العمل الكنسى المفرح لم يطقه يهوذا محب الفضة ، إذ كان يود أن يقدم ثمن القارورة له ليضعه فى الخزانة لحساب الفقراء فينهبه ، لهذا أثار تبرماً وسط المحيطين به ، إذ يقول الانجيلى : « **وكان قوم مغتاظين فى أنفسهم ، فقالوا : لماذا كان تلف الطيب هذا ؟ ! لأنه كان يمكن أن يُباع هذا بأكثر من ثلاث مئة دينار ويعطى للفقراء وكانوا يؤنبونها** » ع ٥ .

لم يهتم يهوذا أنه يفقد حياته كلها وخلاصه الأبدى لكنه أثار نفوس التلاميذ لأجل ما يراه فقداناً بالنسبة لأكثر من ثلاثمائة دينار !

فى نص منسوب للقديس جيروم ورد تفسير للقصة بمفهوم رمزى ، إذ قيل : [سمعان الأبرصى يعنى العالم الذى كان دنساً (أبرصاً بعدم الإيمان) لكنه تحوّل إلى الإيمان . المرأة بقارورة الطيب إيمان الكنيسة القائلة : « أفاح ناردينى رائحته » نش ١ : ١٢ . دُعى ناردين خالص بكونه الإيمان الثمين . البيت الذى امتلأ من رائحته هو السماء والأرض . أما كسر القارورة فهى كسر الشهوات الجسدية عند الرأس الذى به تشكّل الجسد كله ، فقد تنازل الرأس وأخلى ذاته حتى يستطيع الخاطىء أن يبلغ إليه . هكذا انطلقت المرأة من القدمين إلى الرأس ، ونزلت من الرأس إلى القدمين ، أى بلغت بالإيمان إلى المسيح وأعضائه] .

لقد حسب يهوذا هذا الطيب خسارة لأنه يساوى أكثر من ثلاثمائة دينار ، ولم يدرك أن ما قد حسبه خسارة هو ربح فى عينى الرب الذى يشتاق أن يتقبل من كل إنسان ذات الطيب . فان رقم ٣٠٠ يشير إلى تقديس الإنسان تقديساً كاملاً خلال الطاعة لوصية الله فى الداخل والخارج فان كان رقم ٣٠٠ هو محصلة (١٠ × ١٠ × ٣) ، فان رقم ١٠ الأولى تشير الى طاعة الوصية (الوصايا العشر) ، ورقم ١٠ الثانى يشير إلى تقديس الحواس الخفية (خمسة حواس) والظاهرة ، ورقم ٣ يشير إلى تقديس النفس والجسد والروح بالتمتع بالحياة المقامة التى فى المسيح يسوع الذى قام فى اليوم الثالث ، كما يشير رقم ٣ إلى تقديس النفس والجسد والروح خلال الإيمان بالثالوث القدوس .

على أى الأحوال إن كانت هذه المرأة قد انتقدها الناس لكنها تمتعت بمديح الرب نفسه الذى أعلن إرتباط قصتها بالكرازة بانجيله فى العالم كله !

أخيراً فان قصة سكب الطيب على السيد المسيح وردت فى الأناجيل الأربعة (مت ٢٦ : ٦ ، مر ١٤ : ٣ ، لو ٧ : ٢١ ، يو ١٢ : ٣) . . . وواضح من الأناجيل أن سكب الطيب تكرر أكثر من مرة ، وقد اختلفت الآراء فى تحديد شخصيات هؤلاء النسوة اللواتى سكبن الطيب ، غير أن الرأى السائد هو :

أولا : المرأة المذكورة فى إنجيل يوحنا هى مريم أخت لعازر .

ثانيا : المرأة المذكورة فى إنجيل لوقا هى خاطئة قامت بهذا العمل أثناء خدمة السيد .

ثالثاً : المرأة المذكورة فى انجيلى متى ومرقس سكبت الطيب فى أيام البصخة ، يرى البعض أنها غير الخاطئة ، ويرى آخرون إنها هى بعينها الخاطئة سكبته وهى خاطئة تطلب بدموع المغفرة وأخرى تقدمه طيب حب وشكر أثناء البصخة ، بل ويرى آخرون أنها مريم أخت لعازر ومرثا .

٣ — خيانة يهوذا

« ثم أن يهوذا الإسخريوطى واحداً من الإثنى عشر مضى إلى رؤساء الكهنة ليسلمه إليهم . ولما سمعوا فرحوا ووعدوه أن يعطوه فضة ، وكان يطلب كيف يسلمه فى فرصة موافقة » ع ١٠ ، ١١ .

إن كانت الكنيسة تضم إمرأة بسيطة تكسر القارورة لتسكب الطيب ناردين كثير الثمن على رأس السيد فيمتلىء البيت من رائحته الذكية ، فانه يختفى حتى من بين التلاميذ من يسلمه فى أيدى الأعداء . فالكنيسة تضم فى داخلها قديسين هم أعضاء حقيقيون فى جسد المسيح كما تضم من لهم إسم المسيح فى الخارج أما قلوبهم فمنحلة عنه تماماً . . . هؤلاء بالحقيقة ليسوا أعضاء بل هم مفروزون منها حتى ولو لم يفرزهم أحد !

والعجيب أن الخائن يحمل إسم يهوذا ، وهو إسم ذات السبط الذى خرج منه السيد المسيح بالجسد ، فبينما يقدم لنا يهوذا الأسد الخارج ليحطم عدو الخير الأسد الذى يجول زائراً يلتمس من يبتلعه (١ بط ٥ : ٨) ، إذا بالشيطان يقتنص تلميذاً يحمل ذات الإسم ليكون أداة لتسليم الرب .

إن كان إسم « يهوذا » معناه « يحمد » أو « يعترف » ، فإن يهوذا هذا يمثل الذين يحملون إسم المسيح كهنة أو شعباً يحمدون الرب بلسانهم ويعترفون بالإيمان بشفاههم أما قلوبهم وأعمالهم فأداة للتحطيم ، إنهم كعدو الخير الذى قيل أنه يؤمن ويرتعب (يع ٢ : ١٩) لكنه لا يحمل فى قلبه حباً بل عدواة وبغضة . مثل هؤلاء أخطر من الأعداء الخارجيين ، فإنه ما كان يمكن لرؤساء الكهنة أن يقبضوا على السيد بدون يهوذا ! أقول هذا لكى نحذر لا الآخرين بل أنفسنا ، فانه لا يستطيع عدو الخير الخارجى (إبليس) أن يأسر مسيحنا الداخلى أو يصلبه ويشهر به مالم

نسلمه نحن له . . . لهذا يحذرنا السيد المسيح : « أعداء الإنسان أهل بيته » مت ١٠ : ٣٦ ، أى حياته الداخلية وإرادته الشريرة .

حين يفسد « يهوذنا » أى « إيماننا » بانحلاله عن الحب يسلم القلب للعدو ويصلب السيد المسيح مرة أخرى ويشهر به . . . أما نحن هذا فقليل من الفضة الغاشة يعده بها العدو .

يا للعجب يسلم القلب الخائن مسيحه ، كلمة الله ، الفضة المصفاة سبع مرات (مز ١٢ : ٦) مقابل فضة غاشة من أيد شريرة ! يُقدم السماوى أسيراً لينعم بقليل من الأرضيات يعود فيتركها ويشنق نفسه !

فيما يلى بعض تعليقات الآباء على قصة خيانة يهوذا :

+ لماذا تخبرنى عن بلده (إسخريوط) ؟ ! . . . لأنه يوجد تلميذ آخر يدعى يهوذا الغيور ، أخ يعقوب ، خشى (الإنجيلى) لئلا يحدث خلط بينهما فميّز الواحد عن الآخر . لكنه لم يقل عنه « يهوذا الخائن » حتى يعلمنا ألا نندد بأحد ، بل نتجنب إتهام الآخرين . على أى الأحوال بقوله « واحد من الإثنى عشر » أبرز بشاعة جريمة الخائن ، إذ وجد سبعون آخرون لم يمثل أحدهم به ولا إشترك معه فى تصرف كهذا . أما هؤلاء الإثنا عشر الذين إختارهم السيد كانوا الجماعة الملوكية خرج منها هذا الخائن الشرير .

+ يا للجنون ! نعم فان محبة المال التى للخائن وطمعه جلبا كل هذا الشر .

محبة المال تستولى على النفوس التى تتقبلها ، وتقودها إلى كل طريق عندما تقيدها ، وتنسى النفوس كل شيء وتجعل أذهانها فى حالة جنون !

لقد أُسر يهوذا بجنون محبة المال هذا ، فنسى المحادثات ومائدة المسيح وتلمذته وتحذيرات المسيح وتأكيداته .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٢٣٣)

+ كان واحداً من الإثنى عشر فى العدد لا فى الإستحقاق حسب الجسد لا الروح !

ذهب إلى رئيس الكهنة بعد أن خرج ودخله الشيطان . كل كائن يتحد بمثاله !

+ لقد وعد أن يخون السيد كما سبق فقال الشيطان لسيده « لك أعطى هذا السلطان » لو ٤ : ٦ ...

هم وعدوه بالمال فخسروا حياتهم التى خسرها هو أيضا باستلامه المال .

نص منسوب للقديس جيروم[٣٣٤]

+ يقول : « واحد من الإثنى عشر » . هذا أمر غاية فى الأهمية إذ يوضح خطية الخيانة بأكثر جلاء ، فان الذى كرّمه مساوياً إياه بالبقية وزينه بالكرامات الرسولية ، وجعله المحبوب ، وضمه للمائدة المقدسة . . . صار طريقاً ووسيلة لقتل المسيح .

القديس كيرلس الكبير[٣٣٥]

٤ — وليمة الفصح

كما اهتم السيد المسيح بدخوله أورشليم فأرسل تلميذين يحضران له الأتان والجحش ، نجده هنا فى اليوم الأول من الفطير إذ كانوا يذبحون الفصح أرسل إثنين من تلاميذه إلى المدينة فيلاقيهما إنسان حامل جرة ماء ، غالباً هو القديس مرقس كما جاء فى التقليد القبطى ، يتبعاه وحيثما يدخل يطلبان من رب البيت أن يريهما العلية التى يعداها ليأكل السيد الفصح مع تلاميذه . . . هذه العلية الكبيرة هى علية القديسة مريم والدة القديس مرقس ، وقد صارت أول كنيسة مسيحية فى العالم ، حيث أقام فيها السيد المسيح بنفسه سرّ الأفخارستيا ، وفيها كان يجتمع التلاميذ ، وقد حّل عليهم الروح القدس فى يوم الخمسين فى ذات الموضع .

يلاحظ فى النص الذى بين أيدينا الآتى :

أولاً : اهتم التلاميذ بالتمتع بوليمة الفصح مع معلمهم إذ قالوا له : « **أين تريد أن نمضى ونعد لتأكل الفصح ؟** » ع ١٢ . وكما يقول القديس يوحنا الذهبى الفم : [بينما كان يهوذا يخطط كيف يسلمه كان بقية التلاميذ يهتمون باعداد الفصح] . وقد كشف لنا هذا السؤال ليس فقط كان السيد ليس له مسكن يقيم

فيه ليعد فيه الفصح بل حتى تلاميذه لم يكن لهم مساكن يستقرون فيها ، إذ وجدوا إستقرارهم وراحتهم فى معلمهم ربنا يسوع المسيح .

لم يستأذن التلاميذ المعلم لكى يذهب كل واحد إلى عائلته يشترك معها فى وليمة الفصح ، إنما أدركوا أنهم قد صاروا به عائلة واحدة حتى وإن كانوا من أسباط متنوعة ، يلتقون معاً فيه لينعموا بالفصح الواحد ؛ هكذا إرتبطوا فى وحدة حقة أساسها الإتحاد مع مخلصهم بالحب ، رفعتهم إلى ماهو أعظم من وحدة الرباط الدموى .

فى سؤال التلاميذ أيضا تسليم كامل للمخلص . . . يسألونه فى كل صغيرة وكبيرة ، ليست لهم شهوة أن يذهبوا إلى موضع معين يقترحونه عليه ، لكن شهوتهم الوحيدة أن يوجدوا معه على الدوام .

ثانياً : أرسل السيد إثنين من تلاميذه ليعدوا الفصح ، هما بطرس ويوحنا (لو ٢٢ : ٨) . . . فإن كان رقم ٢ يشير إلى الحب فاننا لا نستطيع ان نقدم للسيد المسيح قلبنا عليه يقيم ذبيحة صليبه بدون الحب . هذا وان كان بطرس يمثل الإيمان ويوحنا يمثل المحبة فان السيد أرسل الإيمان العامل بالمحبة ليهيء كل قلب بسيط كعلية يجتمع فيها بنفسه مع تلاميذه ، يقيم فيها مذبحه الخفى ، ويتقدم هو كرئيس يعلن صليبه ويؤسس فيها ملكوته الروحى .

ثالثاً : لم يخبرهما السيد المسيح عن إسم صاحب العلية ، إذ كان معروفاً لهم ، ألا وهو والد القديس مرقس الرسول . . . لكنه إكتفى بتقديم علامة ، قائلًا : **« إذهبا إلى المدينة فيلاقيكما إنسان حامل جرة ماء ، إتبعاه ، وحيثما يدخل فقولا لرب البيت : إن المعلم يقول أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذى » ع ١٣ ، ١٤** . فلماذا إكتفى السيد بتقديم هذه العلامة :

أ ـــ يرى **القديس كيرلس الكبير** أن الشيطان كان قد دخل قلب يهوذا وكانت جريمة قتل مخلصنا المسيح قد ثارت فيه ، لذلك أخفى السيد إسم صاحب العلية حتى لا يخطط يهوذا لتسليم السيد وهو فى العلية [٢٣٦] .
ب ـــ يقدم **القديس كيرلس الكبير** تفسيراً آخر ، بقوله : [ربما تكلم بهذا ليعنى

سراً ضرورياً وهو : حيث يوجد الماء فى المعمودية المقدسة يقيم المسيح . كيف وبأى وسيلة ؟ بكونها تحررنا من كل نجاسة ، فنغتسل بها من أدناس الخطية فنصير هيكل الله المقدس ونشاركه طبيعته الإلهية بواسطة شركة الروح القدس . فلكى يستريح المسيح فينا ويقطن داخلنا لنتقبل المياة المخلّصة معترفين بالايمان الذى يبرر الأشرار ويرفعنا إلى أعلى حتى نحسب نحن « علية » . فإن الذين يسكنهم المسيح بالإيمان لهم فكر عالٍ مرتفع ، لا يرغبون فى الزحف على التراب ، أقول ويرفضون البقاء على الأرض طالبين على الدوام السمو فى الفضيلة . قيل : « أقوياء الله يرتفعون عن الأرض » ، « لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة » عب ١٣ : ١٤ ، فبينما يسيرون على الأرض إذا بأفكارهم تستقر فى العلويات ، ويكون مسكنهم فى السماويات (فى ٣ : ٢٠) [٣٣٧]] .

يتحدث **الأب ثيؤفلاكتيوس** عن جرة الماء هذه فيقول : [من يعتمد يحمل جرة ماء ، ومن يحمل المعمودية عليه يستريح إن عاش بتعقل ، ينال راحة كمن يدخل فى بيت] .

أيضا يقول **القديس أمبروسيوس**[ليت الرب يسمح لى أنا أيضا أن أحمل جرة الماء كما فعل رب البيت صاحب العلية المفروشة ! ماذا أقول عن الماء ؟ كان « روح الرب يرف على وجه المياه » تك ١ : ٢ . أيتها المياه التى علت فوق الكون الذى تدنس بالدم البشرى وكنتِ رمزاً للمعمودية العلوية ! أيتها المياه التى وُهبت أن يكون لها سرّ المسيح فتغسل الكل ! . . . أنت تبتدئين ثم تكملين الأسرار ، فيك البداية وأيضاً النهاية ! . . . [٣٣٨]] .

رابعاً : يكمل السيد حديثه قائلاً : « فهو يريكما علية كبيرة مفروشة مُعدة ، هناك أعدا لنا » ع ١٥ .

يقول **القديس أمبروسيوس** : [العلية المفروشة تشير إلى عظم إستحقاق صاحبها ، حتى أن الرب نفسه مع تلاميذه يستطيعون أن يستريحوا فيها ، أو تشير إلى زينة فضائله العالية [٣٣٩]] .

لكى ننعم بفصح المسيح يلزمنا أن ننعم بمياه المعمودية فترفعنا إلى علية الروح عوض الحرف القاتل ، وكما يقول **الأب ثيؤفلاكتيوس** : [رب البيت هو العقل الذى يشير إلى العلية الكبيرة أى إلى الأفكار العلوية ، التى بالرغم من علوها لكنها لا تحمل كبرياءً ولا مجداً باطلاً ، بل تعُد وتُهيأ خلال الإتضاع . هناك ، فى فكر كهذا يُعد فصح المسيح بواسطة بطرس ويوحنا أى خلال العمل والتأمل] .

٥ ـــ إعلانه عن الخيانة

« ولما كان المساء جاء مع الإثنى عشر ، وفيما هم متكئون يأكلون قال يسوع : الحق أقول لكن أن واحداً منكم يسلمنى ، الآكل معى ، فابتدأوا يحزنون ويقولون له واحداً فواحداً : هل أنا ؟ وآخر : هل أنا ؟ فأجاب وقال لهم : هو واحد من الإثنى عشر الذى يغمس معى فى الصحفة . إن إبن الانسان ماض كما هو مكتوب عنه ، ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يُسلم إبن الإنسان . كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد » ع ١٧ ـــ ٢١ .

إذ سبق فأعلن السيد المسيح أكثر من مرة عن تسليمه وموته وقيامته ليسند تلاميذه عندما يواجهون الأحداث نراه الآن يعلن عن « الخيانة » ليعطى مسلمه فرصة التوبة والرجوع إن أراد . حقاً لقد سبق الكتاب فأنبأ عن الخائن لكن لم يلزم الله يهوذا أن يخون ، ولا يمكن له أن يحتج بأن فيه تحققت النبوة عن الخيانة ، فإن سابق معرفة الله للأمر لا تلزمه بالتنفيذ ولا تعفيه من المسئولية . ولو أن قلب يهوذا تحرك بالتوبة تمت أحداث الصليب بطريقة أو أخرى يخططها الرب دون هلاك يهوذا .

فى إعلان السيد المسيح عن الخيانة لم يذكر إسم الخائن حتى لا يجرح مشاعره وأحاسيسه لعله يرجع عن رأيه ، وفى نفس الوقت أعطى علامة عندما ابتدأ التلاميذ يحزنون حتى لا يسقطوا فى اليأس . كان السيد لطيفاً ورقيقاً حتى مع الخائن لكنه أيضاً كان حازماً وصريحاً معه مستخدماً كل أسلوب للحث على التوبة . **يقول القديس يوحنا الذهبى الفم** : [واضح أنه لم يعلن عنه صراحة حتى لا يجعله فى عار أشد ، وفى نفس الوقت لم يصمت تماماً لئلا يظن أن أمره غير مكشوف فيسرع بالأكثر لعمل الخيانة بجسارة [٣١٠]] .

إذ أعلن السيد عن هذه الخيانة المرة إبتدأ كل تلميذ يسأل المعلم : هل أنا ؟ فمع ثقتهم فى أنفسهم أنهم لن يخونوا السيد ، لكن ثقتهم فى كلمات الرب أعظم من ثقتهم فى أنفسهم ، فتشكك كل واحد فى نفسه وخشى لئلا يسقط فى هذا العمل الشرير .

قدم لهم السيد الإشارة « الذى يغمس معى فى الصحفة » ثم أعلن فى حزم عن مصير هذا الخائن المسكين . يقول **القديس كيرلس الكبير**: [وُبخ يهوذا الخائن الذى كان يأكل معه بالكلمات التى قالها المسيح . . . لعله فى فقدانه التام للحس ، أو بالحرى إذ امتلأ بكبرياء إبليس ، حسب أنه قادر على خداع المسيح بالرغم من كونه الله . ولكن كما قلت كان مقتنعاً بكونه شريراً تماماً ومبغضاً لله وخائناً ومع ذلك فمن قبيل اللطف إنضم إلى المائدة وحُسب كأنه مستحق للطف الإلهى حتى النهاية ، بهذا صارت دينونته أعظم . فقد قال المسيح فى موضع آخر خلال المرتل : « لأنه ليس عدوى يعيرنى فأحتمل ، ليس مبغضى تعظمّ علىّ فأختبىء منه ، بل أنت إنسان عديلى أليفى وصديقى ، الذى معه كانت تحلو لنا العشرة إلى بيت الله كنا نذهب فى الجمهور (اتفاق) » مز ٥٥ : ١٢ — ١٤ [٢٤١] » .

٦ — تأسيس الأفخارستيا

كانت أحداث الصلب تجرى حول السيد المسيح ، هذه التى أعلن عنها بكونها طريق الخلاص الذى يقدمه السيد نفسه ، فقد قدم لكنيسته عبر الأجيال جسده المصلوب القائم من الأموات ودمه المبذول غفراناً للخطايا . قدم لكنيسته ذبيحة الصليب الواحدة غير المتكررة خلال السرّ الأفخارستيا ، مائدة الرب واهبة الحياة .

يقول الإنجيل : « **وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزاً وبارك وكسر وأعطاهم ، وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدى . ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشربوا منها كلهم . وقال لهم : هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين** » ع ٢٢ — ٢٤ .

ماذا يعنى بقوله فيما يأكلون إلا أنه بعدما أكلوا الفصح اليهودى قدم الفصح الجديد ، فقد سبق الرمز المرموز إليه . قدم أولًا الفصح الناموسى حتى لا يُحسب

كاسراً للناموس ، ثم إنطلق بهم إلى الفصح الحق : جسده ودمه المبذولين من أجل العالم كله !

يقول **الأب ميلاتو من ساردس** : [يتحقق سرّ الفصح فى جسد الرب . . . فقد أُقتيد كحمل ، وذبح كشاة ، مخلصاً إيانا من عبودية العالم (مصر) ، ومحررنا من عبودية الشيطان كما من فرعون ، خاتماً نفوسنا بروحه ، وأعضاءنا الجسدية بدمه . . . إنه ذاك الواحد الذى خلصنا من العبودية إلى الحرية ، ومن الظلمة إلى النور ، ومن الموت إلى الحياة ، ومن الطغيان إلى الملكوت الأبدى . . . إنه ذاك الذى هو (الفصح) عبور خلاصنا . . . هو الحمل الصامت . . . الذى أُخذ من القطيع ، وأقتيد للذبح فى المساء ، ودُفن بالليل . . . من أجل هذا كان عيد الفطير مراً ، كما يقول كتابكم المقدس : تأكلون فطيراً بأعشاب مرة ، مرة لكم هى المسامير التى إستخدمت ، مرّ هو اللسان الذى جدف ، مرّة هى الشهادة الباطلة التى نطقتم بها ضده [٣٤٢]] .

قدم السيد جسده ودمه المبذولين لتلاميذه معلناً لهم أنه مقبل على الصليب بإرادته ، وبخطته الإلهية ليهب مؤمنيه غفران الخطايا والاتحاد معه . . . هذه العطية هبة قائمة عبر العصور تتمتع بها كنيسة المسيح وتتقبلها من يدّى المخلص نفسه . فى هذا يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [حتى الآن المسيح الملاصق لنا الذى أعد المائدة هو بنفسه يقدسها . فانه ليس إنسان يحول القرابين إلى جسد المسيح ودمه ، بل المسيح نفسه الذى صلب عنا . ينطق الكاهن بالكلمات لكن التقديس يتم بقوة الله ونعمته . بالكلمة التى نطق بها : « هذا هو جسدى » تتقدس القرابين [٣٤٣]] . ويقول **القديس أمبروسيوس** : [المسيح هو بعينه الذى يعلن خلال الكاهن هذا هو جسدى [٣٤٤]] .

إذ سلمهم السيد هذا السرّ العظيم قال لهم : « **الحق أقول لكم انى لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديداً فى ملكوت الله** » ع ٢٥ . وقد سبق لنا تفسير هذه العبارة فى دراستنا لسفر اللاويين (١٠ : ٩) حيث رأينا السيد يشرب نتاج الكرمة أى يفرح حين يكمل المختارون فى ملكوت الله . . .

يختم الإنجيلى حديثه عن سرّ الأفخارستيا بقوله :

« ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون » ع ٢٦

إذ قدم السيد المسيح جسده ودمه مبذولين عن خلاص الآخرين ، ذبيحة حب فريدة ، سبح مع تلاميذه ربما بتسابيح الفصح المفرحة ، معلناً أن العلية قد أمتلأت فرحاً وحمداً لله . أقول إن عليتنا الداخلية تمتلىء بالفرح الإلهى وبالتسابيح الفائقة إن قبلت فى داخلها مسيحها المصلوب وإن حملت سماته فيها . بمعنى آخر كلما قدم الإنسان حياته الداخلية مبذولة بالحب من أجل الآخرين فى المسيح يسوع امتلأت حياته تسبيحاً لا بالفم واللسان فحسب وإنما تتحول كل أعضاء جسده وأحاسيسه وأعماق نفسه إلى قيثارة فى يدى الروح القدس ينشد عليها ربنا يسوع نفسه تسابيح فصحه وصليبه ، يتقبلها الآب سمفونية سماوية مبهجة . وعلى العكس كلما تقوقع الانسان حول ذاته يطلب ما لنفسه . . . مهما حفظ من تسابيح ونطق بترانيم يملأ الضيق نفسه ويحطم اليأس رجاءه .

الآن إذ قدم السيد جسده ودمه المبذولين لتلاميذه ليحملوا حياته المبذولة فيهم ويسلكوا حاملين صليبه ، وهبهم أن يسبحوا بفرحه ويبتهجوا بخلاصه . . . ثم إنطلق بهم « إلى جبل الزيتون » . . .

لعله أخرجهم إلى جبل الزيتون ، الجبل الذى قلنا قبلاً قد إرتبط بالمسيا ، إذ هو ممسوح لا بزيت زيتون بل بروحه القدوس لخلاصنا . . . حملهم إلى الجبل ليشاركوه عمله ، خاصة فى أمور ثلاثة :

أولا : فى بكائه على أورشليم وتنهده من أجلها حين جلس على جبل الزيتون متطلعاً إلى المدينة وهو يقول : « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها ولم تريدوا » . . . إنه يطالبنا أن نجلس معه نتأمل البشرية الساقطة لنئن بدموع من أجل كل نفس لعلها ترجع وتقبل إحتضان الرب بصليبه .

ثانياً : فى جبل الزيتون فى ضيعة جثسيمانى (ع ٣٢) دخل السيد كما فى لقاء مع الآب يتسلم كأس الصليب من يديه مع مرارته الشديدة . . . وكأن السيد يريدنا لا أن نقف عند التنهدات والصرخات وإنما يلزم أن نحنى رأسنا معه لنحمل صليبنا العملى من يدىّ الآب فيكون لنا دورنا الإيجابى فى خدمة الملكوت خلال الصليب .

ثالثاً : على جبل الزيتون جلس السيد المسيح مع بعض تلاميذه حين أروه الأبنية العظيمة التى للهيكل (مت ٢٤ ، ١٣) فأعلن لهم أنه لا يترك حجر على حجر إلا وينقض محدثاً إياهم عن علامات مجيئه ، وكأنه أراد أن يسحب قلوبهم من الخدمة الظاهرية إلى خدمة اللقاء مع ربنا يسوع . وبالفعل على ذات الجبل أخذ تلاميذه وهناك باركهم وصعد ، وجاء الملاك يبشرهم أنه كما صعد هكذا من المشارق أيضاً يعود من المشارق .

نستطيع أن نقول أن خروجنا مع ربنا يسوع المسيح إلى جبل الزيتون إنما لكى نمارس معه محبته لشعبه ونمد يدنا للعمل الإيجابى لحساب ملكوته ونترقب على الدوام هدم هيكل إنساننا القديم والتمتع بالهيكل الأبدى أو حلول السيد المسيح المستمر حتى يأتى على السحاب ليحمل الكنيسة كلها معه عروساً له .

٧ — إعلانه عن شك التلاميذ فيه

إذ قدم السيد المسيح جسده ودمه المبذولين لتلاميذه وأعلن لهم عن موته وعن خيانة واحدٍ منهم له لم يخلق جواً من الكآبة والضيق بل فتح ألسنتهم للتسبيح معه ، وكأنه ليستقبل أحداث آلامه وصلبه بفرح . . . وها هو ينطلق بهم إلى البستان معه ليحمل بمفرده كأس الآلام عن البشرية كلها . وقبل وصوله إلى ضيعة جثسيمانى صارح تلاميذه : « **كلكم تشكون فىّ فى هذه الليلة** » ع ٢٧ . يصعب جداً أن نسجل ما آلت إليه نفسية التلاميذ بعد هذا الإعلان الإلهى ، فإنه خبر كفيل بتحطيمهم تماماً ، لكن السيد المسيح لم يتركهم يسترسلون فى أفكارهم حتى لا ينهاروا تحت ثقل اليأس ، لكنه قدم لهم عوناً ، فمن جانب أبرز لهم شدة الموقف حيث تنبأ عنهم زكريا النبى (١٣ : ٧) « **لأنه مكتوب إنى أضرب الراعى فتبدد الرعية** » ، كما كشف لهم عن رجوعهم إليه وعن إلقائهم معه مرة اخرى بعد قيامته : « **ولكن بعد قيامى أسبقكم إلى الجليل** » ع ٢٨ . لقد أعلن لهم أن ما يحدث هو بتدبير إلهى فمن جهة يضرب الآب الإبن الذى حمل خطايانا وقبل الموت فى جسده عوضاً عنا ، يضربه بسقوطه تحت الحكم الذى كان ضدنا ، فلا يحتمل التلاميذ هذا المنظر ، لكنه يقوم فيجتذب مؤمنيه فى الجليل .

يقول الأب **ثيؤفلاكتيوس** : [يقول الآب : « أضرب الراعى » إذ سمح له أن يُضرب . وقد دعى التلاميذ رعية (غنماً) بسبب براءتهم وأنهم لا يرتكبون جريمة . وأخيراً يعزيهم بقوله : « بعد قيامى أسبقكم إلى الجليل »] .

فى إنجيل معلمنا لوقا (٢٢ : ٣١) أبرز السيد شدة الحرب التى تواجه التلاميذ وهم لا يدرون ، إذ قال : « سمعان سمعان ، هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك » . أما بطرس فحسب أنه قادر أن يثبت إن شك الجميع فى المعلم ، إذ قال : « **وإن شك الجميع فأنا لا أشك . فقال له يسوع : الحق أقول لك أنك اليوم فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات . فقال بأكثر تشديد : ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك . وهكذا قال أيضاً الجميع » ع ٢٩ — ٣١** .

بلا شك ظن بطرس الرسول فى محبته الشديدة للرب وغيرته أنه قادر أن يقف معه حتى الموت ، لكن ما لم يعرفه بطرس عن نفسه يعرفه الرب عنه ، فان بطرس مع محبته وغيرته ضعيف ويحتاج لا أن يشهد عن نفسه أنه قوى بل فى إتضاع يطلب معونة الله كى تسنده . يقول **القديس كيرلس الكبير** : [بطرس فى حرارة غيرته قدم إقراراً بالثبات والإحتمال حتى النهاية ، قائلاً إنه يقابل أهوال الموت بشجاعة ولا يبالى بالقيود ، لكنه فى هذا أخطأ عن الصواب . كان يليق به إذ أخبره المخلص أنه سيضعف شاكاً فيه ألا يعترض هكذا علانية ، إذ لا يكذب « الحق » ، بل بالحرى كان يليق به أن يطلب منه القوة لكى ينزع عنه هذا الألم أو يخلصه سريعاً من السقطة ... ليتنا إذن لا نفكر فى أنفسنا بطريقة متكبرة حتى ان رأينا فى أنفسنا أننا نتميز بالفضائل ، بل الحرى لنقدم للمسيح تسابيح الشكر لأنه يخلصنا ويهبنا حتى الرغبة للعمل الصالح[٣٤٥]] .

أما بالنسبة لصياح الديك فلم يذكر الإنجيلى متى عدد مرات صياحه إنما ذكر الإنجيلى مرقس انه قبل أن يصيح الديك مرتين ينكره بطرس ثلاث مرات . لذلك يرى كثير من الدارسين أن بطرس أنكر مرة ثم صاح الديك ، وأنكر مرتين أخريين فصاح الديك أيضا للمرة الثانية ...

ما هو هذا الديك الذى صاح مرتين ؟ ولماذا أنكر بطرس ثلاث مرات ؟

لعل الديك يشير إلى الروح القدس الذى « يبكت العالم على خطية » يو ١٦ : ٨ ، صاح فى العهد القديم ولم يستجب أحد لصيحته ، وصاح فى العهد الجديد فبكت شعوباً وأمماً لترجع إلى الرب الذى أنكرته . أما إنكار بطرس ثلاث مرات فعلامة ما فعله العالم بالله ، إذ جحده ثلاث مرات ، أى جحود بالفكر كما بالقول والعمل ، جحوداً عن إصرار ومعرفة ، ومع ذلك يستطيع الروح القدس أن يرده عن جحوده ويلتقى به مع نظرات السيد المسيح فينسحق القلب فى الداخل ليبكى الإنسان مع بطرس بكاءً مراً .

فى نص منسوب **للقديس جيروم** : [من هو هذا الديك الذى يبشر بقدوم النهار إلا الروح القدس ، فبصوته فى النبوة وفى الرسل قمنا من إنكارنا لله الثلاثى ، نبكى بمرارة على سقوطنا ، إذ فكرنا شراً فى الرب ، وتحدثنا بالشر على أقربائنا ، وفعلنا شراً لأنفسنا ![٣٤٦]] .

إن كنا قد جحدنا الرب ثلاث مرات بالفكر والقول والعمل ، جحدناه ثلاث مرات إذ أخطأنا فى حقه الإلهى وحق أقربائنا وحق أنفسنا ، ليت روح الله يصيح فى آذاننا مرتين باعلاناته لنا خلال الأنبياء والرسل حاملاً إيانا إلى ربنا يسوع المصلوب ، نبكى على خطايانا ونعلن صدق توبتنا وشوقنا للرجوع إليه والثبات فيه أبدياً !

٨ ـــ ذهابه إلى جثسيمانى

إذ أعلن السيد المسيح لتلاميذه عن كل شىء إنطلق بهم إلى البستان يحمل كأس الألم ، إذ يقول الإنجيلى :

« وجاءوا إلى ضيعة إسمها جثسيمانى ، فقال لتلاميذه : إجلسوا ههنا حتى أصلى . ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا ، وابتدأ يدهش ويكتئب . فقال لهم : نفسى حزينة جداً حتى الموت . أمكثوا هنا واسهروا » ع ٣٢ ـــ ٣٤ .

« جثسيمانى » كلمة أرامية تعنى « معصرة الزيت » مت ٢٦ : ٣٦ ، كانت بستاناً فيه أشجار الزيتون ومعصرة لعصره ، يقع البستان شرق أورشليم على السفح الغربى من جبل الزيتون (لو ٢٢ : ٣٩) وبينه وبين أورشليم وادى قدرون (يو ١٨ : ١) ، « وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع لأن يسوع اجتمع هناك كثيراً مع

تلاميذه » يو ١٨ : ٢ ، لو ٢٢ : ٣٩ .

إن كانت البشرية قد فقدت سرّ حياتها وبهجتها وسلامها خلال عصيان آدم الأول فى البستان ، ففى البستان دخل آدم الثانى كما إلى معصرة زيت (جثسيمانى) ليعتصر بالألم من أجل البشرية ويرد بطاعته للآب حتى الموت ما سبق ففقدته .

أخذ معه تلاميذه الثلاثة الذين كانوا معه فى لحظات التجلى ، حتى إذ يروه يدهش ويكتئب ، ودموعه تتقاطر كالدم ، يدركوا حقيقة تأنسه ودخوله تحت الآلام دون أن يتعثروا ، فقد رأوه فى تجليه ومجده .

دخل بتلاميذه إلى البستان ليقدم نفسه مثلاً حياً عملياً عن حياة الصلاة والسهر خلال الضيق ، لذلك قال لهم : « إجلسوا ههنا حتى أصلى » ، كما أوصاهم « أمكثوا هنا واسهروا » . . . كما علمنا مجابهة الموت بلا خوف ، والتسليم الكامل بين يدى الآب السماوى ، إذ يقول الانجيل :

« ثم تقدم قليلاً ، وخرّ على الأرض ، وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن . وقال : يا أبا الآب كل شىء مستطاع لك ، فأعبر عنى هذه الكأس ، ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت » ع ٣٥ ، ٣٦ .

كتب **القديس يوحنا الذهبى الفم** مقالاً عن « إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس » سبق لى ترجمته ونشره[٣٤٧] ، جاء فيه :

أولاً : لا يمكن القول بأن السيد المسيح كان يجهل إن كان ممكناً أن تعبر عنه الكأس أم لا ، بقوله « إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس » . [المعرفة الخاصة بآلامه ليست أعظم من المعرفة الخاصة بجوهر طبيعته ، الأمر الذى هو وحده يعرفه تمام المعرفة وبدقة ، إذ يقول « كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب » يو ١٠ : ١٥ . ولماذا أتكلم عن إبن الله الوحيد ، فإنه حتى الأنبياء يبدو أنهم لم يجهلوا هذه الحقيقة (أى آلام المسيح وصلبه) بل عرفوها بوضوح ، وقد سبق أن أعلنوا عنها قبلاً مؤكدين حدوثها تأكيداً قاطعاً] .

ثانياً : لا يمكن فهم هذا القول : « إن أمكن أن تعبر عنى هذه الكأس » بمعنى الرغبة فى الهروب من الصليب . [لقد دعى (بطرس) ذاك الذى وُهب إعلاناً من

الآب وقد طوّبه ووهبه مفاتيح ملكوت السموات ، دعاه « شيطاناً » ، ودعاه « معثرة » ، وإتهمه أنه لا يهتم بما لله . . . هذا كله لانه قال له : « حاشاك يارب لا يكون لك هذا » أى لا يكون لك أن تصلب . فكيف إذن لا يرغب فى الصليب ، هذا الذى وبخ التلميذ وصبَّ عليه هذا القدح إذ دعاه شيطاناً بعدما كان قد مدحه ، وذلك لأنه طلب منه أن يتجنب الصليب ؟ كيف لا يرغب فى الصليب ذاك الذى رسم صورة للراعى الصالح معلناً إياها كبرهان خاص بصلاحه ؛ وهى بذله لنفسه من أجل خرافه ، إذ يقول « أنا هو الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف » يو ١٠ : ١١ . . . أنظر كيف يُعجب منه بسبب إعلانه هذا « أنه يبذل نفسه » ، قائلاً : « الذى كان فى صورة الله لم يُحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس ، فإذ وُجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » فى ٢ : ٦ — ٨ ؟ ! وقد تكلم عن نفسه مرة أخرى فقال . . . « لهذا يحبنى الآب لأنى أضع نفسى لآخذها أيضاً » يو ١٠ : ١٧ . . . وكيف يقول الرسول بولس مرة أخرى : « واسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا » أف ٥ : ٢ ؟ ! . وعندما اقترب السيد المسيح من الصلب قال بنفسه : « أيها الآب قد أتت الساعة مجد إبنك » يو ١٧ : ١٠ . لقد تكلم هنا عن الصليب كمجد ، فكيف يستعفى عنه ، وها هو يستعجله ؟ !] .

ثالثاً : أن هذه العبارة قد سجلها لنا الإنجيلى لتأكيد تجسده ودخوله فعلاً تحت الآلام . [لهذا السبب أيضاً كانت قطرات العرق تتدفق منه ، وظهر ملاك ليقويه ، وكان يسوع حزيناً ومغتماً ، إذ قبل أن ينطق بتلك الكلمات (ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت) قال : « نفسى حزينة جداً حتى الموت » . فإنه بعد هذا كله قام الشيطان يتكلم على فم كل من مرقيون الذى من بنطس وفالنتينوس ومانى الذى من فارس وهراطقة كثيرين ، محاولين إنكار تعاليم التجسد ، ناطقين بكلمات شيطانية ، مدعين أنه لم يأخذ جسداً حقيقياً ، ولا التحف به ، إنما كان له جسد خيالى وهمى . . . لقد أعلن المشاعر البشرية الحقيقية بوضوح ، تأكيداً لحقيقة تجسده وتأنسه] .

رابعاً : بجانب تأكيده للتجسد قدم لنا نفسه مثالاً عملياً يهذا التصرف الحكيم .
[هناك إعتبار آخر لا يقل عنه أهمية . . . وهو أن السيد المسيح جاء على الأرض ، راغباً فى تعليم البشرية الفضائل ، لا بالكلام فقط وإنما بالأعمال أيضاً . وهذه هى أفضل وسيلة للتدريس . . . إنه يقول : « من عمل وعلّم فهذا يُدعى عظيماً فى ملكوت السموات » مت ٥ :١٩ . . . لقد أوصى (تلاميذه) أن يصلوا : « لا تدخلنا فى تجربة » معلماً إياهم هذه الوصية عينها بوضعها فى صورة عملية ، قائلاً : « يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس » . هكذا يعلم كل القديسين ألا يثبوا بأنفسهم فى المخاطر غير ملقين أنفسهم بأنفسهم فيها . . . فماذا ؟ حتى يعلمنا إتضاع الفكر ، وينزع عنا حب المجد الباطل . . . صلى كمن يعلم الصلاة ؛ ولكى

نطلب ألا ندخل فى تجربة ، ولكن إن لم يسمح الله بهذا ، نطلب منه أن يصنع ما يحسن فى عينيه ، لذلك قال : « ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت » ، ليس لأن إرادة الإبن غير إرادة الآب ، إنما لكى يعلم البشر أن يقمعوا إرادتهم فى إرادة الله ولو كانوا فى ضيق أو إضطراب ، حتى وإن أحدق بهم الخطر ، ولو لم يكونوا راغبين فى الإنتقال من الحياة الحاضرة .

يحدثنا **القديس أمبروسيوس** عن سرّ حزن السيد المسيح القائل : « **نفسى حزينة جداً حتى الموت** » ع **٣٤** هكذا : [إنى أعجب هنا بحنان الرب وعظمته ، فلو لم تكن له مشاعرى لنقصت إحساناته . . . سمح أن يتعب لضعفاتى ! حمل حزنى ليهبنى سعادته ! نزل حتى ألم الموت ثم بدأ يرجعنا للحياة ثانية ، وتألم لينتصر على الحزن . قيل عنه أنه رجل أوجاع ومختبر الحزن (إش ٥٣ : ٣) . لقد أراد أن يعلمنا ، فقد سبق فعلمنا يوسف ألا نخاف السجن وفى المسيح نتعلم كيف نغلب الموت . . . إنك تتألم يارب لا بسبب جراحاتك ، لا بسبب قوتك بل بسبب ضعفاتنا (إش ٥٣ : ٤) . نراك فريسة للألم ، لكنك تتألم لأجلى ، صرت ضعيفاً من أجل خطايانا (إش ٥٣ : ٥) . هذا الضعف ليس من طبعك لكنك أخذته لأجلى . . . ربما أيضا حزن لأنه منذ سقوط آدم كان خلاصنا الوحيد للخروج من هذا العالم هو بالضرورة « الموت » ، ولما كان الله لم يخلق الموت ولا يشاء موت الخاطى مثلما يرجع وتحيا نفسه ، يعز عليه أن يحتمل ما لم يخلقه(٢٤٨)] .

يكمل القديس **أمبروسيوس** تعليقه على حزن السيد المسيح مؤكداً أن الحزن لن يدخل إلى لاهوته إنما للنفس البشرية بكونه إبن الله المتأنس له نفس بشرية تشاركنا مشاعرنا . [فى موضع آخر يقول : « الآن نفسى قد اضطربت » . إنه اضطراب النفس البشرية لأن اللاهوت غير قابل للألم . . . فالرب ليس حزيناً (باللاهوت) لكن نفسه حزينة . الحكمة ذاته ليس حزيناً (حسب اللاهوت) ولا الطبيعة الإلهية بل النفس . كان حزيناً لا بسبب الألم وإنما بسبب تبديدنا ، لذا قال : « أضرب الراعى فتبدد خراف الرعية » مت ٢٦ : ٣٥ . . . كان أيضاً حزيناً من أجل مضطهديه ، فقد كان عارفاً أنه يفدى بالآلام خطاياهم . . . وقد قال : « يا أبتاه إغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » لو ٢٣ : ٣٤ .]

يقدم لنا **الأب ليؤفلاكتيوس** تعليلاً لحزن السيد بقوله : [يفهم البعض ذلك كما لو كان قد قال : إننى حزين ليس لأنى أموت وإنما لأن اليهود الذين هم من وطنى يصلبوننى فيحرمون من ملكوت الله] .

يعلق أيضا القديس أغسطينوس على حزن السيد المسيح بقوله : [ربما نطق السيد بهذه الكلمات لما تحويه من سرّ فى داخلها ، مظهراً أنه قد وضع على عاتقه أن يتألم حسب جسده ، أى حسب الكنيسة ، التى صار لها رأس الزاوية والتى تأتى إليه بعض أعضائها من العبرانيين ، والأخر من الأمم[٣٤٩]] ، وقد دلل القديس على ذلك بحديثه مع الآب قائلا « يا أبا الآب » ع ٣٦ ، فان كلمة أبا Abba ترمز لليهود فى علاقتهم بالله ، وكلمة « الاب » ترمز للأمم فى علاقتهم أيضا بالله ، إذ هو أب لليهود كما للأمم .

بعد هذا المرتفع للآب يقول الإنجيل : « **ثم جاء ووجدهم نياماً ، فقال لبطرس : يا سمعان أنت نائم ، أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة ؟ ! اسهروا-وصلوا لئلا تدخلون فى تجربة . أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف . ومضى أيضا وصلى قائلاً ذلك الكلام عينه . ثم رجع ووجدهم أيضاً نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبون . ثم جاء ثالثة وقال : ناموا الآن واستريحوا ، يكفى ، قد أتت الساعة . هوذا إبن الانسان يُسلم إلى أيدى الخطاة . قوموا لنذهب ، هوذا الذى يسلمنى قد اقترب** » ع ٣٧ — ٤٢ .

ويرحظ فى هذا النص الانجيلى الآتى :

أولا : سبق فأوصاهم السيد أن يسهروا ويصلوا ، لكنهم لم يستطيعوا ، ففى كل مرة يرجع إليهم السيد يجدهم نياماً ، بل « كانت أعينهم ثقيلة » . . . وفى المرة الأخيرة قال لهم : « ناموا الآن واستريحوا » .

السهر الذى طلبه السيد من تلاميذه ليس مجرد الامتناع عن النوم ، إنما يعنى اليقظة الروحية والفهم الداخلى وإدراك أسرار الفداء . . . فقد مثّل التلاميذ البشرية التى لم تكن قادرة على السهر وإدراك أسرار العمل الإلهى ، بالرغم من إرساله الرموز والنبوات لإيقاظها . لقد نام التلاميذ بعمق حتى كانت أعينهم ثقيلة رمزاً لحالة عدم الإيمان أو الجحود التى أصابت البشرية دون أن يتوقف الرب عن ممارسته أعمال محبته ، وكما يقول الرسول : « ونحن أعداء صولحنا مع الله بموت إبنه » رو ٥ : ١٠ .

أما قوله فى المرة الثالثة : « ناموا الآن واستريحوا » فلا يعنى نوم الخمول والتراخى ، إنما يعنى التسليم الكامل فى يدّى الله والراحة الداخلية ، كما نامَ القديس بطرس الرسول فى السجن (أع ١٢ : ٧) ، وكما قيل : « يعطى حبيبه نوماً » مز ١٢٧ : ٢ . فى المرة الثالثة ، إشارة إلى قيامته فى اليوم الثالث ، ننام نحن ونستريح إذ لا نخاف بعد الموت مادام الرب مات وقام لأجلنا .

ثانياً : يسألهم السيد المسيح : « **صلوا لئلا تدخلوا فى تجربة** » ، فالمسيحى مهما بلغت قامته الروحية فى إتضاع لا يشتهى الدخول فى تجربة بل يسأل الرب ألا يسمح له بالدخول فيها ، حتى متى حلت به تجربة استطاع بالرب ألا يسقط فيها بل يرتفع فوقها ، لا يفكر فيها بل ينشغل بالمخلص نفسه !

ثالثاً : يقول « **أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف** » . فإن كانت أرواحهم قوية مستعدة أن تشهد له حتى الموت لكن بسبب ضعف الجسد ينهارون ، ما لم يسندهم الرب نفسه . يقول **القديس جيروم** : [بينما روحى قوية تقودنى للحياة ، إذ بجسدى ضعيف يسحبنى للموت(٣٥٠)] .

فى عتاب يقول لبطرس : « **يا سمعان أنت نائم ، أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة ؟** » . وكأنه يقول له : أين هى غيرتك الشديدة ومحبتك الملتهبة ووعدك

« ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك » ؟ إنك بسبب ضعف الجسد لم تستطع أن تقاوم النوم بل صارت عيناك ثقيلتين فكيف تحتمل الموت لأجلي ؟

٩ ــ القبض عليه

إذ دخل السيد المسيح إلى البستان ليتسلم كأس الألم من أجل البشرية كلها أعلن لتلاميذه : « **قد أتت الساعة ، هوذا إبن الانسان يُسلم إلى أيدى الخطاة . قوموا لنذهب ، هوذا الذى يسلمنى قد اقترب** » ع ٤١ ، ٤٢ .

خرج إلى البستان حتى يسلم نفسه بالطاعة للقيود ليفك الرباطات التى قيدت البشرية خلال عصيان آدم ...

فى البستان جاء السيد إلى تلاميذه ثلاث مرات فيجدهم نياماً ، وكأنهم يمثلون البشرية الساقطة تحت ثقل الخطية بالفكر والقول والعمل أيضاً . . . من أجل هذه البشرية يتقدم السيد ليسلم نفسه للأشرار فينام على الصليب عوضاً عنهم ! يقول **القديس أغسطينوس** : [قبضوا على ذاك الذى به يمكنهم أن يتحرروا من ربطهم . ولعله كان من بينهم من استهزأ به ، لكن منهم أيضاً من خلص بواسطته ، هؤلاء يقولون : « قد حللت ربطى » مز ١١٦ : ١٦] .

يقول الإنجيل : « **وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحد من الاثنى عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ . وكان مسلمه قد أعطاهم علامة قائلاً : الذى أقبله هو هو ، إمسكوه وامضوا به بحرص . فجاء للوقت وتقدم إليه قائلاً : يا سيدى يا سيدى ، وقبّله . فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه ، فاستل واحد من الحاضرين السيف وضَرَب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه** » ع ٤٣ ــ ٤٧ .

مرة أخرى إذ يتحدث عن يهوذا يؤكد أنه من الاثنى عشر ليعلن عن بشاعة جريمته وتجاسره ، خاصة وأنه جعل من « القبلة » علامة لتسليمه .

حقاً حينما سأل النبى بروح النبوة المسيّا المجروح : « ما هذه الجروح فى يديك ؟ » زك ١٣ : ٦ ، أجاب فى مرارة : « هى التى جرحت بها فى بيت

أحبائى » زك ١٣ : ٦ .

يعلق القديس **أمبروسيوس** على عتاب السيد المسيح لتلميذه : « يا يهوذا أبقبلة تُسلم إبن الانسان ؟ ! لو ٢٢ : ٤٨ ، قائلاً : [تعبير رائع عن القوة الإلهية ، درس عظيم فى الفضيلة ! لقد كشف الخيانة ومع ذلك لم يبخل عنه بطول اناته عليه . لقد أظهرت يارب من هو الذى يسلمك وكشفت سره وأعلنه ، عمن يُسلّم أنه « إبن الانسان » ، وكأنك تقول : لأجلك أيها الخائن أخذت أنا هذا الجسد الذى تسلمه ! . . . كأنه يعاتب الخائن فى مشاعر كلها حنان : « يا يهوذا أبقبلة تسلم إبن الإنسان ؟ ! » . بمعنى آخر : أتجرحنى بعربون الحب ؟ ! أتسفك دمى بعلامة الحب ، وتسلمنى للموت بعلامة السلام ؟ ! وأنت الخادم تسلم سيدك ، وأنت التلميذ تسلم معلمك وتخون جابلك ؟ حقاً ينطبق هنا القول عن الخائن : « غاشة هى قبلات العدو » أم ٢٧ : ٦ . . . وتقبل المسيح هذه القبلة لا عن رياء إنما ليظهر أنه لا يهرب من الخائن ، فيزداد هلاك الخائن بعدم رفض السيد علامات الحب منه ، فقد قيل : « ومع مبغضى السلام كنت صاحب سلام » مز ١١٩ : ٦[٣٥١]] .

فى نص منسوب **للقديس جيروم** جاء : [أعطى يهوذا قبلة كعلامة ، بغش مميت ، كما قدم قايين تقدمة غاشة بغيضة]

يعلق **القديس كيرلس الكبير** على تصرف يهوذا هذا بقوله :

[كثيرة هى الآلام (الخطايا) ومرة تلك التى تثير حرباً ضد نفس الإنسان ، وتدخل معها فى صراع لا يُحتمل ، لتهوى بها إلى ممارسة أعمال دنيئة ، أما أشر هذه الآلام فهى محبة المال ، أصل كل الشرور ، التى سقط فى فخاخها العنيفة التلميذ الخائن ، حتى قبل أن يصير خادماً لغش الشيطان ، ويكون أداة فى أيدى رؤساء مجمع اليهود الأشرار فى هياجهم ضد المسيح ...

من أجل الدراهم التى بلا ثمن كفّ عن أن يكون مع المسيح وفقد رجاءه فى الله وكرامته والأكاليل والحياة والمجد المعد لتابعى المسيح الحقيقيين وحقه أن يملك معه ...

لقد أعطى لهؤلاء القتلة علامة ، قائلاً : « الذى أقبله هو » . لقد نسى تماماً مجد المسيح ، وفى غباوته الكاملة ظن أنه يبقى متستراً عندما يقدم قبلة التى هى علامة الحب ، بينما يحمل فى قلبه خداعاً مراً وشريراً. فانه حين كان فى صحبة المسيح مخلصنا مع بقية الرسل فى رحلاته ، غالباً ما سمعه يسبق فيخبرهم بالأمور المقبلة بكونه الله العالم بكل شيء ، وقد سبق فأخبره عن عمل خيانته ، إذ قال للرسل القديسين : « الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمنى » . كيف إذن تبقى نيته مخفية ؟ ! لا ، بل كانت الحية فى داخله تصارع الله ، كان مسكناً للشيطان ، إذ قال أحد الانجيليين أنه إذ كان متكئاً على المائدة مع بقية التلاميذ وأعطاه المخلص لقمة غمسها فى الصحفة « دخله الشيطان »[٣٥٢]] .

قدم يهوذا قبلة مملوءة غشًا يمسكه الجمع الكثير حاملو السيوف والعصى ، وكأنه بيوسف الذى باعه إخوته للغرباء . . . وقد حاول بطرس أن يدافع عن سيده فاستل سيفاً وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه . . . لكن السيد إنتهره على ما ارتكبه ، ولم يترك العبد فى آلامه بل شفاه .

يقول **القديس كيرلس الكبير** [لا يريدنا أن نستخدم سيوفاً فى مقاومة أعدائنا ، بل بالحرى نستخدم الحب مع التعقل فنغلب مقاومينا بقوة . ويقدم لنا بولس تعليماً مشابهاً بقوله : « هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح » ٢ كو ١٠ : ٥ . لأن الحرب من أجل الحق روحية ، والسلاح اللائق بالقديسين هو عقلى ومملوء بمحبة الله . يليق بنا أن نلبس درع البر وخوذة الخلاص ، وترس الإيمان وسيف الروح الذى هو كلمة الله (أف ٦ : ١٤ — ١٧)[٣٥٣]] .

ويقدم لنا **القديس أمبروسيوس** بعض التعليقات على قطع أذن العبد ، نذكر منها : [ضرب بطرس عبد رئيس الكهنة لكن الرب شفى الجراحات الدامية وأحل محلّها الأسرار الإلهية .

جُرح عبد رئيس هذا العالم وخادم قوات هذا الدهر . . . جُرح فى أذنه لأنه لم ينصت لصوت الحكمة ...

قطع بطرس الأذن ليعلم أن من ليس له الأذن الروحية لا يستحق أن تكون له حتى الأذن المادية . وقد أرجع الرب له الأذن مؤكداً ما قاله اشعياء أن الشفاء ممكن بالتوبة حتى للذين جرحوا الرب فى آلامه (إش ٦ : ١٠) ...

لماذا قطع بطرس الأذن ؟ لأنه أخذ مفاتيح ملكوت السموات ، هو يقطع وهو يحّل ! أخذ سلطان الربط والحل ، فيقطع أذن من يسمع ردياً بسيف روحى ، يقطع الأذن الداخلية عن الفهم الخاطىء ...

كثيرون يظنون أن لهم الآذان وهم بلا آذان . ففى الكنيسة يكون للجميع آذان ، أما خارجها فلا يكون لهم . . .[٣٥٤]] .

يكمل الإنجيلى حديثه عن القبض على السيد المسيح ، هكذا :

«فأجاب يسوع وقال لهم : كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى . كل يوم كنت معكم فى الهيكل أعلّم ولم تمسكونى ، ولكن لكى تكمل الكتب ، فتركه الجميع وهربوا . وتبعه شاب لابساً إزاراً على عريه فأمسكه الشبان ، فترك الإزار وهرب عريانا » ع ٤٨ ــ ٥٢ .

يرى القديس كيرلس الكبير أن فى قوله هذا يؤكد لهم أنه كان يسهل عليهم بالأولى أن يمسكوه فى الهيكل حين كان يعلم كل يوم ، لكنهم لم يفعلوا هذا إذ لم يكن بعد قد سمح لهم ، فإن كان يسلم نفسه لهم الآن إنما بارادته فى الوقت الذى إختاره مناسباً للصلب ، لهذا قال لهم : « ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة » لو ٥٣ [بمعنى أنكم قد منحتم وقتا قصيراً (ساعة) فيه يكون لكم سلطان علىّ . ولكن كيف أعطى لكم هذا السلطان ؟ وبأية وسيلة ؟ بارادة الآب المتفقة مع إرادتى . لقد أردت أن أخضع نفسى لآلامى من أجل خلاص العالم وحياته . لكم ساعة ضدى ، قليلة جداً ومحدودة هى ما بين أحداث الصليب الثمين والقيامة من بين الأموات . وهذا هو السلطان الذى أعطى للظلمة ، لكن « الظلمة » هو إسم الشيطان بكونه ليلاً دامساً وظلمة ، فيقول عنه الطوباوى بولس : « إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيىء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح » ٢ كو ٤ : ٤ . إذن أعطى للشيطان ولليهود السلطان أن يثوروا ضد المسيح ، لكنهم حفروا لأنفسهم حفرة الهلاك[٣٥٥]] .

أما الشاب الذى هرب عرياناً فهو القديس مرقس كاتب هذا الإنجيل جاء فى نص منسوب **للقديس جيروم** : [كما ترك يوسف ثوبه وهرب عرياناً من المرأة الزانية ، ليت من يريد الهروب من أيدى الأشرار ينزع من فكره كل شيء ويهرب وراء المسيح] .

١٠ ـــ محاكمته دينياً

إذ سلم السيد المسيح نفسه بين يدى هؤلاء الثائرين ضده ، إقتادوه الى بيت رئيس الكهنة قيافا ليُحكم عليه دينياً أنه مستوجب الموت .

كان قيافا رئيس كهنة ذلك العام ، ويروى عنه يوسيفوس أنه إشترى هذا المركز من الحاكم الرومانى ، إذ كان هذا المنصب حسب الشريعة يتمتع به الشخص مدى الحياة إلا أن الدولة الرومانية فى ذلك الوقت كانت تنصب رئيس الكهنة أو تعزله حسبما تشاء ، وقد تنبأ عن عمل السيد المسيح الخلاصى وهو لا يدرى ، إذ يقول الإنجيلى يوحنا : « فقال لهم واحد منهم وهو قيافا ، كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة : أنتم لستم تعرفون شيئاً ، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها . ولم يقل هذا من نفسه بل إذ كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة ، وليس عن الأمة فقط بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد » يو ١١ : ٤٩ ـــ ٥٢ . أما النبوة الثانية فلم تكن بالكلام بل بالتصرف إذ يقول الإنجيلى : « **فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال : ما حاجتنا بعد إلى شهود ؟** » ع ٦٣ . . . . فقد أعلن نهاية الكهنوت اللاوى أو الموسوى بتمزيق ثيابه كرئيس كهنة ! بينما لم يستطع حتى الجند الرومان أن يمزقوا ثوب المسيح فى لحظات الصلب ، مزق رئيس الكهنة اليهودى الأفود ما كان يجب حسب الناموس ألا تمزق . . . فحكم لا على نفسه فقط بل وعلى نهاية الكهنوت اللاوى ككل !

بتمزيق ثيابه أعلن قيافا اشمئزازه من كلمات السيد المسيح التى حسبها تجديفاً فحكم عليه الجميع أن مستوجب الموت ع ٦٤ ، غير أنه لم يكن لهم أو لرئيسهم قوة التنفيذ فأخذوا السيد إلى الحاكم الرومانى (يو ١٨ : ٢٨) ليأمر بصلبه . هذا وقد إشترك قيافا بعد قيامة السيد المسيح فى الحكم على القديسين بطرس ويوحنا (أع

٤ : ٦) ، وقد طرده الرومان من وظيفته عام ٣٦ م .

الآن نتتبع الأحداث خلال النص الإنجيلى :

« فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة ، وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل رئيس الكهنة وكان جالساً بين الخدام يستدفىء عند النار » ع ٥٣ ، ٥٤ .

كان يليق بدار رئيس الكهنة أن يكون كنيسة مقدسة تشهد للسيد المسيح أمام العالم ، تسحب كل نفس للاقتراب إلى كلمة الله بلهيب الروح القدس النارى لتشبع من سرّ الحياة ، لكنه خلال الحسد ومحبة العالم تحول داره إلى موضع للحكم على السيد المسيح بالموت . وعوض أن تقترب فيه النفوس إلى المسيّا المخلص بقى بطرس بعيداً عن مخلصه . وعوض نار الروح القدس أُشعلت نار الشهوة الشريرة يستدفىء بها عبيد هذا العالم وخدامه .

إن كنا فى مياه المعمودية قد صرنا جميعاً كهنة وملوكاً ، نحمل الكهنوت العلمانى أو العام الذى به يكون لنا ملء الدالة للوقوف أمام الآب فى إبنه ونقدم ذبائح الحمد والتسبيح فى قلوبنا كما على مذبح الرب الداخلى ، وقد تمتعنا بالروح القدس النارى بسر المسحة المقدسة « الميرون » ، ليتنا لا نسلم دارنا الداخلى لعدو الخير ، وعوض تجلى الرب فيه يُحكم عليه كما بالصلب ثانية ، وعوض النار السماوية المقدسة تشتعل نيران الخطية القاتلة (هو ٧ : ٤) ، فيصير بطرسنا الداخلى بعيداً عن الرب ، يجالس خدام هذا العالم ويستدفىء بنارهم الشريرة فينكر سيده مرة ومرات بقسم !

بحث رئيس الكهنة وكل المجمع عن شهود ضد يسوع ليحكموا عليه بالموت ، لكن شهادتهم لم تتفق معاً (ع ٥٥ ، ٥٦) ، وكأنهم بإمرأة فوطيفار التى إشتهت أن تسلم يوسف للموت بشهادة زور .

وُجه للسيد المسيح إتهامان هما :

الإتهام الأول : « نحن سمعناه يقول إنى أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادى وفى ثلاثة أيام أبنى آخر غير مصنوع بأيادٍ » ع ٥٨ . هذا الاتهام فى حقيقته يحمل شهادة زور فانه لم يقل « إنى أنقض هذا الهيكل » بل قال « أنقضوا » ، كما لم

يقل « هذا الهيكل المصنوع بالأيادى » بل « هذا الهيكل » إذ كان يتحدث عن هيكل جسده . لقد فهموا الكلمات بغير معناها الحقيقى ، لكن هذه الشهادة على أى الأحوال بالرغم من بطلانها أكدت حديثه عن موته وقيامته فى اليوم الثالث ، فصارت ركيزة حية للكرازة بعد قيامته .

الإتهام الثانى : حين أجاب السيد على رئيس الكهنة الذى سأله : « **أأنت المسيح ابن المبارك ؟** » ع ٦١ ، « **قال يسوع : أنا هو ، وسوف تبصرون إبن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً فى سحاب** » ، لم يحتمل رئيس الكهنة الإجابة فمزق ثيابه وقال : « **ما حاجتنا بعد إلى شهود ؟ ! قد سمعتم بالتجاديف** » ع ٦٣ ، ٦٤ .

كان الإتهام الأول معتمداً على شهادة زور ، أما الإتهام الثانى فاعتمد على جهل مطبق وعدم إدراك لكلمات السيد المسيح نفسه . تعثر المجمع بالشهادة الأولى الخاصة بهدم هيكل جسده وقيامته ، ولم يحتمل أن يسمع عن مجد إبن الله فى المساء ومجيئه الأخير ، وحسبوا هذا تجديفاً يستوجب الموت . لعلهم بالإتهام الأول حسبوه محطماً للناموس إذ يريد نقض الهيكل مقللاً من شأنه بقوله أنه مصنوع بالأيادى ، وبالإتهام الثانى حسبوه مجدفاً ...

يقول الإنجيلى : « **أما هو فكان ساكتاً ولم يجب بشىء** » ٦١ . ويقول **القديس أغسطينوس** إنه كان صامتاً أثناء محاكمته فى أكثر من موقف تارة أمام رئيس الكهنة وأخرى أمام بيلاطس وثالثة أمام هيرودس ، ففيه يتحقق القول : « لم يفتح فاه ، كشاه تُساق إلى الذبح » إش ٥٣ : ٧ ، كما يقول : شُبِّه بالحمل حتى يُحسب فى صمته باراً غير مذنب . لذلك إذ إجتاز المحاكمة لم يفتح فاه ، وقد فعل هذا كحمل ، بمعنى أنه لم يكن شخصاً ذى ضمير شرير إرتكب خطايا بل فى وداعته قُدِم ذبيحة عن خطايا الآخرين[٢٥٦]] .

لقد ثار رئيس الكهنة وغضب بسبب صمت السيد ، قائلاً : « **أما تجيب بشىء ؟ ماذا يشهد به هؤلاء عليك ؟** ع ٦٠ ، غير أن السيد لم يهدف بصمته أن يثير أحداً، إنما صمت لأنه يعرف أنهم لا ينتفعون بكلماته بل يطلبون فيها فرصة

يسكونها عليه، فصت لعلهم يراجعون أنفسهم فيما يفعلون .

فى صمته صمت من أجل الحب حتى يتراجعون فيما يرتكبون ، وحينا تحدث تكلم بكلمات قليلة معلناً حقيقة شخصه حتى لا يكون لهم عذراً فيما يصنعونه . . . بمعنى آخر إن صمت أو تكلم يفعل ذلك بدافع الحب لا المقاومة أو الانتقام .

سأله رئيس الكهنة: « أأنت المسيح إبن المبارك ؟ » بمعنى « أأنت ابن الله ؟ » فأجاب السيد ملقباً نفسه « إبن الإنسان » ، معلناً أنه إبن المبارك المتأنس ، مؤكداً أن تأنسه لا يفصله عن الآب ولا ينزعه عن عمله الإلهى كديان يأتى فى سحاب السماء، ويظهر جالساً عن يمين القوة أى عن يمين الآبّ .

أخيراً اذ حكم الجميع أنه مستوجب الموت بقى فى الدار حتى الصباح يحتمل الإهانات، إذ يقول الإنجيلى : « **فابتدأ قوم يصقون عليه ويغطون وجهه ويلكمونه ويقولون له تنبأ، وكان الخدام يلطمونه** » ع ٦٥ . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [إنى أفخر بهذه الأمور، ليس فقط أنه أقام آلاف الموتى، وإنما احتمل هذه الآلام[٣٥٧]] . ويقول **القديس كيرلس الكبير** : [هذا الذى هو نسمة كل الأرواح المقدسة فى السموات يُحتقر كواحدٍ منا، محتملاً اللطمات بصبر، خاضعاً لسخرية الأشرار، مقدماً نفسه لنا فى كمال طول الأناة، أو بالحرى معلناً وداعته الإلهية العظيمة التى لا تُقارن . . . لقد سخروا به كمن هو إنسان جاهل مع أنه واهب كل المعرفة، وناظر للخفيات فينا[٣٥٨]] .

١١ ـــ إنكار بطرس

يروى لنا الانجيلى مرقس كيف تحقق قول الرب لبطرس : « قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات » :

أ ـــ فى الدار أسفل أنكر بطرس أمام أحد جوارى رئيس الكهنة بينا كان يستدفىء .

ب ـــ إذ انكر للمرة الأولى خارج الدهليز، وصاح الديك، ثم أنكر للمرة الثانية أمام الحاضرين حين أكدت الجارية أنه منهم .

جـ - إذ قال له الحاضرون « حقاً أنت منهم لأنك جليلي أيضا ولغتك تشبه لغتهم » أنكر للمرة الثالثة حيث ابتدأ يلعن ويحلف إنى لا أعرف هذا الرجل الذى تقولون عنه، ثم صاح الديك للمرة الثانية فتذكر كلمات السيد المسيح وبكى .

ويلاحظ فى هذه الأحداث التالى :

أولا : يعلق القديس أمبروسيوس على الموضع الذى فيه أنكر بطرس والظروف المحيطة به، فيقول :

[تبعه بطرس من بعيد فأنكره ، ولما إتحد بالرب يسوع واقترب منه جداً لم ينكره . . .

كان فى دار رئيس الكهنة نار متقدة واقترب بطرس يستدفىء، فقد فترت حرارة الروح فى بطرس لأن الرب كان سجيناً ...

أين أنكر بطرس ؟ لم ينكره على الجبل ولا فى الهيكل ولا فى البيت وإنما فى دار اليهود، فى منزل رئيس الكهنة ، فى الموضع الذى لا يوجد فيه الحق حيث سجن يسوع ! ...

لنتأمل فى حال بطرس وهو يخطىء، فقد كان بارداً، ربما ليس بسبب الطقس، لكن لأن الجو (الروحى) كان بارداً فى هذا الموضع الذى لا يعترف بالرب يسوع ، الموضع الذى لا يرى فيه إنسان نوراً . . . كان البرد يمس الروح لا الجسد لذلك وقف بطرس يصطلى إذ كان قلبه يرتعش[٣٠٩]] .

ليت بطرسنا الداخلى لا يدخل بعد مثل هذا الدار، ليعيش بروح بارد غير ملتهب بالروح الإلهى، فيطلب ناراً من العالم للدفء . . . لئلا يجحد سيده، ويفقد قلبنا الملكوت الأبدى .

ثانياً : يقول الإنجيلى أن بطرس كان فى الدار أسفل حين أنكر فى المرة الأولى، ولم يستطع أن يعترف أمام جارية، بينما حينما ارتفع فيما بعد على السطح (أع ١٠ : ١١) إنفتحت عيناه لتنظر رؤيا إلهية وينطلق لا ليشهد أمام جارية بل يكرز بين الأمميين (كيرنليوس وأهل بيته) ؛ بمعنى آخر حين يكون بطرسنا فى الدار أسفل يطلب الزمنيات ويستدفىء بنار محبة العالم أو شهوة الجسد لكنه حين يكون

مرتفعاً كما على السطح يرى العلويات ويلتهب بنار الروح القدس .

ثالثاً : رأينا أن صياح الديك للمرة الثانية الذى ذكّر بطرس بكلمات سيده فبكى نادماً، يشير إلى عمل الروح القدس فى العهد الجديد « الذى يبكت العالم على خطية » يو ١٦ : ٨ ، والذى يذكرنا بكل ما قاله لنا السيد (يو ١٤ : ٢٦) .

غير أن معلمنا لوقا البشير يقدم لنا سبباً آخر لتوبة بطرس، إذ يقول : « وفى الحال بينما هو يتكلم صاح الديك، فالتفت الرب ونظر إلى بطرس، فتذكر بطرس كلام الرب » لو ٢٢ : ٦٠ ، ٦١ ، فإن كان صياح الديك يشير إلى عمل الروح القدس لتبكيت القلب وتذكيره بكلمات الرب ، فان إلتفات السيد المسيح ونظره إلى بطرس يدفع إلى التوبة المملوءة رجاء ! فى هذا يقول **القديس أمبروسيوس** : [حسنة هى الدموع التى تغسل الخطية ! من يلتفت إليهم الرب وينظر يبكون، فان بطرس أنكر أولاً ولم يبك لأن الرب لم يلتفت ولا نظر إليه . أنكر للمرة الثانية ومع هذا لم يبك

. . . وفى المرة الثالثة أنكر أيضاً وإذ إلتفت إليه يسوع ونظره عندئذ بكى بمرارة . . . لا نستطيع القول بأنه (مجرد) إلتفت إليه بعينيه الجسديتين ونظر إليه فى عتاب منظور واضح ، إنما تحقق هذا داخلياً فى الذهن والإرادة . . . ، تلامس معه الرب برحمته فى صمت وسرية ، فذكّره بنعمته الداخلية، مفتقداً بطرس وحاثاً إياه، مقدماً له دموعاً ظاهرة تعبر عن مشاعر الإنسان الداخلى . أنظر بأية طريقة الله حاضر بمعونته ليسندنا فى الإرادة والعمل، يعمل فينا أن نريد وأن نعمل[٣٦٠]] .

كما يقول فى موضع آخر : [أنظر إلينا يا ربنا يسوع لنعرف البكاء على خطايانا[٣٦١]] .

+ + +

الاصحاح الخامس عشر

أحداث الصليب

إذ تمت محاكمة السيد المسيح دينياً فى دار رئيس الكهنة أقتيد إلى بيلاطس الوالى الذى من حقه تنفيذ الحكم ، وتحت إصرار الجماهير حكم عليه بالموت صلباً .

١ ـ محاكمته مدنياً	١ ـ ١٥.
٢ ـ الإستهزاء به	١٦ ـ ٢٠.
٣ ـ فى الطريق إلى الصليب	٢١ ـ ٢٢.
٤ ـ تقديم خمر ممزوجة مراً	٢٣.
٥ ـ إقتسام ثيابه	٢٤.
٦ ـ صلبه بين لصين	٢٥ ـ ٢٨.
٧ ـ السخرية منه	٢٩ ـ ٣٢.
٨ ـ حدوث ظلمة	٣٣.
٩ ـ تسليم الروح	٣٤ ـ ٣٧
١٠ ـ إنشقاق حجاب الهيكل	٣٨.
١١ ـ إيمان قائد المئة	٣٩.
١٢ ـ إلتفاف النسوة حوله	٤٠ ـ ٤١.
٣ ـ دفنه	٤٢ ـ ٤٧.

+ + +

١ ــ محاكمته مدنياً

إذ قضى السيد المسيح الليل كله فى دار رئيس الكهنة يحتمل الإهانات وسط ظلمة أفكارهم الشريرة إستقر الرأى أن يسلم فى يدىّ الحاكم الرومانى لقتله . يقول الإنجيل : « **وللوقت فى الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله فأوثقوا يسوع، ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس** » ع ١ .

يا للعجب ! قبضوا عليه وتضامروا ضده لأنه لم يحقق لهم شهوة قلبهم : الخلاص من المستعمر الرومانى والسيادة الصهيونية فى العالم ، ولكى يقتلوه سلموه للحاكم الرومانى بكونه مثير فتنة، يقيم نفسه ملكاً، ويحرض الشعب على عدم دفع الجزية لقيصر (لو٢٣ : ١، ٢) .

سلموه للحاكم الرومانى ليقتله ، فسلمهم الله لتيطس الرومانى يحرق مدينتهم ويهدم الهيكل الذى ثاروا لأجله قائلين أنه سيهدمه . . . فتحقق فيهم قول المرتل داود : « إعطهم حسب فعلهم وحسب شر أعمالهم ، حسب صنع أيديهم إعطهم، ردّ عليهم معاملتهم » مز ٢٨ : ٤

إذ جاءوا به إلى بيلاطس يوجهون له أخطر إتهام فى ذلك الحين ، إنه يقيم نفسه ملكاً ، الأمر الذى لا يمكن للحاكم أن يتهاون فيه وإلا حُسب خائناً لقيصر . لذلك « **سأله بيلاطس : أنت ملك اليهود ؟** » (ع ٢) . « **فأجاب وقال له : أنت تقول** » ع ٢ . هكذا لم ينكر السيد المسيح مركزه كملك ، لكنه بحسب إنجيل يوحنا ــ أوضح لبيلاطس انه ملك روحى ، مملكته ليست منْ هذا العالم .

كان بيلاطس يتوقع أن يسمع حديثاً طويلاً من السيد المسيح فيه يدافع عن نفسه بشأن هذا الاتهام الذى عقوبته الموت ، خاصة أنه يسمع عنه كمعلم للجماهير فى الهيكل وعلى الجبال وعلى الشواطىء، لا تنقصه البلاغة والقدرة عن الدفاع عن نفسه، لكن السيد المسيح إلتزم بالصمت ، حتى سأله بيلاطس : « **أما تجيب بشيء ؟ أنظر كم يشهدون عليك ؟** » ، **فلم يجب يسوع أيضاً بشيء حتى تعجب بيلاطس** (ع ٥) .

يقول القديس أمبروسيوس : [.إنه مثل رائع يدعو قلوب البشر أن تحتمل الإهانة بروح ثابته . أتهم الرب وصمت ! وكان فى صمته محقاً لأنه لم يكن فى حاجة أن يدافع عن نفســه . الدفاع عن النفس هو عمل الذين يخشون الهزيمة . إنه لا يؤكد الإتهام إنما يستخف به بعدم تنفيذه . ترى ماذا يخشى إن كان لا يريد أن يخلص نفسه بل يود خلاص الجميع مضحياً بحياته ليقتنى خلاصهم . لقد صمتت سوسنة وانتصرت (دا ١٣ : ٣٥) ! إن أفضل القضايا هى التى تتبرر فيها دون دفاع ![٣٦٢]] . يقول العلامة أوريجانوس : [كان مقتنعاً بأن حياته كلها وأعماله بين اليهود أفضل من أى كلام لدحض شهادة زور ، وأسمى من أى كلام يقوله للرد على الإتهامات[٣٦٣]] .

كان صمت السيد المسيح يحمل قوة اجتذبت قلب بيلاطس فاشتاق أن يطلقه مقدماً لليهود فرصاً كثيرة للتراجع ، وإن كان من أجل الخوف خضع لمطلبهم . من بين هذه الفرص التى قدمها لهم الآتى :

الفرصة الأولى : كان عادة يطلق لهم فى كل عيد أسيراً واحداً من طلبوه (ع ٦) ، فسألهم : « **أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود ؟ لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً** » ع ٩ ، ١٠ . لكن رؤساء الكهنة هيجوا الجمع لكى يطلق لهم باراباس الموثق مع رفقائه فى الفتنة ولا يطلق يسوع . هكذا كان الكأس يمتلىء أكثر فأكثر إذ يشتاق الرومانى أن يطلقه أما هم فكانوا يصرون على قتله ! يرى **العلامة أوريجانوس**[٣٦٤] فى إطلاق باراباس اللص وذبح السيد المسيح تحقيقاً لما جاء فى سفر اللاويين عن يوم الكفارة العظيم (لا ١٦) ؛ حيث يُطلق تيس فى البرية يسمى باسم عزازيل ويذبح الآخر ويحسب من نصيب الرب . وفى نص منسوب **للقديس جيروم** يكرر فكرة العلامة اوريجانوس فيقول بأنه يوجد أمام بيلاطس تيسان ، واحد يُطلق فى برية الجحيم ترافقه خطايا الناس ، والثانى يُذبح كحمل من أجل غفران الخطايا . باراباس من نصيب عزازيل ، والمسيح هو الحمل الذى من نصيب الله .

الفرصة الثانية : عاد يسألهم من جديد لعلهم يراجعون أنفسهم ، قائلاً لهم : « **فماذا تريدون أن أفعل بالذى تدعونه ملك اليهود ؟ فصرخوا أيضاً : أصلبه** .

فقال لهم بيلاطس : وأى شر عمل ؟ فازدادوا جداً صراخاً : أصلبه » ع ١٢ ــ ١٤ . يحدثهم بيلاطس النبطى بلغتهم فيدعو السيد المسيح « ملك اليهود » ، وكان يليق بهم ألا يرفضوا هذا الملك السماوى لكنهم أصروا على رفضه طالبين صلبه ، حتى بسقطتهم هذه ينفتح الباب للأمم كقول الرسول بولس : « بزلتهم صار الخلاص لأمم لإغارتهم ، فإن كانت زلتهم غنى للعالم ونقصانهم غنى للأمم فكم بالحرى ملؤهم ؟ ! » رو ١١ : ١١ ، ١٢ .

كانوا عن حسد وجهالة يصرخون « أصلبه » ، ولم يدركوا أنهم يحققون بغير إرادتهم النبوات والرموز التى بين أيديهم . لم يدركوا أن بين أيديهم هابيل الذى وجده أخوه فى الحقل فقتله بلا ذنب ، دمه يصرخ لا للانتقام إنما لتطهير العالم . بين أيديهم إسحق الحامل خشب المحرقة ليقدمه أبوه ذبيحة محرقة . إنه موسى الحامل عصاه لا ليعبر بهم البحر الأحمر منطلقا بهم نحو أورشليم ، وإنما يعبر بهم الموت ليهبهم حياة جديدة فيه ويدخل بهم إلى حضن الآب .
إنه عنقود العنب الذى حمله يشوع على خشبة لا كعربون لأرض الميراث وإنما حياة أبدية لمن يتناول منه ويثبت فيه . إنه اليشع النبى الذى لم لقى بخشبه فى المياه ليطفو الفأس الحديدى ويأتى به من العمق إنما ليرفع البشرية المثقلة بالخطايا ويطلقها من أعماق الجحيم ، يسحبها بالصليب شجرة الحياة ليردها إلى الفردوس السماوى .

إشتهى اليهود صلب السيد المسيح للخلاص منه بالصليب ، بينما كان الأنبياء يشتهون أن يجلسوا تحت ظل المصلوب ، قائلين على لسان العروس : « تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقى » نش ٢ : ٣ . هذا الصليب الذى سحب قلوب المؤمنين ليترنموا مع الرسول قائلين : « وأما من جهتى فحاشا لى أن افتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صُلب العالم لى وأنا للعالم » غلا ٦ : ١٤ .

على أى الأحوال إشترك معهم بيلاطس وإن كان ليس عن إقتناع إنما لإرضائهم : **« فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعدما جلده ليُصلب » ع ١٥** . أسلمه للجلد والإهانة لنسمع السيد يقول على لسان نبيه إشعياء : « بذلت ظهرى للضاربين وخدىّ للناتفين ، وجهى لم أستر عن العار والبصق » إش ٥ : ٦ . وكما يقول **القديس أمبروسيوس** : [جُلد هو لكى

لا نُجلد نحن] .

٢ — الإستهزاء به

« فمضى به العسكر إلى داخل الدار التى هى دار الولاية وجمعوا كل الكتيبــة ،
وألبسوه أرجواناً وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه عليه .
وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه ثم يسجدون له جاثين على ركبهم ،
وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه » ع ١٦ — ٢٠ .

ما حدث معه خلال طريق الصليب لم يكن بلا معنى ، فقد أعد الطريق لنفسه منذ الأزل فى فكره لخلاصنا . من أجلنا إحتمل الصليب بسرور مستهيناً بالخزى (عب ١٢ : ٢) .

يرى بعض المفسرين أن خلع ثيابه إلى حين ليلبس الثوب الأرجوانى يشير إلى خلع اليهود الذين كانوا ملاصقين له حسب الجسد ، أنكروه فخلعوا أنفسهم بأنفسهم عنه ، حتى إن تابوا ورجعوا بالإيمان إليه بعيداً عن الفكر المادى (الصهيونى) أى صاروا مسيحيين فى أواخر الدهر يلتصقون به ، كقول الرسول : « ان القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم » رو ١١ : ٢٥ .

يحدثنا **القديس أمبروسيوس** عن الثوب الأرجوانى ، قائلاً : [أما الثوب الأرجوانى الذى ألبسه له الجند ، الرداء الأحمر ، فيشير إلى نصرة الشهداء وإلى السلطان الملوكى . لأنه كان ينبغى لجسده أن يجمع لأجلنا الدم المسفوك ويهبنا بآلامه مُلكه فينا[٣٦٥]] .

يعلق القديس **مار يعقوب السروجى** على هذه الأحداث قائلاً :

[عرّاه الصالبون عن لباسه كالجزارين ، أما هو فسكت يشبه النعجة قدام الجزازين .

ترك لباسه حين فرح ، حتى يلبس الذين خرجوا من الفردوس عرايا !

يلبسهم ثيابه ويبقى هو فى هزء ، لأنه عرف أنها تصلح لآدم المفضوح !

عروا ثيابه وألبسوه ثوباً قرمزياً لون الدم، حتى يتزين به العريس المقتول !

ضفروا إكليل الشوك ووضعوه له، وهذا يليق به، إذ جاء ليقتلع الأشواك من الأرض !

حمل لعنة الأرض بالإكليل الذى وضعوه على رأسه ، وحمل ثقل العالم كله كالجبار !

الخطايا والذنوب والأوجاع والآلام والضربات ضفرت بالإكليل ووُضعت على رأسه ليحملها !

واتحلت بالأشواك لعنة آدم !

صار لعنة حتى يتبارك به الوارثون الراجعون !

بإكليله خلع زرع الحية الملعون ! ...

بإكليل الشوك هدم تاج الشيطان الذى أراد أن يكون إلهاً على الخليقة !

بإكليل شوكه ضفر إكليلاً لإبنة الأمم ، العروس التى خطبها من بين الأصنام وكتبها باسمه ! ...

لطموا بالقصبة الرأس المرتفع فارتعبت الملائكة ! ...

أنظر إلى المسيح ، كيف إحتمل من الأئمة ؟ !

ذاك الجاهل كيف تجاسر وتفل فى وجهه ؟ !

نظرة مخوفة ، مملؤة دهشة ، أن ينظر الإنسان الشمع قائماً ويتفلّ لى وجه اللهيب ! ...

وهذه أيضاً من أجل آدم حدثت ، لأنه كان مستحقاً البصاق لأنه زلّ ! وعوض العبد قام السيد يقبل الجميع ! (٢٦٦)] .

٣ ـــ فى الطريق إلى الصليب

يروى لنا الإنجيليون عن تسخير رجل كان مجتازاً من الحقل وهو سمعان القيروانى أبو الكسندروس وروفس ليحمل صليبه ، وجاءوا به إلى موضع جلجثة الذى تفسيره جمجمة (ع ٢١ : ٢٢) .

إن كانت كلمة « سمعان » تعنى « يسمع » أو « يطيع » ، وكلمة « قيروان » تعنى « ميراثاً » ، وهى مدينة أممية فى ليبيا ، فان سمعان القيراونى يشير الى كنيسة العهد الجديد التى صارت وارثة خلال طاعة الإيمان وقد جاءت من الأمم لكى تشارك مسيحها صليبه وتنعم معه بهذا الشرف العظيم .

لقد حمل السيد المسيح صليبه (يو ١٩ : ١٧) على كتفه علامة ملكه كقول إشعياء النبى : « وتكون الرئاسة على كتفه » إش ٩ : ٦ ، وقد رُمز له باسحق الذى حمل خشب المحرقة إلى موضع الذبيحة (تك ٢٢ : ٦) . . . وفى الطريق إذ سقط السيد تحت ثقل الخشبة عدة مرات سخر الجند سمعانَ القيروانى ليحمل الصليب ، فصار يمثل الكنيسة التى تشارك عريسها آلامه لتنعم بقوة قيامته وشركة أمجاده السماوية .

جاءوا به إلى موضع جلجثة ، الذى تفسيره « جمجمة » (ع ٢٢) ، ويُقال أن هناكَ دفن آدم . . . وكأن السيد المسيح قد إرتفع على الشجرة ليهب حياة لآدم فاقد الحياة بسبب الشجرة . ويرى **القديس كيرلس الأورشليمى** أن هذه التسمية تذكرنا أن المصلوب هو « رأس كل رياسة وسلطان » كو ٢ : ١٠ ، تألم الرأس فوق موضع الجمجمة ! [٣٦٧] .

٤ ـــ تقديم خمر ممزوجة مراً

« **وأعطوه خمراً ممزوجة بمرّ ليشرب فلم يقبل** » ع **٢٣** . كانت هذه عادة الرومان كنوع من التخدير حتى لا يشعر المصلوب بكل ثقل الآلام ، لكن الرب جاء ليحمل الآلام عنا بارادته ، ينحنى نيابة عنا لهذا الثقل .

٥ ــ إقتسام ثيابه

« **ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ماذا يأخذ كل واحد** » ع ٢٤ . إن كانت ثيابه تشير إلى الكنيسة جسد المسيح ، فان إقتسامها بين الجند الرومان دون تمزيقها إنما يشير إلى الكنيسة الممتدة فى الأمم ، فهى ثياب كثيرة لكن يلزم أن تكون بلا تمزيق ولا إنقسام . يقول **القديس كيرلس الكبير** : [أرجاء المسكونة الأربع اقتسمت بينها رداء الكلمة أى جسده الذى ظل أيضاً غير مقسّم ، ورُمز إليه بالقميص . لأن الإبن الوحيد يقسم جسده الذى يقدّس به نفوس وأجساد الذين يتناولونه إلى أجزاء صغيرة حسب الإحتياج . . . إلا أن جسده واحد حتّ فى الكنيسة كلها دون أن ينقسم ، لأن بولس يقول أن المسيح لا يمكن أن ينقسم (١ كو ١ : ١٣) وهذا هو معنى السرّ الخاص بالمسيح[٣٦٨]] .

يرى بعض الآباء فى تقسيم الثياب بين الجند إشارة إلى تمتع كل الفئات بالإيمان الواحد ، وهم الكهنة ، البتوليون ، الأرامل ، المتزوجون .

٦ ــ صلبه بين لصين

« **وكانت الساعة الثالثة فصلبوه ، وكان عنوان علته مكتوباً : ملك اليهود . وصلبوا معه لصين ، واحداً عن يمينه وآخر عن يساره ، فتم الكتاب القائل : وأحصى مع أثمة** » ع ٢٥ ــ ٢٨ .

حسب القديس مرقس أن الصلب بدأ منذ صرخ الشعب أمام بيلاطس « أصلبه » ، وقد وافقهم بيلاطس على طلبهم . . . وإن كان رفعه على الصليب قد تم فى وقت الساعة السادسة . لهذا يرى **القديسان جيروم وأغسطينوس**[٣٦٩] أن القديس مرقس بقوله هذا حمّل الشعب اليهودى مسئولية صلبه ، صلبوه بألسنتهم قبل أن ينفذ الرومان حكمهم هذا !

كتبت علته على الصليب « ملك اليهود » ، ولم يكن ذلك جزافاً فقد تضايق اليهود وأرادوا أن يكتب أنه قال عن نفسه أن ملك اليهود . . . لكنهم لم يستطيعوا بالصليب أن ينزعوا عنه إنتسابه للملك ، إذ جاء الصليب يقيم مملكته فينا ! يقول **القديس أمبروسيوس** : [كان المسيح يسوع المصلوب وكان مجده الملوكى يشع من فوق الصليب[٣٧٠]] .

يحدثنا القديس **كيرلس الأورشليمي** عن صلبه بين لصين ، قائلاً : [فيما يتعلق باللصين اللذين صُلبا معه ، كتب : « وأُحصى مع أثمة » إش ٥٣ . كان كلاهما أثيمين قبلاً ، ولكن أحدهما لم يعد كذلك . الذى ظل أثيماً رفض الخلاص إلى النهاية ، وإذ كانت يداه موثقتين كان يضرب بلسانه مجدفاً . . . ولكن الآخر كان ينتهره . كان هذا نهاية حياته وبداية توبته ، فأسلم روحه وتلقى الخلاص ، إذ أنه بعد أن وبخ رفيقه قال : « أذكرنى يارب ، فانى إليك أصرخ . أترك هذا لأن عينى فهمى مغلقتان ، ولكن أذكرنى . لا أقول أذكر أعمالى فانها تخيفنى . كل إنسان طيب نحو رفيق سفره ، وأنا لا أقول أذكرنى الآن وإنما عندما تأتى فى ملكوتك » . أية قوة أنارتك أيها اللص ؟ من علمّك أن تعبد هذا المحتقر والمصلوب معك ؟ أيها النور الأزلى الذى يضىء لمن هم فى الظلمة[٣٧١]] .

يقول **القديس كيرلس الكبير** : [عُلق معه لصان كما قلت ، يسخران بالآلام التى تجلب خلاصاً للعالم كله ، لكن واحداً منهما شابه فى سلوكه اليهود الأشرار . . . وأما الآخر فأخذ إتجاها مختلفاً يستحق بحق إعجابنا ، إذ آمن به وفى وسط معاناته المرة للعقوبة إنتهز الصخب العنيف الذى لليهود وكلمات زميله المعلق معه . لقد إعترف بخطاياه وأنه بعدل جُزى ، صار دياناً لطرقه الشريرة لكى يغفر الله جريمته ، إذ قيل « قلت أعترف للرب بذنبى وأنت رفعت أثام خطيتى » مز ٣٢ : ٥ . لقد حمل للمسيح شهادة غير ملومة ، وبكت نقص اليهود محبة الله ، وأدان حكم بيلاطس ، قائلاً : « وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس فى محله » لو ٢٣ : ٤١ . يا له من إعتراف جميل ؟ . . . لقد ربح ميراث القديسين وصار إسمه مكتوباً فوق فى السماء ، فى سفر الحياة ذاك الذى حُكم عليه بالموت، وأُحصى مع سكان المدينة العلوية[٣٧٢]] .

يرى البعض أن اللصين يشيران إلى الشعبين اليهودى والأممى ، أحدهما حُكم عليه بالموت خلال الناموس الموسوى والثانى خلال الناموس الطبيعى ، وقد صلب السيد المسيح بينهما ليضمهما معاً فيه كحجر زاوية للكنيسة الجامعة ، مقدماً دمه ثمناً للوحدة فيه !

٧ ـــ السخرية منه

« وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين : آه يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام ، خلص نفسك وإنزل عن الصليب . وكذلك رؤساء الكهنة وهم مستهزئون فيما بينهم مع الكتبة قالوا : خلص آخرين أما نفسه فما يقدر أن يخلصها ، لينزل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب لنرى ونؤمن . واللذان صُلبا معه كانا يعيرانه » ع ٢٩ ـــ ٣٢ .

إتفقت كل القوى على السخرية بالصليب ، فكان المجتازون يجدفون ويهزون رؤوسهم وأيضا رؤساء الكهنة والكتبة حتى اللصان كانا يعيرانه . . . إذ لم يكن ممكناً لهم أن يدركوا سرّ الخلاص ولا أن يتفهموا عمل الله . حسبوا الصليب نهايته فصار فى أعينهم مضللاً ومخادعاً لا يقدر على خلاص نفسه فكيف يقيم نفسه ملكاً ؟ !

لعل عدو الخير قد بدأ يدرك الخطر يحدق به حين ارتفع السيد على الصليب ، وشعر السماء والأرض كلها تترقب الأحداث ، فأسرع يحث تابعيه أن يطلبوا آية منظورة ألا وهى أن ينزل عن الصليب فيؤمنوا به . . . لكن السيد الذى رفض فى أكثر من موقف أن يصنع آية إستعراضية لم يعطِ إهتماماً لسخريتهم التى تصير شاهداً عليهم ، ويحكم عليهم خلال تصرفاتهم ذاتها ، من نواح كثيرة ، منها :

أولا : كان المجتازون يجدفون قائلين : « يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام » ، فانتشرت هذه العبارة سريعاً خلال الأحداث ، حتى متى تمت القيامة لا يستطيع أحد أن ينكر قوله أنه يقيم هيكل جسده فى ثلاثة أيام ! هكذا نشر المجدفون الشهادة لقيامته فى أمرّ لحظات الصليب .

ثانياً : اعترف رؤساء الكهنة مع الكتبة أنه « خلص آخرين » ، وهذه شهادة القيادات اليهودية الدينية فى لحظات الضعف عينها .

ثالثاً : قال هؤلاء المسؤلين : « لينزل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب لنرى ونؤمن » . فى تعليق منسوب **للقديس جيروم** : [لقد رأوه قائماً من القبر ومع ذلك لم يريدوا أن يؤمنوا أنه كان قادراً أن ينزل من خشبة الصليب . أين هو إفتقاركم

للإيمان أيها اليهود ؟ فانني أستدعيكم أنتم أنفسكم قضاة لأنفسكم ! كم بالأكثر يكون مستحقاً للدهشة أن يقوم ميت من بين الأموات عن أن يختار الحيّ أن ينزل من الصليب ؟ ! لقد طلبتم أمراً صغيراً فحدث ما هو أعظم ، لكن إفتقاركم للإيمان لم يكن ممكناً أن يُشفى بالآيات أكثر مما رأيتم[٣٧٣]] .

٨ ـ حدوث ظلمة

« ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة » ع ٣٣ .

إذ ارتفع الخالق على الصليب بيدى خليقته التى أرادت الخلاص منه بجحودها حرمت نفسها من شمس البر فسادت الظلمة داخل القلوب ، أعلنها إحتجاب الشمس من وقت الساعة السادسة حتى التاسعة .

يذكر سفر التكوين أن آدم وحواء بعد السقوط « سمعا صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة » تك ٣ : ٨ ، أى عند الظهيرة ، ويرى بعض المفسرين أنه سمع الحكم بالموت فى وقت الساعة التاسعة . وكأنه فى اللحظات التى إختفى فيها أبونا من وجه الرب وأدركا أنهما تحت حكم الموت ، سادت الظلمة على الأرض ليحمل آدم الجديد ذات الحكم وهو معلق على الشجرة ! لهذا فان الظلمة هنا تشير إلى السلطان الذى أُعطى للظلمة على السيد المسيح إلى حين ، كقوله : « هذه ساعتكم وسلطان الظلمة » لو ٢٢ : ٥٣ .

فى حديث **العلامة ترتليان** لليهود قال : [حدثت ظلمة فى وسط النهار ، وهكذا تحولت أعيادكم إلى نوح وجميع أغانيكم مراثى (عا ٨ : ١٠) . فإنه بعد آلام المسيح أُخذتم كما إلى السبى والتشتت كما سبق فأنبأ الروح القدس[٣٧٤]] .

يقول **القديس كيرلس الكبير** : [جعلوا عملهم تسليم رئيس الحياة للموت ، فصلبوا رب المجد . لكنهم إذ سمروا رب الكل على الصليب إنسحبت الشمس من فوق رؤوسهم والتحف النور فى وسط النهار بالظلمة كما سبق فأنبأ عاموس بالوحى الإلهى (عا ٥ : ١٨) . . . وكانت هذه علامة واضحة لليهود أن أذهان صالبيه قد

التحقت بالظلمة الروحية لأن « العمى قد حصل جزئياً لإسرائيل » (رو ١١ : ٢٥) . وقد لعنهم داود فى محبته لله ، قائلاً : « لتظلم عيونهم عن البصر » مز ٦٩ : ٢٣ . نعم ، إنتحبت الخليقة ذاتها ربها ، إذ إظلمت الشمس ، وتشققت الصخور ، وبدأ الهيكل نفسه كمن إكتسى بالحزن إذ إنشق الحجاب من أعلى إلى أسفل . وهذا ما عناه الله على لسان إشعياء : « ألبس السموات ظلاماً وأجعل المسح غطاءها » إش ٥٠ : ٣[٣٧٥] .

٩ ــ تسليم الروح

« وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : ألوى ألوى لما شبقتنى ، الذى تفسيره : إلهى إلهى لماذا تركتنى . فقال قوم من الحاضرين لما سمعوا : هوذا ينادى إيليا . فركض واحد وملأ إسفنجة خلاً وجعلها على قصبة وسقاه ، قائلاً : اتركوا ، لنرَ هل يأتى إيليا لينزله . فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح » ع ٣٤ ــ ٣٧ .

بحسب الجسد كان السيد المسيح قد أُنهك تماماً ، ولم يكن ممكناً فى ذلك الوقت أن يصرخ هكذا ، لكنه صرخ ليعلن أنه ما يتم الآن بين أيديهم ليس عن ضعف بل تحقيقاً لعمله الإلهى الذى سبق فأعلنه بأنبيائه .

جاءت الكلمات « إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ » لا تحمل لهجة اليأس كما قد يظن البعض فإن الإبن لن ينفصل قط عن الآب إنما أراد أن يبرز بشاعة الخطية التى حملها على كتفيه نيابة عنا ، فجعلته كمن يسقط تحت الغضب وهو الإبن المحبوب لديه .

بهذه الصرخة أيضا يذكرهم بالمزمور الثانى والعشرين بكونها إفتتاحيته وقد جاء المزمور يصف أحداث الصلب . إنه بهذه الصرخة يقدم إنذاراً أخيراً لليهود كى يعيدوا النظر فيما يفعلون قبيل تسليم روحه ، لعلهم يدركوا أنه المسيا محقق النبوات فيرجعون .

أما ظنهم أنه يطلب إيليا ، فقد ارتبط شخص إيليا النبى بالمسيح كسابق له يهيىء له الطريق ، ولأن اليهود كانوا يرون فى إيليا المعين فى السماء يشفع فى المتضايقين

والمظلومين ، فهو يطلب شفاعته !

١٠ ــ إنشقاق حجاب الهيكل

« وانشق حجاب الهيكل إلى إثنين من فوق إلى أسفل » ع ٣٨

لماذا إنشق حجاب الهيكل عندما أسلم السيد المسيح الروح ؟

أولاً : سبق فأعلن السيد المسيح أنه يسلم الروح بسلطان ويتقبلها ثانية بسلطان وليس عن ضعف ، إذ قال : « ليس أحد يأخذها منى بل أضعها أنا من ذاتى ، لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضاً » يو ١٠ : ١٨ . وقد جاءت أحداث الصلب تعلن ذلك ، إذ يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [هذه الصرخة شقت الحجاب وفتحت القبور وجعلت البيت خراباً . فعل ذلك ليس إهانة للهيكل وإنما إعلاناً عن أنهم غير مستحقين لسكناه ، كما سبق فسلمه قبلاً للبابليين[٣٧٦]] . فصرخته أعلن سلطانه فشق حجاب الهيكل مؤكداً حزن الهيكل على ما يفعله العابدون فيه ، معلناً رفضه لعبادتهم بعد أن لطخوا أيديهم بالدم البرىء فى قساوة وتجاسر وحسد !

ثانياً : يقدم لنا الرسول بولس مفهوماً لاهوتياً لإنشقاق الحجاب فى رسالته إلى العبرانيين ألا وهو إنفتاح المقادس السماوية أمامنا بذبيحة الصليب . فالحجاب الذى يفصل قدس الأقداس عن القدس يشير إلى عجز الإنسان عن تمتعه بالأقداس الإلهية السماوية ، وقد جاء السيد المسيح يفتح طريق السماء بدمه ويدخل بنا إلى حضن أبيه لنعم بمقدساته ، فمن كلماته : « الذى هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ماداخل الحجاب ، حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكى صادق رئيس كهنة إلى الأبد » عب ٦ : ١٩ ، ٢٠ . مرة أخرى يقول : « ليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً » عب ٩ : ١٢ (راجع عب ٩ ، ١٠) .

فى نص منسوب **للقديس جيروم** جاء[انشق حجاب الهيكل وانفتحت السموات] .

يقول القديس **أمبروسيوس** : [إنشق حجاب الهيكل حتى تعبر نفوسنا وأرواحنا إلى الله وتراه وجهاً لوجه ، وتعاين الأسرار الخفية(٣٧٧)] .

ثالثاً : لعل إنشقاق حجاب الهيكل يعنى انفتاح الباب للأمم ، الذين لم يكن ممكناً لهم أن يشتركوا مع اليهود فى العبادة داخل الهيكل . هذا ما أعلنه الرسول بولس بقوله : « لأنه هو سلامنا الذى جعل الإثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط ، أى العداوة ، مبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الإثنين فى نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً ، ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به » أف ٢ : ١٤ — ١٦ .

١١ — إيمان قائد المئة

« ولما رأى قائد المئة الواقف أمامه أنه صرخ هكذا وأسلم الروح ، قال : حقاً كان هذا الانسان إبن الله » ع ٣٩ .

يا للعجب آمن قائد المئة الرومانى بالسيد المسيح المصلوب حين رآه يصرخ ويسلم الروح ، وكأنه قد أدرك خلال صرخته وتسليم روحه أنه لم يمت عن ضعف وإنما فى قوة وسلطان . يقول القديس **أغسطينوس** : [أظهرت نفس الشفيع أنه لم يكن لعقوبة الخطية سلطان عليها بموت الجسد ، إذ لم تترك الجسد بغير إرادتها إنما بإرادتها ، فقد إتحدت النفس مع كلمة الله أقنومياً(٣٧٨)] .

وجاء فى نص منسوب **للقديس جيروم** : [آخرون صاروا أولين . الشعب الأممى إعترف ، والشعب اليهودى الأعمى أنكر فصار شرهم الأخير أقسى من الأول(٣٧٩)] .

١٢ — إلتفاف النسوة حوله

« وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسى ، وسالومة ، اللواتى أيضاً تبعنه وخدمنه حين كان فى الجليل ، وأخر كثيرات اللواتى صعدن معه إلى أورشليم » ع ٤٠ — ٤١ .

يقول **العلامة أوريجانوس** أنه يبدو ظهور ثلاث نساء ذكرن بالإسم هن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب والثالثة التى دعاها متى « أم إبنى زبدى » دعاها مرقس

«سالومة» . . . على أى الأحوال بينما هرب التلاميذ من متابعة المصلوب ولو من بعيد ، كانت النسوة يتبعنه ، وصار لبعضهن شرف التمتع بالمسيح القائم من الأموات قبل التلاميذ . بهذا ردّ الانجيل للمرأة كرامتها وأعلن قدسيتها بعد نظرة مرة عاشها العالم لأجيال طويلة من جهتها .

١٣ ـــ دفنه

تجاسر يوسف الذى من الرامة وهو مشير شريف ودخل إلى بيلاطس يطلب جسد الرب يسوع ، فتعجب بيلاطس أنه مات هكذا سريعاً ، وإذ تأكد من قائد المئة أنه مات وهب ليوسف الجسد ، فاشترى كتاناً وأنزله وكفنه بالكتان ووضعه فى قبر كان منحوتاً فى صخرة ودحرج حجراً على باب القبر . وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسى تنظران أين وُضع (ع ٤٣ ـــ ٤٧) .

كان لا بد من إنزال الجسد قبل الغروب ، لأنه كان يوم الصلب هو « الإستعداد » ، إذ اعتاد اليهود أن يلقبوا يوم الجمعة بالاستعداد ، إذ فيه يستعدون ليوم السبت للراحة . فى هذا اليوم صلب السيد ، فى اليوم السادس . . . فكما أعد الله كل الخليقة فى ستة أيام ليستريح فى السابع ، هكذا ارتفع على الصليب مجدداً خليقته فى ذات اليوم السادس ليدخل بخليقته إلى سرّ الراحة الحقة .

لعل صلب السيد فى اليوم السادس ، يوم الإستعداد ، يعلن إلتزامنا نحن فيه أن يحملنا الصليب إليه مادمنا فى هذا العالم بكون حياتنا كلها هى يوم الاستعداد . . . نبقى معه على الصليب حتى النفس الأخير ، فاذا ما غربت حياتنا الزمنية أرسل إلينا ملاكه وكأنه بيوسف الرامى ليستريح جسدنا قليلاً حتى يقوم ثانية فى يوم الرب العظيم .

لم يسمح الرب أن يكفنه التلاميذ حتى لا يقوم الإتهام بأنهم سرقوه دون دفنه ، بل كفنه رجل شريف بار . . . وقد تأكد الكل من دفنه حينما خُتم القبر .

يعلق **القديس أمبروسيوس** على تكفين السيد بالقول :

[كفن البار جسد المسيح بالطيب ولفه بالطيب ! البر هو لباس الكنيسة (جسد المسيح) والبراءة هو جمالها . فإلبس أنت أيضا جسد الرب بمجده فتكون باراً !

إن آمنت بموته فكفنه بملء لاهوته ، إدهنه بالمر والحنوط رائحة المسيح الذكية (٢ كو ٢ : ١٥) .

كفنه يوسف بكفن جديد ، ربما كان هو الملاءة الجديدة التى رآها بطرس نازلة من السماء وقد حوت كل حيوانات الأرض ودوابها (أع ٤٠ : ١١) . فقد تكفنت بها الكنيسة سرياً ووحدت الشعوب المختلفة فى شركة إيمانها . . .

وُضع فى قبر جديد ، فى قبر يوسف إذ لم يكن للمسيح مقبرة خاصة به ، لأن القبر يُقام من أجل الذين يتعرضون لقانون الموت ، أما غالب الموت فليس له مقبرة ملكاً له .

موت المسيح له طابعه الخاص المختلف عن موت عامة البشر ، لذا لا يدفن مع آخرين ، بل يدفن فى القبر وحده . فيتجسد الرب اتحد بكل البشرية لكنه وجد بعض الإختلاف . شابهنا فى ميلاده لكنه اختلف عنا فى الحبل به من العذراء . . .

من هو يوسف هذا الذى وُضع المسيح فى قبره ؟ بالتأكيد هو ذاك البار الذى سلم للمسيح مقبرته ليجد إبن الانسان أين يسند رأسه (لو ٩ : ٥٨) وهناك يستريح . . .

الحنجرة هى قبر مفتوح (مز ٥ : ١١) ، هذه هى حنجرة الانسان عديم الإيمان الذى ينطق بكلمات ميتة ، لكنه يُوجد قبر فى أعماق الإنسان يحفره البار ليدخل كلمة الله فى قلوب الأمم بالايمان . . .

يُوضع حجر على القبر حتى لا يكون مفتوحاً ، لأنه متى كُفّن المسيح جيداً فى نفوسنا يجب حفظه بعناية كى لا نفقده .

كان القبر محفوراً فى صخرة أى مؤسساً علىَ الإيمان بالله الثابت . . .

لا يستطيع كل أحد أن يكفن المسيح لذا فالنساء التقيات يقفن من بعيد ، لكنهن كن ينظرن بعناية أين وضع حتى يأتين إليه بالطيب ويسكبنه . ومع ذلك ففى محبتهن كن آخر من ترك القبر وأول من رجعن إليه[٣٨٠]] .

أخيراً فان دفن السيد المسيح بواسطة يوسف الرامى يمثل خبرة روحية تقوية يليق بنا أن نعيشها كل يوم . فيوسف هذا جاء من الرامة يقال أنها راماتيم صوفيم (١ صم ١ : ١) وأنها رام الله الحالية ، ولما كانت كلمة « رامة » فى العبرية تعنى مرتفعة ، فانه لا يستطيع أحد أن يتمتع بهذا الشرف مالم يأتِ من المرتفعات السماوية ، أى يكون من الرامة ، ينعم بالحياة السماوية كموطن له ومكان نشأته . . . إذ كيف يحمل على يديه جسد الرب مالم يكن له السمة الروحية السماوية .

ما هو هذا الجسد الذى نحمله إلا حياتنا بكوننا أعضاء جسده نكفنها فى الكتان

أى فى النقاوة الحقة ونطيبها برائحة المسيح وندخل بها إلى السيد المسيح نفسه كما فى داخل الصخرة ، فنحمل حياتنا قوة قيامته ، ونكون فى صحبة الملائكة ، كما كان الملائكة فى قبر البيد .

+ + +

الاصحاح السادس عشر

أحداث القيامة

إن كان القديس مرقس يقدم لنا السيد المسيح خادماً عاملاً بالحب حتى الصليب إنما ليحملنا معه إلى أمجاد القيامة ، هذا لم يسدل الستار على الصليب بل انطلق بنا إلى قيامة السيد وصعوده .

١ ــ الحجر المدحرج	١ ــ ٤ .
٢ ــ الملاك يكرز بالقيامة	٥ ــ ٨ .
٣ ــ ظهوره لمريم المجدلية	٩ ــ ١١ .
٤ ــ ظهوره لتلميذى عمواس	١٢ ــ ١٣ .
٥ ــ ظهوره للأحد عشر	١٤ ــ ١٨ .
٦ ــ صعوده	١٩ ــ ٢٠ .

+ + +

١ ــ الحجر المدحرج

أغلق القديس مرقس الستار عن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسى وهن ينظرن من بعيد أين وضع جسد الرب وانفتح ستار القيامة لنراهما مع سالومى يحملن حنوطاً منطلقات نحو القبر ليدهن جسده ، فان من يلتقى مع الرب فى صلبه ويرافقه طريق الألم حتى الدفن يحق له التمتع ببهجة قيامته .

يقول الإنجيل : « **وبعدما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنه . وباكراً جداً فى أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس ، وكن يقلن فيما بينهن : من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر ؟ فتطلعن ورأين أن الحجر قد دُحرج ، لأنه كان عظيماً جداً** » ع ١ — ٤ .

يرى **القديس أمبروسيوس**(٣٨١) أن السيد المسيح قام بعد إنتهاء يوم السبت مع نسمات بداية الأحد . كأن النسوة وقد حملن الطيب وأنطلقن نحو القبر يمثلن كنيسة العهد الجديد التى انطلقت من ظلمة حرف السبت إلى نور حرية الأحد ، تتمتع بعريسها شمس البر مشرقاً على النفوس المؤمنة ، محطماً الظلمة . يقول **القديس جيروم** : [بعد عبور حزن السبت أشرق الآن يوم السعادة الذى صارت له الأولوية على كل الأيام ، عليه أشرق النور الأول ، وقام الرب غالباً الموت(٣٨٢)] .

إن كان « السبت » يشير إلى الراحة تحت ظل الناموس ، يقدم رمزاً للراحة الحقة فى المسيح يسوع القائم من الأموات ، فقد انتظر الرب نهاية السبت ليقوم فى بداية اليوم الجديد ، معلناً نهاية الرمز وإنطلاق المرموز إليه . لذلك كتب **القديس البابا أثناسيوس الرسولى** عن عيد الفصح : [عيد الفصح هو عيدنا . . . ولم يعد بعد لليهود ، لأنه قد إنتهى بالنسبة لهم ، والأمور العتيقة تلاشت . والآن جاء شهر الأمور الجديدة الذى فيه يلزم كل إنسان أن يحفظ العيد مطيعاً ذاك الذى قال : « إحفظ شهر أبيب (الأمور الجديدة) وأعمل فصحاً للرب إلهك » تث ١٦ : ١(٣٨٣)]

إنطلقت النسوة نحو القبر ولم يكن يفكرن فى الجند الحراس للقبر ولا فى الختم لأنهن تركن القبر قبل أن يذهب اليهود إلى بيلاطس يطلبون حراسة القبر وختمه ، إنما كن يفكرن فى الحجر : من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر ؟ لقد نسى الكل أمام أحداث الصليب المرعبة أمر قيامته لذلك كانت النسوة يفكرن فى الحجر الذى يغلق باب القبر ولم يفكرن فى ذلك القادر أن يقوم والباب مغلق !

يعلق **الأب سفريانوس** أسقف جبالة والمعاصر للقديس يوحنا الذهبى الفم ، على هذا الحجر فيقول :

[ما هو هذا الحجر إلا حرفية الناموس الذى كُتب على حجارة ، هذه الحرفية

يجب دحرجتها بنعمة الله عن القلب حتى نستطيع أن ننظر الأسرار الإلهية ونتقبل روح الإنجيل المحيى ؟!

قلبك مختوم وعيناك مغلقتان ، لهذا لا ترى أمامك بهاء القبر المفتوح والمتسع ![٣٨٤] .

يقول الأنبا بولس البوشى : [قام الرب والحجر مختوم على باب القبر ، كما وُلد من البتول وهى عذراء كنبوة حزقيال (حز ٤٤ : ١ — ٣) . وأما دحرجة الملاك للحجر عن باب القبر ، فلكى تعلن القيامة جيداً ، لئلا إذا بقى الحجر مختوماً ، يظن أن جسده فى القبر[٣٨٥]]

٢ — الملاك يكرز بالقيامة

« ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حلة بيضاء فاندهشن فقال لهن : لا تندهشن ، أنتن تطلبن يسوع الناصرى المصلوب ، قد قام . ليس هو ههنا . هوذا الموضع الذى وضعوه فيه ، لكن إذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس انه يسبقكم إلى الجليل . هناك ترونه كما قال لكم » ع ٥ — ٧ .

قدم لنا الإنجيليون أكثر من زيارة للنسوة الى القبر ، وصوّر لنا كل منهم أكثر من منظر حتى يكمل بعضهم البعض أحداث القيامة . هنا يحدثنا الإنجيلى مرقس عن دخول النسوة إلى القبر ليشاهدن ملاكاً على شكل شاب يجلس عن اليمين يلبس حلة بيضاء . هذا الدخول كما يقول القديس أغسطينوس لا يعنى دخولهم الفعلى داخل القبر وإنما اقترابهن منه جداً حتى صرن كمن فى داخل القبر ينظرن كل ما فيه . وقد رأين ملاكاً فى الداخل ، مع أنهن رأينه فى وقت آخر خارجه ، وكما يقول القديس أغسطينوس أيضاً إن الملائكة كن فى داخل القبر وخارجه أيضاً . لقد تحول القبر كما إلى سماء تشتهى الملائكة أن تقطن فيه بعد أن كانت القبور فى نظر الناموس تمثل نجاسة ، لا يسكنها سوى الموتى والمصابون بالبرص أو بهم أرواح شريرة . ومن يلمس قبراً يصير دنساً ويحتاج إلى تطهير . وكأن دخول جسد السيد المسيح إلى القبر نزع عنه دنسه وحوّله إلى موضع بركة يشتهى المؤمنون فى العالم كله أن يلتقوا فيه ، ويتمتعوا ببركة الحىّ الذى قام فيه .

ظهر الملاك على شكل شاب ، وليس على شكل طفل أو شيخ ، فانه إذ يكرز بالقيامة يقدم لنا فى شخصه سمة الحياة المقامة فى الرب ، الحياة التى لا تعرف عدم نضوج الطفولة ولا عجز الشيخوخة . . . إنما هى دائمة القوة لا تضعف ولا تشيخ . أما جلوسه عن اليمين يرتدى حلة بيضاء ، فيشير إلى حياتنا المقامة فى الرب التى ترفعنا لتوجد عن يمين الله ونلبس حلة الطهارة والفرح . يقول **البابا غريغوريوس الكبير** : [ظهر لابساً ثياباً بيضاء ليعلن أفراح عيدنا] . كما يقول **القديس جيروم** : [الآن صار العدو هارباً وأُعيد الملكوت . الثوب الأبيض المشرق خاص بالفرح الحقيقى حيث كان ملك السلام يُطلب فيوجد ولا يُنزع عنا . هذا الشاب إذن أعلن طبيعة القيامة لمن يخافون الموت[٣٨٦]] .

أما رسالة هذا الملاك الكرازية فقد حوت الآتى :

أولا : أعلن رسالة القيامة لطالبات المصلوب : « أنتن تطلبن يسوع الناصرى المصلوب » ، وكأنه لا يستطيع أحد أن يتقبل رسالة القيامة فى حياته الداخلية أو يلتقى بالسيد المسيح القائم من الأموات ما لم يطلبه فى أعماقه الداخلية .

ثانياً : مع أن السيد المسيح كان قد قام لكن الملاك يلقبه « الناصرى المصلوب » ، فكلمة « الناصرى » تشير إلى تجسده حيث نشأ فى الناصرة وصار ناصرياً وكأن قيامته أكدت تجسده وحققت الرسالة التى لأجلها جاء . أما دعوته « المصلوب » ، فان القيامة لم تنزع عن السيد المسيح سمته كمصلوب إنما أعلنت قبول ذبيحة الصليب . فى القديم أرسل الله ناراً يلتهم الذبيحة التى قدمها إيليا مؤكداً قبوله إياها ، أما فى العهد الجديد فجاءت القيامة تعلن مجد ذبيحة الصليب ، لا بإلتهام الذبيحة بل باعلان قوة الحياة التى فيها ، إذ هى ذبيحة المسيح الحىّ القادر أن يقيم من الأموات .

القيامة جعلت ذبيحة الصليب حاضرة على الدوام تهب قوة قيامة لمن ينعم بالشركة فيها .

ثالثاً : إذ إلتقين بالقبر حيث المسيح القائم من الأموات تمتعن بقوة الشهادة للسيد المسيح أمام الآخرين : « إذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس أنه يسبقكم إلى

الجليل ، هناك ترونه كما قال لكم » . . . لقد جاءت النسوة يملأ الحزن قلبهن لكن قيامة السيد حولته إلى فرح ، وأعطتهن إمكانية الكرازة بالقيامة لينطلق الكل نحو الجليل يلتقى بالقائم من الأموات حسب وعوده .

رابعاً : جاءت الدعوة أن يلتقى الكل به فى « الجليل » ، التى تعنى « العبور » . فان كان السيد قام من بين الأموات إنما ليعبر بنا من الموت إلى الحياة ، ومن الألم إلى مجد القيامة ، ومن إنساننا القديم إلى الحياة الجديدة التى صارت لنا فيه . ويرى **القديس أغسطينوس** [٣٨٧] أن الجليل وهى تعنى العبور تعنى عبور التلاميذ إلى الأمم للكرازة بينهم بعد أن فتح لهم الطريق ، بقوله « ها أنا أسبقكم إلى الجليل » .

٣ — ظهوره لمريم المجدلية

« وبعد ما قام باكراً فى أول الاسبوع ظهر أولًا لمريم المجدلية التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين . فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون ، فلما سمع أولئك أنه حىّ وقد نظرته لم يصدقوا » ع ٩ — ١١ .

تمتعت مريم المجدلية بهذا اللقاء فانها إذ استراحت من مملكة إبليس التى أقامها فى داخلها سبعة شياطين التهب قلبها للتمتع بالقائم من الأموات ، يقيم مملكته فيها . بمعنى آخر لا نستطيع أن ننعم ببهجة قيامته فينا وملكه فى أعماقنا ما لم نسلمه القلب بطرد ما فيه من شر ليقيم بنفسه فيه .

رأته القديسة مريم المجدلية باكراً فى أول الأسبوع أى بعد أن تركت ظلام الليل من قلبها ، وتمتعت به بعد أن خرج منها الشياطين السبعة . لذلك يقول **القديس أمبروسيوس** : [إن أردتم أن تجدوه ، فالشمس قد أشرقت الآن ، تعالوا مثل هؤلاء النسوة ، بمعنى ليته لا يكون فى قلوبكم ظلام الشر ، لأن شهوات الجسد والأعمال الشريرة هى ظلام . من كان فى قلبه ظلام من هذا النوع لا يعاين النور ولا يدرك المسيح ، لأن المسيح هو نور . إنزعوا الظلام منكم يا إخوة ، أى إنزعوا عنكم كل الشهوات الخاطئة والأعمال الشريرة ، وليكن لكم الطيب الحلو ، أى الصلاة بغيرة ، قائلين مع المرتل : « لتستقم صلاتى كالبخور قدامك » مز

١٤١ : ٢ . . . إن أردتم أن تعاينوا الرب وتأتوا إلى بيتكم السماوى يلزمكم ترك الشر مثابرين على الثبات فى الصلاح الذى بدأتم إياه [٣٨٨]] .

٤ ــ ظهوره لتلميذى عمواس

« وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية ، وذهب هذان وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين » ع ١٢ ، ١٣ .

تحدث معلمنا لوقا البشير عن هذا الظهور فى شيء من التفصيل نرجو فى الرب أن نعود إليه عند دراستنا لهذا السفر (لو ٢٤ : ١٣ ــ ٣٥) .

يعبر **القديس أغسطينوس** عن هذا اللقاء بقوله : [عندما اقترب الرب من الرسولين لم يكن لهما الإيمان . . . لم يصدقا أنه قام ، أو أنه يمكن لأحد أن يقوم . . . لقد فقدوا الإيمان ولم يعد لهما رجاء . . . كانا يمشيان معه فى الطريق : موتى مع حىّ ، أمواتا مع الحياة ! كانت « الحياة » تمشى معهما ، غير أن قلبيهما لم يكونا ينبضان بالحياة [٣٨٩]] .

٥ ــ ظهوره للأحد عشر

« أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم ، لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام . وقال لهم : اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها . من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يُدن . وهذه الآيات تتبع المؤمنين ، يخرجون الشياطين باسمى ، ويتكلمون بألسنة جديدة ، يحملون حيات ، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون » ع ١٤ ــ ١٨ .

إذ ظهر لهم القائم من بين الأموات قدم لهم إمكانية الكرازة للخليقة كلها ، حتى إذ ينعم الرسل بالحياة المقامة فى الرب يقدمون لهم « قوة القيامة » . . .

يلاحظ فى حديث ربنا يسوع مع تلاميذه بعد قيامته الآتى :

أولا : وبخهم السيد على عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم ، وكما يقول **القديس جيروم** : [وبخهم على عدم إيمانهم ليحل محله التسليم ، ووبخهم على قساوة قلوبهم

الحجرية لتحل محلها القلوب اللحمية المملوءة حباً (٣٩٠)] . هكذا أول عمل فى حياتنا خلال قيامة السيد تغييرنا الداخلى الشامل ، فنحمل إيماناً حياً وقلباً مملوء حباً . . . بمعنى يشمل التغيير الإيمان والعمل ملتحمين معاً ، هو يهبنا الإيمان به وهو الذى يعمل فينا وبنا . لذلك يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ألا نلاحظ أنه ليس شيء ما نفعله بدون المسيح (٣٩١)] .

ثانياً : إذ تمتعوا بعمل القيامة فيهم فنالوا الإيمان الحىّ وتمتعوا بتغيير القلب لممارسة الحياة الفاضلة فى الرب صارت لهم الوصية أن يكرزوا فى العالم كله وللخليقة كلها . فالقيامة تنزع عن الكارز إنغلاق القلب أو ضيقه وترفعه فوق كل تعصب . يرى فى نفسه أنه كسائر البشر قد سقط تحت ثقل الموت وقام دون فضل من جانبه ، لذا يود أن يقوم العالم كله وينعم بالحياة الجديدة المجانية . لذلك فالأسقف أو الكاهن فى عينى **القديس يوحنا الذهبى الفم** قد [اؤتمن على العالم كله وصار أباً لجميع الناس (٣٩٢)] .

لقد بدأ الانجيلى هذا السفر بالصوت الصارخ فى البرية ، ويختمه بدعوه للرب للكرازة فى العالم كله كصوت يدوى فى البرية .

يقول البابا **غريغوريوس (الكبير)** : [يمكن أن تفهم « كل الخليقة » بمعنى « كل الأمم » (٣٩٣)] ، كما يقدم لنا لهذا التعبير تفسيراً رمزياً بأن « كل الخليقة » تعنى الإنسان بكليته ، فهو يشترك فى جوانب معينة مع الحجارة والجمادات التى لا تحيا ولا تحس ، وفى جانب آخر مع النباتات التى تعيش ولا تحس ، وفى جانب ثالث مع الحيوانات التى تحيا وتحس ولكن بلا تعقل ، وفى جانب أخير مع الملائكة العاقلين . . . فالكرازة للإنسان هى كرازة لكل الخليقة فيه بتقديسه تقديساً كاملاً .

ثالثاً : المعمودية ملتحمة بالايمان هو الموضوع الرئيسى للخلاص ، خلالها ينعم طالب العماد بالحياة المقامة الجديدة ، إذ يقول : « من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن » . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ليس بأم وأب ، ليس باجتماع بشر ، ولا بآلام المخاض نولد ثانية ، ولكن من الروح القدس تصنع أنسجة طبيعتنا

الجديدة ، وفى الماء نشكل ، ومن الماء نولد سراً كما من الرحم (٣٩٤) . . .] ، [فى العماد يتحقق عربون ميثاقنا مع الله : الموت والدفن والقيامة والحياة ، يحدث هذا كله دفعة واحدة (٣٩٥)] .

يعلن القديس **أغسطينوس** أهمية العماد إذ يقول : [إن لم يعتمد الأطفال يحسبون فى رتبة غير المؤمنين ولا تكون لهم حياة ، لأن « الذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله » يو ٣ : ٣٦ (٣٩٦)] .

رابعاً : أعطاهم إمكانيات ليست من عندياتهم بل هى عطاياه تسندهم فى الكرازة مثل إخراج الشياطين وعمل الآيات والتكلم بالألسنة ليكرزوا بين من لا يفهمون لغتهم الخ . . . وكما يقول **القديس أمبروسيوس** : [أعطاهم كل شىء ، لكن لا نلمس فى هذه العطايا قوة إنسان بل نعمة الله هى العاملة (٣٩٧)] .

٦ ـــ صعوده

ختم القديس مرقس الانجيل بصعود الرب إلى السماء وإنطلاق التلاميذ للخدمة ، إذ يقول : « **ثم أن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله . وأما هم فخرجوا وكرزوا فى كل مكان ، والرب يعمل معهم ، ويثبت الكلام بالآيات التابعة . آمين** » ع ١٩ ، ٢٠ .

إن كان إنجيل معلمنا مرقس هو إنجيل المسيح العامل لحساب الكنيسة ، فانه إذ عمل الكثير من أجل كنيسته الخفية فيه ، إرتفع إلى فوق لكى تعمل الكنيسة من أجل المسيح الخفى فيها . ارتفع إلى فوق وجلس عن يمين الله الآب لكى يهب كنيسته الجلوس فى حضن أبيه ، أو عن يمينه .

يعلق **البابا غريغوريوس** (**الكبير**) على صعود السيد المسيح قائلا :

[لنلاحظ أن إيليا قيل عنه انه ارتفع فى مركبة ليظهر أن الانسان القديس محتاج إلى عون غيره . . . لكننا لا نقرأ عن مخلصنا أنه صعد بواسطة ملائكة أو مركبة ، فإن الذى صنع كل شىء بسلطانه هو فوق الكل . . .

كان أخنوخ الذى نقل وإيليا الذى إرتفع إلى السماء رمزين لصعود الرب . كانا بالنسبه له معلنين عنه وشاهدين لصعوده ، واحد قبل الناموس والآخر تحت

الناموس ، حتى يأتى ذاك الذى يقدر بحق أن يدخل السماء [398]] .

ويقدم لنا القديس أغسطينوس تفسيراً لتعبير « يمين الله » : [لا نفهم جلوسه بمعنى جلوس أعضائه الجسدية كما لو أن الآب عن اليسار والإبن عن اليمين ، إنما تفهم اليمين بمعنى السلطان الذى قبله من الآب بكونه إنسانا (ممثل البشرية) ، لكى يأتى ويدين ، ذاك الذى جاء أولًا لكى يُحكم عليه . فان كلمة « يجلس » تعنى « يسكن » كما نقول عن إنسان أنه جلس فى هذه الأرض ثلاث سنوات ، هكذا نؤمن أن المسيح يسكن عن يمين الآب ، إذ هو مطوّب ويسكن فى الطوباوية التى تسمى يمين الله [399]] .

يؤكد الإنجيل أن الرب الذى ارتفع فى السموات يعمل مع الكارزين ويثبت الكلام بالآيات . . . فان كان قد ارتفع إلى فوق ممجداً ، فقد بقى عاملًا حتى ترتفع الكنيسة كلها معه وفيه وتنعم بشركة أمجاده .

+ + +

القديس مارمرقس

١ ــ لدراسة حياة القديس مارمرقس الرسول بتوسع راجع كتاب قداسة البابا شنودة الثالث في هذا الشأن .

٢ ــ تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع ك ١٣ ، ص ١٣ .

3 - J. D. Douglas: Dict. og Christian church, p 632.

٤ ــ القول الابريزى للعلامة المقريزى طبعة ١٨٩٨،ص ١٨.

مصباح الظلمة لإبن كبر ، ك ٤ .

Cheneau: Les Saintes d'Egypte, vol 1, p 495.

5 - De Reta in Deum Fide.

6 - Adv. Haer. 51 5.

٧ ــ إبن المقفع ص ١٥ R ، إبن كبر ، ٤٠ B ، ٤١ A .

8 - In Luc. Praef.

الإنجيل بحسب مرقس

9 - Wycliffe: Bible Encycolopedia, 1979, v.2 , p 1078.

10 - In Matt. hom 1.

١١ ــ راجع للمؤلف : الانجيل بحسب متى ، المقدمة .

12 - R.P. Martin: Mark: evangelist and Theologian, 1972, p 24-36.

13 - Sherman! E. Johnson: The Gospel according to St. Mark, 1977, p4.

14 - J.A. Findlay: Jesus as they Saw, 1934, p107.

15 - R.P. Martin: Mark, p111.

16 - U.W. Mauser: Christ in the Widerness, 1963, p100.

17 - D.E. Nineham: Saint Mark, 1983 p33

18 - A. Richardson: The Miracle Stories of the Gospels, 1941, p 47f.

19 - M.E. Glasswell: The use of Miracles in Marken Gospel, in Miracles, ed C.F.D. Moule 1965, p 161f.

20 - W. Wrede: The Messianic Secret, Camgridge 1971, p.9,81,209 (Engish Translation by J.C.G. Greig.)

21 - Sherman E. Johnson: The Gospel according to St.Mark, p10
H. Anderson: The Gospel of Mark 1981, p44 f.

22 - C.F. Evans: The Beginning of the Gospel, 1968,p47

23 - Jerome Biblical Comm, p23.

24 - Nineham: Saint Mark, p34.

الأصحاح الأول

25 - De Trinit. 3:11.

26 - In Ioan. 2:17-25.

27 - Catena Aurea.

28 - An Answer to Jews 9.

٢٩ ــ إنجيل القديس لوقا (ترجمة المرحوم كامل جرجس) ، عظة ٦.

٣٠ ــ تفسير لوقا ٣ : ١ ــ ٥ ترجمة مدام عايدة حنا .

31 - Dial. ad Lucif. 7.
32 - Ep. 125:7.

٣٣ ــ تفسير لوقا ٣ : ١ ــ ٥
٣٤ ــ شرحه.
٣٥ ــ الأنجيل بحسب متى ، ١٩٨٣ ، ص ٧٣ ،
الأب غريغوريوس (الكبير) PL 74:1099 - 1103

36 - In Matt. hom 38.
37 - Jerpme Bib. Comm. p24.
38 - On Baptism 9
39 - In Luc. hom 11.
40 - Ibid.
41 - Ibid.
42 - Ibid.
43 - Ser. on N.T. Lessons 2:2.

٤٤ ــ الانجيل بحسب متى ، ص ٧٧ الخ ،
٤٥ ــ القمص بفنوتيوس السريانى : مار يوحنا سابا ، ١٩٧٧ ، ص ٣٩،٣٨.
٤٦ ــ تفسير لوقا ، عظة ١٢ ــ ٢١ (المرحوم كامل جرجس).
٤٧ ــ تفسير لوقا ٤ : ١.
٤٨ ــ راجع الانجيل بحسب متى ، ص ٢٤٩.

49 - Catena Aurea

٥٠ ــ القمص بفنوتيوس السريانى ٤٨ ، ٥٢
٥١ ــ المرجع السابق ٤٧.
٥٢ ــ الانجيل بحسب متى ، ص ٩٠.

53 - Catena Aurea.
54 - In Luc. hom 12-21.

٥٥ ــ رسالة ٢٦ .

56 - Instr. to Catech. 2:4.
57 - In Ioan. hom 10:1.
58 - Ibid 6:2
59 - City of God.
60 - Catena Aurea
61 - Ibid.
62 - Ibid.
63 - In luc. hom 12-21.
64 - In Luc.4
65 - In Matt. hom 27.
66 - Ibid
67 - Ibid
68 - In Ioan. tr 91:3.
69 - In luc. 12-21.
70 - Jerome Bib. Comm. p26.
71 - In Matt. hom 25.

الأصحاح الثانى

٧٢ — الانجيل بحسب متى ، ص ٢١٠.
٧٣ — مقال ٢.
٧٤ — رسالة ٤٠.
٧٥ — تفسير لوقا ٥ : ١٧ — ٢٦.

76 - Catena Aurea
77 - In Matt. hom 9.
78 - The Paralytic let down through the roof 6.
79 - Ser. on N.T. 76:10.

٨٠ — مقال ٤ .

81 - In luc. 5:7 - 26.

٨٢ — القمص بفنوتيوس السريانى ، ص ٤٤ .

83 - Ep. of Barnabas 5.
84 - In Luc. hom 20.
85 - In Luc. 5:27 - 39.
86 - In Luc. hom 21.
87 - On the Resur. 8.
88 - In Luc. hom 21.
89 - Ibid
90 - In luc 5:27 - 39.
91 - Ibid 6: 1 - 5.

(ترجمة المرحوم كامل جرجس)

الأصحاح الثالث

92 - In Luc 6:6 - 11.

٩٣ — إنجيل لوقا : عظة ٢٣ — ٢٥ . ترجمة المرحوم كامل جرجس ، راجع ايضا اقوال القديس يوحنا الذهبى الفم : فى انجيل متى عظة ٤٠ .
٩٤ — إنجيل لوقا : عظة ٢٣ — ٢٥ .

95 - In Luc 6:6 - 11
96 - New Westminster Dict. of the Bible, p 384.
97 - J. Mckenzie: Dict. of the Bible, p 356.
98 - On Ps. 50.
99 - In Ioan 19:2.
100 - Ep. 22:5.
101 - On Death of his Father 24.
102 - In Luc 6:12 - 49.
103 - In Luc hom 23 - 24.
104 - In Luc hom 21.
105 - Catena Aurea
106 - Ibid
107 - In Matt. hom 32:11.
108 - De Virginitate 4:20, Comm on Luke 10:25
109 - Symposion 8:8.
110 - On Gosp. hom 3.

الأصحاح الرابع

111 - In Matt. homm 41.
112 - PG 57:467 - 472.

١١٣ ــ الأنجيل بحسب متى ، ص ٢٩٤ ــ ٣٠١ .

115 - D.E. Nineham: Saint Mark, p 134,135.
116 - Sherman E. Johnson: The Gospel According to St Mark, 1977,p88.
117 - D.E. Nineham: Saint Mark, p 136 - 7.
118 - De Spir. Sanc. 9.

١١٩ ــ مقال ٢ .

120 - S.E. Johnson: The Gospel According to St. Mark, 94.
121 - In Ezik. Hom 2:3.

١٢٢ ــ الانجيل بحسب متى ص ٣٠٨ ــ ٣١٣ .
١٢٣ ــ المرجع السابق ٣٠٨ ــ ٢٠٥ .

124 - In Luc. hom 96.

١٢٥ ــ الانجيل بحسب متى ٢٠١ ــ ٢٠٥ .
١٢٦ ــ القمص بفنوتيوس السرياني ٣٢ .

127 - In Matt. hom 79.
128 - On ps. 12.

الأصحاح الخامس

129 - Conc. Evang. 2:24.
130 - Nineham, p 151.
131 - Catena Aurea.
132 - In Matt. hom 28

١٣٣ ــ رسالة ١٧ .

134 - Nineham 154.
135 - In Luc. 8
136 - Ibid.

١٣٧ ــ الانجيل بحسب متى ، ص ٢٢١ ــ ٢٢٢ .

138 - In Luc 8:40 - 56.
139 - In Matt. hom 31.
140 - In Luc. 8:40 - 56.
141 - On Ps. hom33.
142 - In Matt. hom 31
143 - In Luc 8:40 - 56.
144 - Adv. Jovin. 2:16.
145 - On Belief of Res. 2:82

١٤٦ ــ الانجيل بحسب متى ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ (راجع أيضا تفسير يوحنا مقال ٤٩: ٣).

الأصحاح السادس

147 - Nineham, p. 163 - 164.

١٤٨ ــ المؤلف : القديسة مريم فى المفهوم الأرثوذكسى ، ١٩٨٣ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

149 - In Matt. hom 48.
150 - Fourth Theol. Orat. 10.
151 - Cassian : Conf 13:15
152 - Catena Aurea.
153 - In Evang. hom 17.
154 - In Luc. 9:1 - 10.

١٥٥ ــ مقال ٣
١٥٦ ــ رسالة ٤٣

157 - In Acts hom 30.
158 - Nineham. p 170.
159 - Ibid 171.
160 - New Westminster Dict. of the Bible, p 380.
Joseph.: Antiq 17,1,3; War; 28:4.
161 - Josephus: Antiq 18,5,2.
162 - Cat. Aurea.
163 - In Matt. hom 48.
164 - Conc. Virgins 3:5.

١٦٥ ــ الانجيل بحسب متى ، ص ٣٢٦ .

167 - Joseph: Sntiq 18:7.
168 - Josephus: War 2:9:6.

١٦٩ ــ مقال ٤ .

170 - In Matt. hom 50:1.
171 - Ibid.

١٧٢ ــ القمص بفنوتيوس السرياني ٣٥ ، ٣٦ .

173 - In Matt. hom 50.

١٧٤ ــ مقال ٢
١٧٥ ــ رسالة ٣٥ .

الأصحاح السابع

١٧٦ ــ لمعرفة « الشناة » راجع كتابنا : الأرثوذكسية والتقليد

177 - In Matt. hom 7:9.
178 - Nineham, p. 202.

الأصحاح الثامن

179 - Jerome Biblical Commentary. p 35.

١٨٠ ــ الانجيل بحسب متى ، ص ٣٣١ ــ ٣٣٥ .

181 - Ser. on N.T. 45:1,2.
182 - Mor 1:9.
183 - Nineham, p 207.
184 - Ser. on N.T. 45:2.
185 - Catena Aurea.

186 - In Luc. 6:73.
187 - Ser. on N.T. 45:3.
188 - Nineham, p 207-8, Jerome Bib. Comm. p 39.
189 - In Matt. ho, 53.

١٩٠ ــ رسالة ٣٣.
١٩١ ــ رسالة ٦ .
١٩٢ ــ الانجيل بحسب متى ص ٣٥٣ ــ ٣٥٥ .

193 - In Luc, Ser 86.

١٩٤ ــ رسالة ٣٤ .

195 - In Matt. hom 54.

١٩٦ ــ الانجيل بحسب متى ، ص ٣٥٥ .

197 - In Luc 9.
198 - Ibid
199 - Ibid
200 - Ser. on N.T. 46:1,2.
201 - On Ps hom 1.

الأصحاح التاسع

202 - In Luc. 9:27

٢٠٣ ــ مقال ١.

204 - In Luc 9:27.
205 - To Etrap. 2:10.

٢٠٦ ــ الانجيل بحسب متى ٣٦٧ ــ ٣٦٩.

207 - In Luc 9:28 - 31.
208 - Ibid
209 - Ibid
210 - Ser. on N.T. 28:2.
211 - Mor. 32:6.
212 - In Luc 9.

٢١٣ ــ الانجيل بحسب متى ، ٣٧٢ ــ ٣٧٤.

214 - In Matt. hom 56.
215 - In luc 9.
216 - Ibid
217 - Ibid
218 - Ibid 1:7.

٢١٩ ــ رسالة ٤٣.

220 - St. Irenaeus: Adv. Haer. 4:27:6.
221 - Mor 10:30.

٢٢٢ ــ رسالة ١١.
٢٢٣ ــ رسالة ١٢.

٢٢٤ ـــ رسالة ١٨.
٢٢٥ ـــ الحب الالهي ، ص ٤٦٧ ، ٤٦٨.
٢٢٦ ـــ المرجع السابق ، ٤٦٩.

227 - Catena Aurea.
228 - Ibid
229 - In Matt. hom 58.

٢٣٠ ـــ مقال ٧ ، رسالة ٨ ، القمص بفنوتيوس السرياني ، ص ٤٢ ، ٥٣ ، ٥٥ .

231 - De cura past. c2.

٢٣٢ ـــ الانجيل بحسب متى ١٢٥ ، ١٢٦

233 - In Matt. hom 59.

الأصحاح العاشر

234 - In Luc 18:17.
235 - In Luc Ser 121.
236 - In Luc 18:17.
237 - Ibid.
238 - In Luc Ser 121.
239 - Ibid
240 - In Luc 18:18 - 30.
241 - In Luc Ser. 122.
242 - Ibid 123.
243 - In Evan. t. 15:14.
244 - In Matt. hom 64.
245 - Ep. 22:21
246 - In Luc Ser. 124
247 - Conf. 24:26
248 - In Luc Ser. 125
249 - In Matt. hom 65
250 - In Ioan hom 67:1
251 - On Ps. hom 2
252 - In Luc. Ser. 126.
253 - Ibid

٢٥٤ ـــ رسالة ٣٠

255 - Ep. 147:9.

الأصحاح الحادي عشر

٢٥٦ ـــ الإنجيل بحسب متى ، ص ٤٣٤ .

257 - Joseph. :Antiquities 20:8:6, Jewish war 2:13:5.
258 - Nineham: St, Mark, p 292.

٢٥٩ ـــ الانجيل بحسب متى ، ص ٤٣٥ ـــ ٤٤٠.
٢٦٠ ـــ مخطوط ٥٩ طقس المتحف القبطي (نشره الشماس يوسف حبيب في كتابه : تأملات القديس ابيفانيوس حول أسبوع الآلام مع ميمر للقديس اثناسيوس الرسول ، ١٩٦٥ .

٢٦١ — المرجع السابق .

262 - In Luc 96.

٢٦٣ — مخطوط طقس بالمتحف القبطي

264 - In Luc 9:6
265 - Catena Aurea
266 - St. Jerome, PL 26
267 - In Luc 19:28 - 38
268 - Nineham, p 293.
269 - Catena Aurea

٢٧٠ — قراءات الساعة الثالثة من اثنين البصخة .
٢٧١ — قراءات الساعة السادسة من نفس اليوم (خر ٣٢) .
٢٧٢ — قراءات الساعة الأولى من ليلة ثلاثاء البصخة .
٢٧٣ — قراءات الساعة الثالثة من يوم الاثنين .
٢٧٤ — قراءات الساعة الثالثة من ليلة الثلاثاء .
٢٧٥ — قراءات الساعة التاسعة من ليلة الثلاثاء .
٢٧٦ — قراءات الساعة التاسعة من يوم الاثنين .
٢٧٧ — قراءات الساعة الحادية عشر من يوم الاثنين .

278 - On Ps. 35.
279 - Cat. Lect. 13:18.
280 - In Matt. hom 67.

٢٨١ — الساعة الأولى من ليلة الاثنين .

282 - See: In Luc. Ser. 132.
283 - In Luc 19:45 etc.
284 - Nineham, p. 305.
285 - Cat. Lect. 5:11.
286 - On Lord's Prayer 23.
287 - In 1 Tim. hom 8.
288 - In Luc. Ser. 133.

الأصحاح الثانى عشر

289 - See: On Ps 41.
290 - Catena Aurea.
291 - In Luc 20:9 - 19.
292 - Ibid
293 - Ibid 20:21 - 26.
294 - Ibid
295 - New westminster Dict. of Bible, p 817.
296 - Antiq. 13:10:6.
297 - Ibid 18:1:4,
298 - In Luc. Ser. 136.
299 - Catena Aurea
300 - Ibid

301 - In Luc 20:41 - 44.
302 - In Luc. Ser. 137.

٣٠٣ ــ رسالة ١٤ .
٣٠٤ ــ رسالة ٣٥ .

305 - Catena Aurea.
306 - In Luc. Ser. 148.
307 - In Heb. hom 31:8.
308 - On Ps. 50,112,129.
309 - Ep. 53:11 , 54:17 , 118:5.

الأصحاح الثالث عشر

٣١٠ ــ قراءات الساعة الأولى من يوم الثلاثاء من البصخة المقدسة .
٣١١ ــ نبوات الساعة السادسة من يوم الثلاثاء من البصخة المقدسة .

313 - Jewish war 5:5:1-6 , Antiq 15:11:1-3.
314 - In Luc. Ser. 149.
315 - In Luc 21:5-36.

٣١٦ ــ راجع تفسير مر ١ : ١٦ .

318 - In Luc 21:5-36.
319 - Jerom Bib. Comm. 51.
320 - City of God 29:19.
321 - In Ezech. lib. 1:9.
322 - Ep. 199:11.
323 - In Ioan tr 10:12.
324 - Ep. 199:11.
325 - De trin. 1:13.
326 - In Luc. Ser. 139.
327 - Of Christian Faith 5:4.
328 - On Ps. 37.
329 - On Ps. 36.
330 - In Matt. hom 77.
331 - De Trinit. 9.
332 - Jerome Bib. Comm. p52.

الأصحاح الرابع عشر

333 - De Prod. Jud. hom 1.
334 - Catena Aurea.
335 - In Luc. Ser. 148.
336 - Ibid 141.
337 - Ibid
338 - In Luc. 22:7 - 13.
339 - Ibid
340 - In Prod. Jud. hom é.
341 - In Luc. Ser. 142.
342 - A. Hamman: The Paschal Mystery ,1969, p26-39.

343 - Catena Aurea.
344 - De Myster. 9.
345 - In Luc. Ser. 144.
346 - Catena Aurea.

٣٤٧ ـــ الحب الالهى ، ص ٣٦٧ ـــ ٣٩٢ .

348 - In Luc 22: 39-53.

٣٤٩ ـــ القديس أغسطينوس : اتفاق البشائر ٣ : ٤ . و راجع أيضا أقوال بعض الآباء مثل القديس كيرلس الكبير فى سرّ حزن السيد المسيح ، فى كتابنا : الانجيل بحسب متى ، ص ٥٣٦ ـــ ٥٣٧ .

350 - Ep 133:10
351 - In Luc 22:39-53.
352 - In Luc Ser. 148.
353 - Ibid.
354 - In Luc 22:39-53.
355 - In Luc Ser. 148
356 - In Ioan. tr 116:4.
357 - In Matt. hom 85.
358 - In Luc. hom 150
359 - In Luc 22:54-62.
360 - On the Grace of Christ 49.
361 - In Luc 22:54-62.

الأصحاح الخامس عشر

362 - In Luc 22:63 etc.
363 - Adv. Celsus pref 1.
364 - In lev. hom 9:3
365 - In luc 23

٣٦٦ ـــ الحب الإلهى ، ص ٤٣٢ ، ٤٣٤ .
٣٦٧ ـــ عقلة ١٣ : ٢٣ .
٣٦٨ ـــ آلام المسيح وقيامته فى إنجيل القديس يوحنا (تفسير يو ١٩ : ٢٣ ، ٢٤).

369 - St. Augustine : in Ioan tr 117:1.
370 - In Luc 23:33 - 49

٣٧١ ـــ عقلة ١٣ : ٣١

372 - In Luc Ser. 153
373 - Catena Aurea
374 - An Answer to Jesus 10
375 - In Luc hom 153
376 - In Matt. hom 88
377 - In Luc 23:33-49
378 - De trinit 4:13
379 - Catena Aurea
380 - In Luc 23:50-56

الأصحاح السادس عشر

381 - In Luc 24

382 - Catena Aurea

٣٨٣ ـــ الحب الإلهى ٢ ، ص ٦٢٣ .

384 - Catena Aurea

٣٨٥ ـــ الحب الإلهى ، ص ٦٧٤ .

386 - Catena Aurea
387 - Harmony of the Gospels 3:25:86.
388 - Pl 17:671 Ser 34

٣٨٩ ـــ القمص متياس فريد . مع المسيح القائم ، أبريل ٨٤ ، ص ٢٧ (عظة ٢٣٥)

390 - Catena Aurea
391 - In Eph. hom 1.
392 - De Sacerdotis 6:4
393 - Pl 76 In Evan. hom 29

٣٩٤ ـــ الله مقدس ص ٤٨

395 - In Ioan. hom 25
396 - ON Forgiveness of Sins & Baptism 3
397 - Conc. Repent. 1:8
398 - Pl 76 In Evan hom 29
399 - On the Creed

المحتويات

صفحة

القديس مارمرقس ....

نشأته ، القديس مارمرقس والأسد ، كرازته .

الانجيل بحسب مرقس ....

تاريخه ومكان كتابته ، انجيل مرقس وبطرس الرسول ، سماته ، أقسامه ومحتوياته .

الأصحاح الأول : بدء الخدمة ....

مقدمة السفر ، خدمة يوحنا المعمدان ، معمودية السيد المسيح ، تجربته ، كرازته بالملكوت الجديد ، دعوته للتلاميذ ، أعمال محبته الفائقة (اخراج روح نجس ـــ ابراء حماة سمعان ـــ اخراج الشياطين ـــ تطهير أبرص) .

الأصحاح الثانى : الخدمة المقاومة ....

شفاء المفلوج ، حبه للخطاة ، عدم الصوم ، اتهامه ككاسر للسبت .

الأصحاح الثالث : العمل غير المنقطع ....
شفاء ذى اليد اليابسة ، خدمته خلال سفينة صغيرة ، اقامته التلاميذ للعمل ، اتهامه بواسطة اقربائه والكتبة ، اخوته وأمه يطلبونه .
الأصحاح الرابع : البذار والزرع ....
التقاؤه مع الشعب عند البحر ، عمله الإلهى كبذار حية ، عمله الإلهى لن يختفى ، عمله الإلهى المستمر ، العمل الإلهى وحبة الخردل ، العمل الإلهى والرياح المضادة .
الأصحاح الخامس : سلطانه على الارواح النجسة ....
المسيح وساكن القبور ، لقاؤه مع يايرس ، شفاء نازفة الدم ، إقامة إبنة يايرس .
الأصحاح السادس : اتجاهات نحو شخص المسيح ....
اقرباؤه يعثرون به ، ارساليته للتلاميذ ، موقف هيرودس منه ، التلاميذ والجموع الجائعة ، التلاميذ والأمواج ، التعرف عليه .
الأصحاح السابع : الحياة الداخلية.................................. ١٢١
السيد المسيح والغسالات ، شفاء ابنة المرأة الفينيقية ، شفاء أصم أعقد .
الأصحاح الثامن : المسيح المشبع ١٢٩
سؤال حول الخبز ، سؤال حول الآية ، حوار حول الخمير ، سؤال حول البصيرة ، سؤال حول شخص المسيح ، إعلانه عن الصليب ، إعلانه عن شركة الصليب .
الأصحاح التاسع : الملكوت العملى ١٤٧
الوعد برؤية ملكوت الله ، الملكوت والتجلى ، الملكوت ومقاومة ابليس ، الملكوت والصليب ، الملكوت والاتضاع ، الملكوت واتساع القلب .
الأصحاح العاشر : الطريق الصعب ١٦٥
منع التطليق لغير العلة ، قبول الأطفال بالحب ، الغنى والتبعية للمسيح ، الترك

والتبعية للمسيح ، ترك حب الرئاسات ، الحاجة الى تفتيح الأعين .

الأصحاح الحادى عشر : دخوله أورشليم ١٨٧

موكب نصرته ، شجرة التين العقيمة ، غيرته على هيكله ، يبوسة شجرة التين ، سؤاله عن سرّ سلطانه .

الأصحاح الثانى عشر : مقاومته فى أورشليم .

الكرامون المتعصبون ، سؤال بخصوص الجزية ، الصدوقيون والقيامة ، الكتبة والوصية ، الأرملة المحبة والفلسان .

الأصحاح الثالث عشر : علامات المنتهى ٢٢٥

هدم الهيكل القديم ، ظهور مسحاء كذبة ، قيام حروب وحدوث كوارث ، حدوث مضايقات ، رجسة الخراب ، وصايا للدخول فى الملكوت ، الضيقة العظمى ، ظهور انبياء كذبة ، انهيار الطبيعة ، مجيء ابن الانسان ، مثل شجرة التين المخضرة ، تأكيد مجيئه ، عدم معرفة الساعة ، الدعوة للسهر .

الأصحاح الرابع عشر : الإعداد للصليب ٢٤٩

تدبير رؤساء الكهنة والكتبة قتله ، كسر قارورة الطيب ، خيانة يهوذا ، وليمة الفصح ، اعلان عن الخيانة ، تأسيس الأفخارستيا ، إعلان عن شك التلاميذ فيه ، ذهابه إلى جثسيمانى ، القبض عليه ، محاكمته دينياً ، انكار بطرس .

الأصحاح الخامس عشر : أحداث الصليب ٢٨١

محاكمته مدنياً ، الإستهزاء به ، فى الطريق الى الصليب ، تقديم خمر ممزوجة مراً ، اقتسام ثيابه ، صلبه بين لصين ، السخرية منه ، حدوث ظلمة ، تسليم الروح ، انشقاق حجاب الهيكل ، إيمان قائد المئة ، التفاف النسوة حوله ، دفنه .

الأصحاح السادس عشر : أحداث القيامة ٢٩٩

الحجر المدحرج ، الملاك يكرز بالقيامة ، ظهوره لمريم المجدلية ، ظهوره لتلميذى عمواس ، ظهوره للأحد عشر ، صعوده .